مارك ليفي

# وجدتكِ

رواية

www.rewity.com
amirah

## ماذا لو كانت واقعية

الجزء الثاني

ترجمة: د. علي الحداد

ذات صباح وعدني أن يروي لي قصة أقرب من الخيال، لكنه اختفى.

**لورين**

عشنا حكاية هي أشبه بالحلم، أشبه بوعد لم تلتزم به الأقدار ولكني التزمت بوعدي.

**آرثر**

**لو أعطت الحياة فرصة ثانية لآرثر ولورين، فلن يتركاها تمر.**

www.rewity.com
amirah

دار الخيال
بناية يعقوبيان - بلوك ب طابق 3 - شارع الكويت - المنارة - بيروت 2036 6308
لبنان - تلفاكس 009611-740110 E-Mail: alkhayal@inco.com.lb
9 783011 031708

# Vous Revoir

www.rewity.com
amirah

# وجدتـك

تأليف: مارك ليفي

ترجمة: د. علي الحداد

حقوق الطبعة الفرنسية محفوظة

2000 Editions Robert Laffont, S.A, Paris
International Rights Management: Susanna Lea Associates

حقوق الطبعة العربية محفوظة للناشر ©

ليس من الضروري أن يكون الانجذاب النفسي سبباً لقصة حب بين اثنين.

ألبرت اينشتاين

وأخيراً، جاءت ساعة الرحيل من باريس، والعودة إلى المدينة الأحب إلى قلبه. سدد آرثر فاتورة الفندق، وسلم الحقائب لموظفي شركة الطيران. ورغب باستغلال ما تبقى لديه من وقت للقيام بنزهة في شوارع العاصمة الفرنسية.

أرصفة شارع الفنون الجميلة التي انتهى عمال التنظيفات من غسلها للتو، ما تزال مبللة بقطرات الماء التي تنتظر أشعة الشمس لتتبخر.

أمام واجهات المحلات في شارع بونابرت، توقف وأذناه تصغيان لأجراس كنيسة سان جرمان. ساحة فيرستنبيرغ ما تزال شبه خالية، إلا من قلة يعبرون في اتجاهات شتى أو تتجمع هنا وهناك.

تذكر والدته ليلي التي كانت توقظه قبيل الفجر، للذهاب معاً إلى الخليج في كارمل، ليمتع عينيه برؤية بزوغ الشمس. إنما اليوم ها هو يسير وحيداً في هذه الشوارع الغريبة المقفرة إلا من بائعة الزهور الرائعة الجمال، الممشوقة القوام وكأنها أجمل عارضة أزياء، تذكر، وهو يلقي التحية عليها، باقة الزهور التي نسقاها منذ أيام، والتي ما تزال في الشقة التي كان يقطنها قبل انتقاله إلى الفندق تمهيداً للرحيل، تاركاً وراءه ذكريات أشهر أمضاها في الغربة، عمل خلالها على بناء المركز الثقافي الفرنسي الأميركي.

ردت عليه بائعة الزهور التحية بمثلها. فساءل نفسه، إن كان سيعود

إلى هذه المدينة ثانية. ولكن هل سيعود وحيداً. أم برفقة الإنسانة التي أحب؟ الإنسانة التي استحوذت على مشاعره وأحاسيسه، ليسيرا معاً في شوارع المدن الفرنسية الرائعة الهندسة، الفنية بما يلفت الأنظار، ليسيرا على ضفاف السين، حتى ولو تحت المطر، كما كان يسير وحيداً، تحت مطر العاصمة الفرنسية، شارد الذهن، تغتاله ذكرياته في كارمل وسان فرنسيسكو.

على مقعد رصيفي جلس يكتب رسالة، لا بد من كتابتها، قبل أن تقله سيارة الأجرة إلى المطار، وتنهي حقبة من حياته، ليس بإمكانه نسيانها. ساعات ليس أكثر، ويكون في المدينة التي أحبها حتى العشق، في المدينة التي رمم مبانيها بحب، في المدينة التي عرف فيها الحب الحقيقي، في سان فرنسيسكو.

# الفصل الأول

الطائرة تحلق في سماء سان فرنسيسكو. نظر أكثر من النافذة، فإذا بالحديقة العامة، تحت ناظريه، ألوان وألوان، أشجار تعانق أشجاراً. أما البوابة الذهبية فما تزال ترتدي ثوباً من الغيم والضباب. اتجهت الطائرة جنوباً وهي تنحدر نحو المدرج، لكنها سرعان ما عادت وارتفعت وغيرت الاتجاه، واستمرت هكذا بعضاً من الدقائق، حتى ظن الركاب أن طائرتهم، ستهوي بهم فوق البحيرات المالحة، التي كانت تتراءى لهم وكأنها حديقة ألوان، تتماوج مياهها، وتنعكس عليها أشعة الشمس فتبدو وكأنها حوريات يتشاركن برقصة زفاف.

بول يقود سيارة الساب، غير آبه لخطوط الممرات على الطريق السريع، ولا بما يسببه من إزعاج لغيره من السائقين. يتعرج بين ممر وآخر، متجاوزاً السيارات السياحية حيناً، والشاحنات أحياناً، حتى وصل أخيراً إلى المفرق المؤدي إلى مطار سان فرنسيسكو. اضطر لتخفيف سرعته، ليتأكد من صحة اتجاهه.

عند مدخل المطار تجاوز المفرق المؤدي إلى موقف السيارات، فاضطر، خلافاً لجميع أنظمة السير وقوانينه، للعودة إلى الوراء ما يقارب المئتي متر. ركن السيارة وقفز منها مسرعاً نحو قاعات استقبال المسافرين.

في برج المراقبة، كان الموظف، يعطي تعليماته للطائرة بالبقاء على

www.rewity.com

ارتفاع سبعمائة متر، والقيام بعدة دورات على هذا المستوى، مع ضرورة أن تكون كل دورة بسرعة أقل من سابقتها، وكثيراً ما كان يطلب منها تغيير خط طيرانها إفساحاً بالمجال لطائرة مغادرة أو لأخرى ستهبط.

في قاعة المسافرين، وقف بول أمام لوحة الإستعلامات، ليتأكد من موعد وصول الرحلة [أف 700]. إنه الشوق والحنين، دفعه ليهبط الأدراج مسرعاً، فزلت به القدم، ولو لم تلتقط يده، يد أحد العاملين الذي صادف مروره، لكان حصل ما لم يحسب له حساباً، لكنه ما إن عاد واستوى في مشيته حتى مضى، غير معتذر، وكأن شيئاً لم يكن.

على المدرج كانت طائرة الإيرباص آي 340 التابعة للخطوط الجوية الفرنسية، تتقدم ببطء، وفقاً لتعليمات برج المراقبة. «ما لهذه الطائرة أما تريد التوقف؟» قال بول لنفسه. وأخيراً توقفت. وتحول هدير المحركات إلى نوع من الصفير المزعج، السلالم تقترب منها. لحظات وأطل أول راكب.

في قاعة الإستقبال، كان بول، يحدق بالأبواب التي ما إن فتحت حتى تدفق الواصلون وتفرقوا في القاعة، عيناه تبحث بينهم عن إنسان لا يعرف أية علاقة تربطه به. كل ما يعرفه، أنه بغاية الشوق إليه. لوح آرثر بيده، فتلقفها بول وشده إلى صدره والدموع تبلل وجنتيه، حتى أبكى إحدى المضيفات.

ـ ما بك بول، أنت هنا، لاستقبالي أم لتحطيم أضلعي؟

ـ لست أدري.. أنت لا تدري كما أنا مشتاق إليك. قال هذا، وهو يشده بيده بين جموع الوافدين باتجاه البوابة الخارجية



للقاعة ومن ثم نحو موقف السيارات.

في موقف السيارات، وقف آرثر ينظر إلى صديقه بول وابتسامة ساخرة ترتسم على شفتيه.

ـ آرثر ما بك؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟

ـ لماذا؟ ما هذا القميص الذي ترتديه يا حضرة المهندس، أنظرت إلى نفسك عبر المرآة يا صاحبي؟

وقف بول أمام مرآة السيارة، زم شفتيه، ابتسم، زرّر قميصه وعاد ليعانق آرثر.

ـ أمس كنت في شقتك الجديدة بحي ديلاهاي. حاولت ترتيب الأشياء قدر الإمكان، إنما لم أتمكن. لأن الدموع كانت تغشى عيني. على فكرة هل جلبت معك كل ما اشتريته من عاصمة الفن والجمال باريس، أم كالعادة، تركت الكثير وجئت بالقليل؟

ـ وهل تطلب مني أن أشكرك على اهتمامك؟ هل هي شقة رائعة؟

ـ كلي ثقة أنك ستحبها.. أضف إلى قربها من مكان عملك.. أم أنك ستعتزل العمل في الهندسة وتبدأ عملاً جديداً؟

ـ ماذا تقصد؟

ـ أقصد كتابة قصائد الحب والعشق.

ضحك آرثر وربت على كتف بول، «تأكد لن أتخلى عن عادة إزعاجي لك كل صباح».

ـ لكنك لم تكن ترغب في العودة؟

ـ إنما ها أنا، أمامك. صدّق يا بول، كان عملاً مضنياً وشاقاً، لكنه رائع، أتممته بحب وكُنتَ دائماً إلى جانبي، كثيراً ما كُنت

أطلب منك القيام بعمل ما، لكن أعود وأتذكر..

ـ تتذكر ماذا؟

ـ أتذكر أنك لست جانبي، ف....

ـ وقاطعه بول فماذا؟

ـ فأجلس وحيداً وأسلّم نفسي للبكاء.

ـ شوقاً إليّ أم لغيري؟

ـ تباً لك يا بول.. ولكن.

ـ ماذا؟

ـ لماذا هذه العجلة..؟ إني أود أن أُملّي النظر برؤية شوارع سان فرنسيسكو.. إنها المدينة الأحب إلى قلبي.

ـ لك الأمر.

ـ يبدو أنها ما تزال على حالها.

ـ فعلاً، لم تبنِ سوى برجين في الحيين الرابع عشر والسابع عشر، وكل واحد يتألف من مجمعات سياحية ومحلات تجارية.

ـ وكيف العمل في الشركة؟

ـ كل شيء على ما يُرام. موران في إجازة لمدة أسبوعين. تركتْ لك رسالة تعبير عن اشتياقها إليك وإلى أوامرك.

ـ يبدو أنها مشتاقة لرؤيتي وليس لصوتي.

ـ كيف هذا؟

ـ كما تعرف، كنت على اتصال دائم بها، وكثيراً ما كنت أعطيها توجيهاتي وتعليماتي، ولكن عجبي أنها لم تخبرني عن رغبتها في القيام برحلة ما، ولم أعرف أنها في إجازة.

كاد بول أن يشوه عن الاتجاه الصحيح، والإنعطاف نحو



الشارع الثالث، وحين حاول ذلك كاد يتسبب بعدة حوادث سير، فانهال السائقون عليه بالشتائم والسباب.

ـ ما بك يا بول؟ لماذا تتصرف وكأنك سائق طائش؟ أنت لست في حلبة سباق سيارات، بل على طريق سريع.

استغل آرثر الوقت ليحاول كشف غطاء سقف السيارة كهربائياً، لكنه لم يفلح، كل ما حصل عليه هو صوت مزعج ليس أكثر.

ـ والآن، أخبرني عن باريس، هل أحببتها؟

ـ إنها مدينة تُحَب. لقد أحببتها وأحببت سكانها.

ـ أحببت ذكورها وإناثها..؟

ـ أحببتهم كلهم ذكوراً وإناثاً.

ـ وماذا عن الباريسيات؟

ـ ربات الأناقة.

ـ وهل أقمت علاقات معهن؟

ضحك آرثر ملء شدقيه «وهل تعتقد أنهن رهن الطلب؟... إن كنت تعتقد هذا، فأنت مخطىء. الأهم لم أذهب لباريس من أجل النساء».

ـ أعني هل أقمت علاقة حب، وليس علاقة جسد.

ـ أنا؟... لا... أبداً.. وماذا عنك؟

ـ ما أزال أبحث عن الإنسانة المناسبة.

تابع بول سيره وسط صمت شبه مطبق، قاطعه آرثر طالباً منه القيادة بهدوء وتخفيف السرعة عند المنعطفات.

وأخيراً... عند تقاطع شارع فيلمود، توقف بول..

ـ «ها نحن أمام شقتك الجديدة، أتمنى أن تنال إعجابك».

ـ وإن لم تعجبني؟

ـ لا عليك، يمكننا تدبر الأمر بأسرع ما يمكن، وشركة توضيب المفروشات جاهزة.. لا هم عندي سوى إحساسك بالراحة النفسية، وبقائك إلى جانبي.

ـ وأنت أيضاً لا عليك، فلا شك، سأعجب بها لأنها من اختيارك.

أخذ العمال ينقلون الحقائب، نحو الشقة في الطابق الثالث، وفيما كان بول يفتح الباب الخارجي، إلتفت نحو آرثر «على فكرة لديك حارة رائعة الجمال».

ـ حقاً؟

شرع العمال بترتيب الأثاث بناءً لتعليمات آرثر، طاولة الهندسة في مواجهة النافذة، الكتب رصفت على الرفوف، كل حسب موضوعه، لكن آرثر بدّل من مكان الأريكة ليكون مواجهاً للواجهة الزجاجية. فيما وضعت الكراسي الخيزرانية قرب المدفأة.

ـ ما تزال أنت.. أنت يا آرثر.

ـ وهل تريدني أن أكون إنساناً آخر، غير الذي عرفته يا بول؟... ومن ثم. أنظر إلى التوزيع الجديد أما تراه أفضل؟.. فعلاً... شقة مريحة.

ـ إذن، وأخيراً، ها أنت عدت إلى المدينة التي أحببت، وإلى ذكريات غالية عليك.

أمسك بول يد آرثر، تعال وانظر ما تبقّى من الشقة، غرفة نوم واسعة، سرير معدني وثير، مرآة مؤخرفة معلقة على الحائط. على الأرض كان يرمي ضوء القمر المتسلل من النافذة. من غرفة النوم،



نحو غرفة الاستحمام، التي ما إن دخلها آرثر حتى اتجه مباشرة نحو الغرفة الملحقة بها، وكأنه يبحث عن شيء ما. عن شيء يتمنى لو يجده فيها.

كان بول مجبراً على ترك صديقه لارتباطه بعشاء عمل، للبحث في تفاصيل مشروع جديد. إعتذر منه واعداً ألا يتركه بعد الآن. ربت آرثر على كتف بول، «كان الله معك.. ولو لم أكن متعباً، لكنت أتيت معك».

ـ «لا عليك سأمر غداً ونذهب معاً لتناول الغداء» تعانقا بشوق وحرارة، وانهمرت بضعة دموع على خديهما.

خرج بول. توجه آرثر نحو نافذة غرفة الجلوس. علّه...؟ علّه يرى لورين كما كان فيما مضى، لكنه رأى تلالاً خضراء، تتمايل أغصان أشجارها تحت ضوء القمر.

عاد ليتجول في شقته الجديدة. إنها شقة حالمة، تبعث الدفء في الصدر. عند الصباح تزورك الشمس فور شروقها، وعند الغروب، تستطيع رؤية قرصها يتوهج أمام عينيك التي تسرح النظر إلى مياه الخليج والتلال المحيطة به. أما في الليل، فالقمر رفيق سهراتك.

* * *

بسرعة توقفت سيارة التراويمف الخضراء أمام مدخل موقف سيارات مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، فسُمع لدواليبها صوت مزعج، مما جعل الحارس جون ماكينزي يرمي الجريدة من يده ويتوجه إليها، «هذا أنت يا دكتورة لورين؟ لماذا كل هذه السرعة، أمن أجل إغضابي؟».

ـ سأصف لك حبوب الأدرينالين.. أتسمح لي بالدخول؟

ـ ولماذا؟ فاليوم أنت في إجازة.

ـ أعرف، ولكني نسيت بعض المعدات وأنا بحاجة إليها.

ـ إذن اتجهي نحو الموقف 72 واركني سيارتك هناك، وإنما إياكِ وإغضابي ثانية.

شكرته لورين، ركنت سيارتها ونزلت منها، هبت نسمة ريح، فتطايرت خصلات شعرها لتكشف عن أثر جرح في الجبين.

* * *

وحيداً، وبضعة دموع على خديه، وقف آرثر وسط غرفة الجلوس، محدقاً في كل زاوية من زواياها، وحتى في أدق التفاصيل. غيّر مكان الراديو والستريو. كانا على طاولة في الزاوية، فوضعهما على إحدى رفوف المكتبة.

شغل الراديو، فانبعثت موسيقى هادئة. وبدأ بتوضيب ما تبقى في الصناديق، فجأة سمع طرقاً على الباب، فإذا به أمام سيدة عجوز تمد له يدها وتصافحه بحرارة، مرحبة به في جيرتها ومتمنية له إقامة سعيدة.

نظر آرثر إليها باستغراب.

ـ عفواً سيدي، نسيت أن أقدم نفسي، أنا روز موريسون جارتك، في الشقة المقابلة.

ـ تشرفنا سيدتي.

وبحركة من يده دعاها للدخول، غير أنها اعتذرت بسبب انهماكها بأعمال أخرى.

ـ كنت أتمنى لو لدي الوقت، لكُنا تجاذبنا أطراف الحديث



وتعارفنا أكثر. يمكنك طرق بابي ساعة تشاء وطلب ما تشاء، وإنما أرجوك، إقرع الباب بقوة، وكرر الطرق، لأني لا أسمع كما يجب.

ثانية صافحته بحرارة، وأدارت ظهرها وعادت إلى نحو شقتها، فيما هو يراقبها مذهولاً «أهذه هي الرائعة الجمال يا بول؟»

أغلق الباب وعاد لعمله، وابتسامات السخرية تعلو شفتيه. أحس بالجوع. من باريس إلى سان فرنسيسكو، رحلة طويلة لم يتناول خلالها أي طعام. توجه نحو الثلاجة غير آمل بايجاد ما يسدّ جوعه، لكنه فوجئ بوجود ورقة معلقة على بابها «هناك بعض من قطع الخبز المحمص، زجاجة حليب، شرائح زبدة وبعض من الفطائر الطازجة.. هنيئاً يا صاحبي.. صديقك بول»

أمسك الورقة وتمعن في قراءتها، وابتسم «فعلاً إنه لا ينسى شيئاً، وإلا كنت اضطررت للنزول والبحث عن طعام».

* * *

قسم الطوارئ، في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري يعج بالجرحى الذين توزعوا على الأسرة، وحتى على المقاعد المتحركة.

لورين تتنقل بين الجرحى، تداوي هذا، وتطلب من مساعديها تضميد جراح آخر. اتصلت بإدارة المستشفى طالبة زيادة عدد الأطباء لمواجهة هذه الحالة المستجدة متسائلة «ما الذي حدث، أهناك زلزال ضرب مدينة سان فرنسيسكو؟» وجاء الجواب من إحدى الممرضات، أن قاطرة انزلقت واصطدمت بالواجهة الزجاجية

لإحدى الخازن الكبرى، فكانت النتيجة ثلاثة وعشرون جريحاً، عشرة منهم بحالة الخطر.

في هذا الوقت كانت الممرضة باتي تعد ملفات الجرحى لتسليمها للورين.

ـ يبدو أن ليلنا سيكون رائعاً، قالت وهي تعاين جريحاً على الكرسي المتحرك.

على سرير مجاور، صبية تعاني من نزيف في أذنها اليسرى. تقدمت لورين، فتحت عينها، وسلطت الضوء على البؤبؤ، فلم تتجاوب العين مع حركة الضوء، دلكت لها أناملها، لكن هذه الأنامل كانت شبه متجمدة، شحب وجه لورين «ما هذا أيعقل أن تكون ميتة؟»، حاولت سماع نبض قلبها، لكن لا قلب ينبض، وضعت مرآة على مقربة من أنفها وفمها، فلا أثر للتنفس، فما كان منها إلا أن أمسكت بالغطاء الذي كان يغطي جسد الصبية، وغطت به الرأس أيضاً، وهي تنظر إلى الساعة المعلقة على الحائط، وطلبت من الممرضة المساعدة «اكتبي تحت الوفاة عند الساعة الواحدة والعشرين والدقيقة العشرين ليلاً، ولا تنسي يا باتي تسجيل تاريخ الوفاة» وانتقلت لمعاينة آخر.

* * *

استكشف آرثر جوارير خزائن المطبخ فلم يجد الملح، حتى ولا على الرفوف. أطفأ النار تحت الماء التي وصلت إلى درجة الغليان، وقصد شقة جارته العجوز، طرق الباب مرات



عدة، دون أن يلقى جواباً، فأدار ظهره محاولاً العودة لكنه سمع صوتاً:

ـ هل تُسمي هذا طرقاً يا سيد آرثر؟

ـ لم أرغب بإزعاجك أكثر.. إنما هل أن أجد لديك بعضاً من الملح؟

ـ لم أتخيل أنه ما يزال هناك رجال مثلك يتحججون بالملح طعماً لصيد النساء.

لم يكن جوابها مريحاً، وبدا ذلك واضحاً على وجه آرثر، فانفجرت السيدة موريسون بالضحك.

ـ إخدم نفسك بنفسك، أدخل وابحث عما تريد على الرفوف، فأنا جد مشغولة. قالت هذا وأشارت نحو المطبخ، وأسرعت عائدة للجلوس على كرسيها الهزاز لمتابعة مشاهدة شريط فيديو؟

دخل آرثر ونظر إلى شعرها الأبيض، وتأملها وهي تتمايل على الكرسي.

ـ إن أردت البقاء ومشاركتي مشاهدة هذا الشريط، فلا مانع عندي، وإلا خذ ما تريد وعد من حيث أتيت، ولكن أرجوك عدم الضجيج..

ابتسم، وقال لنفسه «صماء توصيني بعدم الضجيج».

ـ «دقيقة ليس أكثر، سيقوم بروس لي بركل رئيس العصابة التي بدأت تثير أعصابي.. تعال واجلس هنا».. وأشارت إلى كرسي إلى جانبها. «وإن شئت، فهناك في الثلاجة بعض

قطع اللحم المجفف، إجلب منها، لك ولي، هكذا نتابع مشاهدة الشريط، ونتناول الطعام معاً.

* * *

على حمالة في الزاوية، رجل مصاب بعدة كسور في رجليه، يئن من الألم.

فتحت لورين خزانة الأدوية، وتناولت حقنة وأنبوب دواء، نظر الرجل إليها.

ـ أرجوك لا الحمل وخز الحقن.

ـ غريب أمرك يا رجل؟ أما تخاف آلام الكسور؟ أيهما أكثر إيلاماً، الكسور أم وخز الحقنة؟

ـ وبما ترغبين حقني؟ دواء مضاد للألم؟ هل هو سام؟

ـ إسمعني جيداً، أولاً عليّ تخفيف آلامك وبسرعة. لأن الآلام تسبب تسارعاً في دقات القلب، وعدم انتظام في ضغط الدم، كذلك قد تحدث تأثيرات خطيرة، لذا فلا بد من حقنك ببضعة ملليغرامات من المورفين.

ـ ماذا؟

ـ لا شيء.. ماذا تفعل في الحياة؟

ـ ميكانيكي.

ـ حسناً، دعني أقدم لك عرضاً، دعني الآن أقوم بواجبي كطبيبة بحرية تامة وهذا من أجلك. وبعد أن تشفى كلياً وتعود إلى عملك، سأرسل لك سيارتي لإصلاحها. ولك مل، الحرية أن تفعل بها ما تشاء. ما اسمك سيدي؟



ـ كوالك.

ـ تشرفنا، هل اتفقنا؟ لا أعتقد أنه أمامك أي خيار آخر.

اقتنع المريض، وحقنت لورين الوريد بالمورفين بعد أن نزعت من رأسه الوساوس والهواجس، ورسخت في ذهنه أهمية الدواء. وما إن بدأ الدواء يفعل فعله، حتى استرخى السيد كوالك. فيما هي تجلس على مقعد مجاور إلى جانبه تمسح العرق الذي تصبب عن جبينه، وبالوقت ذاته تراقب عملية التنفس «حاول أن تهدئ نفسك وأخذ قسط من الراحة، بعد قليل لن تشعر بالوجع ولا بالألم».

رفع السيد كوالك نظره إلى السماء شاكراً الله «كنت أرغب بالاستفادة من وقت فراغ، فأردت القيام بنزهة في ذاك الشارع، فإذا بتلك الشاحنة تصدمني وترميني أرضاً. وها أنا كما ترين.. كم من الوقت سأبقى دون عمل؟».

ـ لا عليك.. المهم أن تشكر الله. فإصابتك طفيفة قياساً مع إصابات غيرك.

في غرفة مجاورة، الدكتور فرنشتاين، منهك القوى التعب باد على وجهه، نظر إلى لورين التي كانت ما تزال تعالج الميكانيكي.

ـ أعتقد أنك في إجازة عند نهاية الاسبوع؟ أليس كذلك؟

ـ أعتقد ذلك، ولكن كما ترى، العمل هنا مضنٍ ومتعب.

ولكن لك الحق بالراحة، فصحة مرضاك مرهونة بصحتك. كم ساعة عمل أمضيت هذا الأسبوع؟ إني لعلى يقين أن جوابك سيكون لا أعرف. وستقولين إنه عندما تحب عملنا، علينا أن نقدم دون حساب.

ـ «وماذا عليّ أن أفعل؟» قالت لورين وهي تكمل عنايتها

www.rewity.com

بالميكانيكي الجريح، «أهمل واجباتي؟».

دخلت باتي وطلبت منها الإنتقال إلى مريض آخر، على أن تكمل هي اهتمامها بالميكانيكي، واستجابت لورين لطلب باتي ورجتها الاتصال بوالدتها وإبلاغها الإهتمام بكلبتها كالي لأنها ستبقى الليلة في المستشفى.

* * *

فيما كانت السيدة موريسون تغسل الصحون، كان آرثر ما يزال مستلقياً على الكرسي. التفتت إليه وقالت «أما تعتقد أنه حان وقت النوم؟».

ـ بلى، أعتقد ذلك.

وقف وشكرها على هذه السهرة اللطيفة وعلى استضافتها له.

ـ رغم أني أحب العزلة فأنت مرحب بك ساعة تشاء. يبدو أنك غير مزعج. لا تتردد في طلب شيء.

فيما هو يغادر شقة السيدة موريسون، لمح كلباً أبيض يرقد على الطاولة في زاوية المدخل.

ـ إنه بابلو... هكذا هو دائماً، يغط في النوم حتى أحسبه أحياناً قد مات.

ـ كلب جميل.

ـ عليّ أن أوقظه لقد حان وقت النزهة.

ـ أتسمحين بالإهتمام به؟

ـ لا.. عليك أن تذهب إلى النوم.

ـ ليس هماً...



ـ أخاف إن سمحت لك، أن أجدك نائماً وأنت متكيء على جذع شجرة عند قارعة الطريق أو في الحديقة.

ـ تصبحين على خير سيدة موريسون.

خرج، وهو ينوي أن يكمل توضيب الصناديق، لكن النعاس غلبه فارتمى على سريره واضعاً يديه تحت رأسه وأخذ ينظر إلى الصناديق في غرفة الجلوس، لتذكر تلك الليلة في شقته القديمة التي كانت في الطابق الرابع من بناء ليس بعيداً من هنا.. تذكر كيف التقى لورين.

* * *

عند الثانية بعد منتصف الليل، كانت باتي تبحث عن الدكتورة لورين. لقد انتهى كل شيء، لم يعد في القسم أي جريح، منهم من أسعف وأعيد إلى منزله ومنهم من دخل المستشفى وأصبح تحت رعاية فريق طبي آخر.

أحبت باتي إجراء جردة على ما تبقى من أدوية تحسباً لأي طارىء. نظرت إلى سرير ما يزال في الزاوية تقدمت منه وأحبت سحب الغطاء عنه، فإذا بلورين تغط بنوم عميق.

# الفصل الثاني

عند الظهر، استيقظ آرثر. أشعة الشمس البراقة تتسلل عبر الزجاج إلى غرفة الجلوس. وقف أمام النافذة وأخذ يجيل نظره في مناظر سان فرنسيسكو، المدينة الأحب إلى قلبه. إنه مطلع على تاريخها، لا بل بإمكانه أن يحدثك عن تاريخ كل بناية أو برج فيها.

تناول كوب عصير، وأعد القهوة بفرح لا يوصف. إنه يحب باريس، لكن ليس بمقدار حبه لهذه المدينة. أمسك هاتفه الجوال وطلب بول الذي بدا وكأنه كان ينتظر هذه المكالمة، إذ ما إن رن الهاتف حتى أجاب:

ـ صباح الخير يا صديقي، كيف كان ليلك؟

ـ نمت نوماً عميقاً.

ـ واستيقظت باكراً، قمت بجولة على شوارع فرنسيسكو، أليس كذلك؟

ـ إني مستيقظ للتو.

ـ إذن أدعوك لتناول الغداء معاً في أحد مطاعم سان فرنسيسكو، أما تحب؟

ـ لا... بل أفكر بأمر آخر.

ـ باختصار. قال بول. إما أن ترافقني إلى الغداء أو أدعك تذهب إلى كارمل سيراً على الأقدام. أمامك خياران لا ثالث لهما.

ـ ولكن عليّ أولاً جلب سيارة الفورد من مرآب زوج أمك. وهكذا نذهب معاً.

ـ ماذا؟ سيارة الفورد؟ وهل تريدنا أن نمضي عطلة نهاية الأسبوع على الطريق؟

ـ لماذا؟

ـ لأن الفورد متوقفة منذ زمن، وهذا يعني احتمال وجود أعطال كثيرة فيها.

ـ إنها سيارة لا مثيل لها.. إنها الفورد موديل 1960، أفضل بكثير من سيارتك صنع ما قبل التاريخ.

نظر بول إلى ساعته، وهو يقول «حسناً، إذن نلتقي عند الساعة الثالثة في الكاراج».

فتح بول باب المرآب، فإذا بسيارات إسعاف وشرطة مركونة لإصلاح ما طرأ عليها من أعطال.

تعرف آرثر إلى سيارة اسعاف قديمة، تقدم ليرفع الغطاء عنها. تملكه شعور رهيب، تردد قليلاً، لكنه أخيراً فعل. فتح الباب الخلفي، نظر إلى الحمالة، ثم انحنى عليها، إنه الحنين إلى الماضي، بضعة دموع بللت وجنتيه، مسحها وهو يتنهد.

ـ ما هذا يا آرثر؟ قال بول بصوت مرتفع، «كن واقعياً، الماضي هو الماضي، أوليس هذا ما علمتك أباه والدتك ليلي؟»

أعاد آرثر الغطاء إلى ما كان عليه، وودع ديزي كما يجب أن يسمي تلك السيارة. واتجه نحو الفورد. بعد محاولات عدة، هدر محركها.



ـ أرأيت؟ إنها تعمل.

ـ نعم رأيت، وسمعت أيضاً.

ـ إنه الصوت الطبيعي لمحرك صنع 1960.

عند الرابعة انطلقت الفورد متجهة نحو الجزء الشمالي من سان فرنسيسكو ومن ثم نحو الطريق الساحلي السريع رقم واحد.

كان بول يقود السيارة ضمن السرعة المسموح بها. فتح آرثر زجاج النافذة وأخذ يتنشق الهواء النقي.

أما زلت تفكر بها؟ قال بول.

تجاهل آرثر السؤال، وأبقى رأسه خارج النافذة.

ـ أنت.. أنت، أما زلت تفكر بها؟ أما زلت تحبها.

ـ نعم ما زلت.

ـ دائماً؟

ـ لا ليس دائماً، إنما.

ـ إنما ماذا؟

ـ إنما صبحاً وظهراً ومساءً وليلاً..

ـ إذن رحلتك إلى باريس كانت رحلة علاج. لا شك جعلتك تنساها؟ أعني أن باريس شفتك من حب لورين.

ـ ليس بمقدوري قول هذا. لا أنكر أبداً، أنه رغم تفكيري الدائم بها، تابعت حياتي، وأقمت علاقات مع باريسيات.

ـ أحقاً؟

ـ إسمع بول، سألتني وأجبتك بوضوح، والآن أرجوك أن تكف عن الاستمرار في الحديث عنها، لا رغبة عندي في ذلك.

تابع بول القيادة باتجاه حديقة مونتيري، وهكذا راح آرثر ينظر إلى أمواج المحيط في مدها وجزرها. أما بول فكان يفكر في كيفية تكسر هذه الأمواج على صخور الشاطىء، وكيف يرتفع حطامها نحو الأعلى، فتكون أشكالاً فنية سريالية، يعجز أي نحات عن نحتها، أو رسام عن رسمها.

انشغل الإثنان بالتمتع برؤية المناظر الطبيعية التي هي هبة الله إلى الناس، وغرقا في صمت هادىء فرضاه على نفسيهما. كل يفكر بما يشغل باله، وسيارة الفورد تسير على الطريق الساحلي تقطع الكيلومترات، ولا شيء يُسمع سوى صوت محركها، وصوت الموسيقى الهادئة المنبعثة من الراديو لتضفي جواً من الرومانسية على هذه الرحلة.

ـ «أتمنى ألا تحاول لقاءها من جديد». قال بول قاطعاً صمتاً دام ما يقارب العشرين دقيقة، لم يعر آرثر انتباهاً لهذا التمني ولم يجب لا سلباً ولا إيجاباً. وهكذا ظلت الموسيقى هي المسيطرة على السيارة التي اقتربت من منطقة البحيرات التي تزينها الممرات الاسفلتية. وعند المرور بين تلتين، تشوش صوت الموسيقى، فأقفل بول الراديو. رجاه آرثر الإسراع بعض الشيء لأنه يرغب برؤية غروب الشمس في كارمل، لكن بول أبدى عدم اهتمامه بهذا المنظر، بل بأجساد الغانيات اللواتي يسبحن



شبه عاريات، خاصة اللواتي لا يرتدين حاملات النهدين.

* * *

كانت شمس سان فرنسيسكو تميل إلى الغروب، ناثرة أشعتها اشكالاً هندسية داخل صالة الجلوس في شقة لورين، وخاصة على رفوف المكتبة المواجهة للنافذة.

تململت لورين في سريرها، بعد نوم عميق ولساعات. كالعادة نظرت إلى الساعة الموضوعة على المنضدة الخشبية إلى جانب سريرها. نزلت عن السرير وهي تتثاءب، اتجهت نحو غرفة الاستحمام، لتغسل وجهها في محاولة لطرد ما تبقى من نعاس.

مدت يدها وفتحت خزانة الملابس، بدت حائرة ماذا ترتدي، وكيف تستفيد من الوقت المتبقي أمامها قبل العودة إلى المستشفى لبدء دوام جديد. عليها الذهاب إلى المارينا لمقابلة والدتها ومن ثم تناول العشاء، وأخيراً قررت ارتداء ثياب تتناسب مع فترة ما بعد الظهر، وتتناول وجبة طعام سريعة. كسباً للوقت. بعد الإنتهاء من ارتداء الثياب، وقفت أمام المرآة تراقب هندامها، وتوجهت إلى آلة الهاتف لتدقق بالمكالمات الواردة أثناء نومها، وبالرسائل التي تركها الأصدقاء، فلم تجد سوى رسالة واحدة، من صديق، يذكرها بدعوته لحضور مناقشة رسالة الدكتوراه. لكنها لم تتمكن من إكمال الاستماع والتأكد من التاريخ والساعة بسبب خطأ في آلة التسجيل.

ابتسمت، وهي تتوجه نحو النافذة، لتلقي نظرة على المناظر الطبيعية، وخاصة على الخليج والتلال الساحلية وأشجارها التي تعانق أشعة شمس ما بعد الظهر، وكأنه عناق وداع، على أمل لقاء

www.rewity.com

جديد مع بزوغ شمس الغد.. إنها العلاقة المتكررة يومياً، وداع عند غروب، وكأنه وداع عاشقين مجبر كل واحد منهما على العودة إما إلى منزله أو إلى عمله. على أن يعودا ويلتقيا في موعد آخر.

* * *

منذ ربع ساعة انعطفت الفورد نحو كارمل تاركة وراءها الطريق السريع رقم واحد. ومع مرور الدقائق بدأت تظل تلال كارمل بهاماتها، مرحبة بعودة آرثر إلى مسقط رأسه.

عادت الموسيقى لتنبعث من الراديو، مصحوبة بعبق ذكريات حلوة ومرة.

ـ أعتقد أنه لديها متسع من الوقت للتسوق؟ قال بول.

رفض آرثر الاقتراح، إنه يريد الوصول بسرعة إلى منزل ليلي.

ـ كان عليّ شراء بعض ملابس الغسيل، وأشياء أخرى ضرورية جداً في هذا المنزل.

ـ لا عليك ـ قال آرثر ـ كل شيء مؤمن، أغطية أسرة نظيفة، هواتف، تلفاز وحتى الترنت وحاسوب. تأكد كل شيء مؤمن.

انعطف بول يميناً وسار على طريق ترابية متسلقاً تلة صغيرة حتى وصل أمام بوابة زرقاء. توقفت الفورد وترجل آرثر.

التفت بول وقال. هل أصدرت أوامرك للثلاجة وفرن الغاز أن يحضرا طعام العشاء؟

ـ وهل تتوقع أن أفعل ذلك؟

ـ إذن علينا، شراء الطعام قبل أن تقفل محلات البقالة، وإلا لن نسد جوعنا. إسمع يا صديقي، سأتركك الآن لتعيش لحظات حميمة مع



ليلي، إستعد ذكرياتك، ريثما أعود، لن أتأخر.

قال بول هذا، واستدار بالسيارة قاصداً المدينة فارتفع الغبار خلفه، حتى أن آرثر لم يعد قادراً على رؤية السيارة وهي تنهب الطريق.

اتجه آرثر مباشرة نحو مدفن والدته، الذي أضفت الأضواء الخافتة عليه إحساساً بالرهبة. تقدم وسجد أمام النصب، والدمع بعينيه. إنه الآن أمام ضريح إنسانة لم ولن ينساها. وفيما هو كذلك عبقت في أنفه رائحة التعناع البري التي طالما أحبتها ليلي، وطالما حدثته عن هذه النبتة المحببة إلى قلبها. راح يستعيد الذكريات ومن ثم أخذ يخاطبها.

«ما زلت أذكر هذه الحديقة بورودها وأزهارها، وما زلت أذكر ذاك اليوم، كنت في السادسة أو السابعة من العمر. في ذاك اليوم رحلت، افترقنا و تركتني وحيداً مع أنطوني، فما عدت استيقظ باكراً قبل طلوع الشمس، لنذهب إلى شاطىء الخليج ونستمتع بإطلالة النور من فوق تلك التلال، ولا عدت أرافقك مساءً لتراقب غروب الشمس، ونرى الأفق يتلون باللون البرتقالي الداكن حيناً والفاتح أحياناً.

أذكر يوم تركتني أنطوني وحيداً في الحديقة، وبفضولية الطفولة رغبت أن أقوم بما هو ليس من عملي، بل من عمل الكبار، فاستغليت غيابه وامسكت المقص الكبير الذي لم تستطع أناملي أن تمسكه جيداً. يومها خرجت أنت إلى الشرفة، دون أن أشعر أنا بوجودك، وعندما رأيتني، تركت مكانك مسرعة نحوي، انتابني شعور بالخوف، تخيلت أنك ستوسعينني ضرباً، وأنك ستنتزعين المقص مني بقوة لا توصف، كما يجرد إنسان من أوسمة علقها على صدره وهو لا

يستحقها، لكنك لم تفعلي هذا. كل ما فعلته هو أنك جلستِ جانبي ورحتِ تداعبين عنقي بيديك الناعمتين الحنونتين، ثم أمسكتِ يدي ورحتِ تمرريتها على جذوع الورود والأزهار، برفق وحنو، وكذلك على أطراف الأغصان والأوراق، ثم انحنيت وقبلت وجنتي وقلت «تعلم أن تعامل الورود بحب، وألا تجرحها، لأن الإنسان الحق لا يجرح ما وهبته إياه الطبيعة، بل يتنشق عبيره ويستمتع بلونه، وأضفتِ، كل ما في هذه الحديقة هو عطية من الطبيعة الحية».

صدفة تلاقت نظراتنا، فعدت ثانية ومررتِ يديكِ على ذقني وسألتني إن كنت أشعر بالوحدة. يومها، وبحركة من رأسي أجبتك «لا.. لا أشعر بالغربة» لكن الحقيقة أني كنت أكذب عليك، وتمكنت من إخفاء ذلك عن ملامح وجهي.

أمي، لم تسمح لنا الحياة أن نبقى معاً لفترة أطول، ففرقنا الموت، لكنه لم يقو على نزعك من خيالي؟ أنتِ الآن برأي الجميع جسد بال، ولكنك بالنسبة لي، ما تزالين معي، وما أزال أتصرف تبعاً لما كنت تقولين.

أمي ما أزال أتذكر كل كلمة في آخر رسالة تركتها لي، تلك الرسالة التي قرأتها بعد عشرين سنة على رحيلك.

لم أتخيل أني سأقع في الحب، وأن هذا الشعور النبيل سيسيطر عليّ، وسيجعل مني أسيراً له. لكن ذلك حصل. وكما التقيتها صدفة، صدفة اختفت. حين كانت بحالة اللاوعي وقفت إلى جانبها، ولست أدري إن كنت تصرفت بنبل وشجاعة حين منعت الآخرين من إماتتها، لأني كنت على ثقة أنها ستشفى من حالة الغيبوبة وتعود



إلى الحياة الطبيعية. كانت لورين بحاجة لعائلة، تقف إلى جانبها، فكنت أنا وأمها تلك العائلة، إنما اليوم أتساءل: هل كنت مجرد عابر سبيل في حياتها؟ عابر سبيل منع الموت عنها، عابر سبيل أحياها وأعادها إلى والدتها التي تمكن اليأس منها فوافقت على أسلوب الموت الرحيم، في حين لم يتمكن من الوصول إليّ. واليوم يا أمي ماذا عساي أفعل؟ أقول لها الحقيقة وأقلب الطاولة على رؤوس الجميع؟ هل أقول لها أنها لولاي لكانت الآن تشاركك السكن في جنة الله؟ ولكن ماذا سيحدث؟ سينزرع الحقد في قلبها على أمها. وأكون أنا تخليت عن قسم أقسمته لأمها وللأطباء ألا أخبرها حقيقة ما جرى، لئلا تكون الصدمة النفسية أقوى وأصعب من حادث السيارة.

هناك حاجز وحيد بيني وبينها، هو صديقها العائد إليها، صديقها الذي كان مختفياً أيام محنتها.

أعلم بما تفكرين يا أمي.. ولكن الحقيقة هي في مكان أجهله.

ما زلت أخشى أن أبوح لها بما أشعر وبما أحس، أخشى أن أعبر لها عن أمنياتي وأحلامي، مخافة أن تتكسر الأحلام وتتلاشى الأمنيات، أما الخوف الأكبر فهو خوفي من ألا أكون أنا الرجل الذي انتظرته لتلتقي به وتعيش معه قصة حب، أو قد تكون لا تتذكر من أنا.

فكرت كثيراً ومليّاً أن أبوح لها بمكنونات قلبي، وحتى تمنيت لو أعود لألقاها، بدون كلام، بدون بوح. كذلك، وانطلاقاً من أنانيتي، فكرت أن أقول لها الحقيقة. ولكني لم أفعل لسببين: الأول هو أنت، يا من أوصيتني ألا أكون أنانياً، والثاني خوفي من ألا تصدقني. وهكذا أكون قضيت على آخر أمل عندي، وزرعت الشك في

صدرها، فلا أنا أعود ابتسم ولا هي، وهكذا أفقدها مجدداً ونهائياً، وهذا ما لا قدرة لي على احتماله.

الحقيقة يا أمي أن المسافات لا تميت الحب. يكفيني أن التقيها من بعيد. حتى اليوم، ما أزال إن التقيت امرأة تشبهها أحالها تشير إليّ متسائلة «أهذا هو أنت.. أين كنت؟» وحتى اليوم، ما أزال إن قرأت اسمها، اتخيلها كيف كانت تنتظرني عند النافذة. وكذلك كلما وضعت رأسي على الوسادة أو استيقظت صباحاً.

تصوري يا أمي، في باريس أشرفت على هندسة أضخم مجمع ثقافي، ولكنني جعلت أسواره، تشبه أسوار مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري.

إني أعيش المتناقضات يا أمي. أعيش الأمل واليأس معاً، الحزن والفرح. فهل ستصفني الأيام يا أمي ونلتقي صدفة وجهاً لوجه؟ وإن حصل ذلك، فلست أدري إن كنت قادراً على محادثتها.

أمي استغفرك لإهمالي الحديقة، ولكني أعدك سأعيدها كما كانت، سأعيد الحياة إليها، وستعود كما كانت يوم كنت أنتِ تعتنين بها».

وقف ولس بلاطة الضريح البيضاء، وجلس على حجر من حجارة تصوينة مدفن والدته الذي نبتت بالقرب منه دالية، تدلت منها عناقيد عنب تغذى بها عصافير مدينة كارمل. وفيما هو شارد الذهن، سمع وقع أقدام فالتفت، فإذا بصديقه بول يجلس القرفصاء أمام لوحة مدفن آخر، ينظف البلاطة ويناجي صاحبه وكأنه يفشي له سراً «عفوك سيدة شارموف، يبدو أن أحداً لا يزورك، ولهذا فقبرك بحاجة للعناية. أعتذر عن عدم العناية به، لأني كنت مشغولاً بالاهتمام بصديق أحب شيح إمرأة، وإذا بالشيح يصبح حقيقة،



وتتحول قصة الحب إلى مأساة عاطفية. أما الآن فسأنظف حول مدفنك وأغسل النصب الذي يحمل اسمك». أخرج من كيس إلى جانبه بعض مواد التنظيف وفرشاة، وهمّ بغسل البلاطة لكن آرثر نهره «ما الذي تفعله يا بول؟ أمجنون أنت؟»

ـ لا شيء.. أما تعرف السيدة شارموف؟ إنها متوفاة عام 1906 أحببت أن أكون سخيفاً مثلك..

ـ مثلي؟

ـ نعم.. هذا المكان، مخصص لمناجاة الراحلين وليس للبوح بالمشاعر والأحاسيس. قال بول وهو يتابع أعمال تنظيف مدفن السيدة شارموف.

ـ لكنها سيدة مجهولة.

ـ من قال ذلك، فكلما رافقتك إلى هنا، أزور قبرها فهي جارة والدتك، ولا أحد يزورها على ما يبدو.

وواصل أعمال التنظيف والغسل، حتى بدت البلاطة بيضاء ناصعة وبان الارتياح على وجهه، فيما آرثر يقف مذهولاً مما يفعله بول.

ـ إلى اللقاء، سيدة شارموف، سأعود لزيارتك في فترة عيد الميلاد، فلا شك سيبقى قبرك نظيفاً إلى ذلك الحين، قال بول وهو يتجه مع آرثر نحو بوابة المدافن الخارجية.

ـ أتصدق آرثر، كان لدي أشياء كثيرة لأقولها لها.. على كل تعال، لنسرع إلى المنزل، فقد اشتريت قطع اللحم البقري وأشياء كثيرة للعشاء.

وسارا معاً نحو السيارة المركونة عند الزاوية. نظر بول إلى ساعته،

في حين كانت الشمس تسدل ستار أشعتها معلنة غروب يوم على أمل الشروق في اليوم التالي.

ـ من سيقود السيارة؟ أنا أم أنت؟ تساءل بول.

ـ أنا سأقود سيارة والدتي الآن.

انطلقت السيارة عبر الطرق المتعرجة متسلقة التلال.

ـ وهل ستشعل النار في الموقد لشواء اللحم؟ قال آرثر.

ـ لا أعتقد، فلن نشوي اللحم على نار الموقد بل في المكتبة. أجاب بول.

ـ ولكن ما رأيك لو نذهب إلى أحد مطاعم الشاطىء أو الميناء، نأكل القريدس، ونمتع العين بخيوط الغيب الحريرية التي تصل السماء بمياه الخليج؟

* * *

لورين تمارس رياضة الركض على رصيف الطريق البحري. جلست على مقعد صغير في مواجهة الميناء، تراقب تمايل أشرعة اليخوت كلما هبت نسمة ريح، وفجأة أطل روبير آتياً من بعيد، مختالاً في مشيته يضع يده في جيبه. نظرت إليه، «كنت متأكدة أني سأجدك هنا».

ـ أهي محض صدفة أم أنك تلاحقين أثري؟

ـ إني لا ألاحق أحداً...

جلس إلى جانبها، «أعلم أنك إن لم تكوني في المستشفى، أو لست نائمة، فستكونين هنا تمارسين رياضة الركض.

ـ لست أدري لماذا تخاطبني بهذا الأسلوب.



ـ وأنت أيضاً لا تردين على مكالماتي.

ـ دعنا من هذه المناقشة يا روبير لا وقت لدي للجدال.

ـ ولماذا؟

ـ لأن في البيت أعمالاً كثيرة عليّ انجازها قبل الذهاب إلى المستشفى.

ـ منذ ذلك الحادث وأنت جد شغوفة في عملك.

رمت لورين قنينة الماء الفارغة في سلة المهملات، ربطت شريط حذائها ووقفت، «أترغب مشاركتي الركض».

وقف أمامها وجهاً لوجه، وأخذها بين ذراعيه.

ـ إلى أين تأخذني؟ تساءلت.

ـ تعالي معي..

ـ ومضيا معاً نحو السيارة التي انطلقت بهما نحو مرتفعات الباسفيك.

* * *

عند شاطىء الخليج، جلس بول وآرثر. الأمواج تتلوى متثاقلة، يتغير لونها من لحظة لأخرى، تكون بلون النار حيناً، لون الشمس لحظة الغروب، وتعود بيضاء زرقاء حيناً. كان آرثر مأخوذاً بهذا المشهد، وكأنه يراه لأول مرة في حياته، وبالوقت ذاته، كان يستعيد الذكريات، ذكريات طفولته حتى السابعة.

لاحظ آرثر أن بول غير مبالٍ بما يرى فسأله: ما بالك غير مهتم بالمنظر الذي تتقاطر الناس لرؤيته.

ـ إني أفكر بشروق شمس الغد. فمن الطبيعي أن تشرق الشمس غداً، ولكن ما ليس طبيعياً...!!!

قاطعه آرثر: ما هو هذا؟

ـ أن تجد تلك الفتاتين هنا، وفي ذات المكان.

نظر آرثر، فإذا بفتاتين رائعتي الجمال تجلسان على الرمل، يبدو أنهما تتبادلان النكات، لذا فهما تضحكان بصوت عال، فيما الهواء يلاعب شعر إحداهما، والأخرى تحاول صد الرمل عن عينيها.

ـ أتعرف آرثر.. فكرة رائعة أن نكون هنا نتناول ثمار البحر.

ـ أحقاً ما تقول أم مجاملة؟

ـ مللت تناول اللحوم.. ومن ثم فالسمك مفيد صحياً.

في هذه الأثناء، بدت في السماء أول نجمة. المتنزهون يتوافدون إلى حديقة مونتوري زرافات ووحداناً لاستنشاق الهواء النقي وتمضية بعض الوقت في هذا الجو الرومانسي.

وقف آرثر: هذا ليس سمكاً بل فريدس. ويبدو ليس طازجاً كما يقولون.

وقف بول أيضاً: أنظر آرثر، أنظر تلك الفتاة في الزاوية، إنها من النوع الذي يلفت نظرك. إن كان ما يزال لديك نظر.

ـ وماذا عنك؟

ـ سأحتفظ بالفتاة الأخرى التي تجلس إلى جانبها.



ـ ماذا؟ ستحتفظ بها عجباً والله.

* * *

في شقة لورين، روبير على كرسي في غرفة الجلوس يسند رأسه بيده، فيما يصغي لصوت الماء في غرفة الاستحمام ولصوت لورين وهي تدندن أغنية رومانسية.

وقف وأخذ يخلع ثيابه قطعة بعد قطعة، حتى أصبح عارياً كما خلقتني يا رب، وتسلل إلى غرفة الإستحمام حيث لورين كانت في المغطس واندس إلى جانبها.

ـ ما الذي جاء بك؟

ـ جئت أدلّك ظهرك يا أغلى الناس. قال روبير وهو يلامس عنقها وكتفيها بحب وحنان، حتى استسلمت للمسائه. وسمحت له بتدليك كل جسدها.

* * *

إلى طاولة مشرفة على الحديقة، أجلس النادل بول وآرثر والفتاتين أونيغا وماتيلدا. أسهب بول في سرد حكاية صداقته مع آرثر، منذ المراهقة من أيام الدراسة الثانوية، مروراً بكلية الهندسة، حتى تأسيس شركة الهندسة. قصة، أغرت الفتاتين بالإستماع بتعجب وتساؤل «وهل توجد بعد هكذا صداقة؟!».

عينا آرثر كانتا تائهتين بين ورود وازهار الحديقة حيناً، وأمواج المحيط حيناً آخر. كان غارقاً في صمت رهيب، حتى بدا وكأنه ليس موجوداً.

تدخلت ماتيلدا سائلة بول بصوت خافت «ما لصديقك؟ أمر معنا؟».

ـ إرفعي صوتك لأنه حكماً لن يسمع ما تقولين.. إنه هكذا منذ...

ونبه آرثر فقاطعه محاولاً منعه من الاستمرار في الحديث عن سبب شروده. المعذرة. «لقد أخذت بالمناظر الطبيعية. ومن ثم، فهو يروي قصتنا معاً، يعني لا شيء جديداً بالنسبة لي».

ـ وهل يفعل هذا دائماً كلما كنتما بحالسان الفتيات؟ تساءلت ماتيلدا.

ابتسم آرثر «تبعاً للظروف ونوعية الفتيات».

حدقت ماتيلدا بوجه آرثر: «إنه لأمر واضح، إن هكذا أمكنة تنعش ذكرياتك. فهل من أحد تفتقده أو..

ـ أو ماذا؟ قال آرثر مقاطعاً.

ـ تفتقدها؟

ـ منذ أسابيع عدة، وأنا أحاول نسيان ما مضى، ولكن عبثاً أحاول. من يدري، قد أستفيق يوماً، فلا أجد أثراً له وأكمل حياتي بهدوء وسكينة. لا يمكنك معرفة كم يحس المرء بالإستراحة الوجدانية وهو غارق في الخيال، يصبح حراً طليقاً كنسمات الريح.

أمسك يدها وأدار راحتها نحو عينيه كمن يحاول قراءة الكف.

ـ أتقرأ الطالع يا آرثر؟

ـ بعض الشيء.

ـ وماذا عني؟



ـ جد محظوظة.

ـ ولكن، أدائماً أنت في حالة شرود؟

ـ صباحاً وظهراً ومساءً وليلاً.

ـ ومتى لا تكون شارداً؟

ـ حين أفكر أننا قد نلتقي.

ـ وكم دامت قصة الحب؟

ـ أربعة شهور لم تكن سوى أربع ثوانٍ.

تنهدت ماتيلدا وأحنت رأسها وراحت تلتهم الطعام.

* * *

روبير ممدد على السرير، فيما لورين ترتدي ثياباً عادية جداً، ولماذا الأناقة؟ طالما أنها سترتدي المريول الأبيض فوقها.

أمسك روبير علبة من جيب سرواله، فاعتقدت لورين أنها علبة سجائر، فثارت ثائرتها، أفهمها إنها علبة علكة. فضحكت بهزء وسخرية وقالت «فعلاً إنك إنسان مقرف.. إسمع روبير لا تبالغ في الحديث عن الوفاء، أعلم كل العلم أنك ستخونني الليلة مع أية إمرأة ترتضي أن تمضي الليل معك. إفعل ما تشاء. أنا ذاهبة إلى المستشفى».

# الفصل الثالث

عاد بول وآرثر إلى منزل ليلي، بعد أن أوصلا اونيغا وماتيلدا إلى الفندق الصغير حيث تنزلان. أوقف آرثر السيارة عند السياج الخارجي للحديقة وفتح زجاج النافذة ليتنشق رائحة النعناع البري، فيما هو منحن فوق المقود وإلى جانبه بول يبدو غير راضٍ عن تصرفات صديقه.

ـ مالي أراك هكذا؟ تساءل آرثر.

ـ وتسألني أنا؟ من المفترض أن تسأل نفسك هذا السؤال، أم أنك تعتبرني غبياً؟ آرثر، منذ أن وصلنا إلى كارمل وأنت تحاول إبقائي بعيداً عن المنزل. في البداية، تذرعت برغبتك بزيارة مدفن والدتك، ومن ثم برغبتك في تمضية بعض الوقت على الشاطىء، وبعدها أصريت على دعوة الفتاتين لتناول العشاء.

ـ إلى ما ترمي من كلامك هذا؟

ـ أتعتقد أني لم أرَ الإعلان الملصق على التصوينة.

ـ أي إعلان؟

ـ إعلان رغبتك في بيع هذا العقار، منزل ليلي وانطوني، مسقط رأسك وملعب طفولتك. منذ متى اتخذت هذا القرار؟

ـ منذ أسابيع، إنما حتى الآن لم يتقدم أحد بعرض جدي أو جدير بالنقاش.

www.rewity.com

ـ سبق لي ورجوتك نسيان أربعة أشهر من حياتك، رجوتك طي تلك الصفحات من كتاب حياتك، إنسَ امرأة ـ أية امرأة ـ اسمها لورين.

ما رأيك يا آرثر، أن تعود يوماً إلى هذا المكان، وبدلاً من أن تدخله آمناً، تتوقف عند بوابته الخارجية تنتظر بشراً غرباء ليسمحوا لك، ليس بالدخول وحسب، بل وحتى بالاقتراب من التصوينة. وإن تكرموا ودعوك لفنجان قهوة، فستكتشف انهم لا يعرفون من هي ليلي ولا من هو أنطوني، وحتى لا يعرفونك أنت من تكون، وإن سرحت في الخيال، وعدت إلى أيام طفولتك لا شك سيندهشون لتصرفك، وقد يسألونك «أتشكو ألماً في الرأس؟» ماذا ستقول لهم؟ هذا المنزل كان منزلي. وتخليت عنه بسبب قصة حب، فكان القدر أن تكونوا أنتم سكانه الجدد، لا شك سيحتقرونك.

عاد آرثر وأدار محرك السيارة ودخل الحديقة ليعود ويتوقف تحت خيمة قرمدية.

ـ فعلاً إنك عنيد كما البغال.. يا آرثر.

نظر بول إلى السماء، فإذ بها صافية، القمر يتباهى بين النجوم بدائرته الفضية، وفي الحديقة ما تزال هناك أشجار صامدة في وجه الإهمال، وورود تبعث العطر والأريج والشذا.

صعد الإثنان على الدرج الصغير إلى قاعة المنزل. ومع كل خطوة كانت الذكريات تعود إلى رأس آرثر. ذكريات طفولة، ذكريات شباب وقصة حب. تخيل لورين، استرجع كل شيء. فراح يتباطأ في سيره صعوداً على الدرج لئلا تفوته ذكرى حلوة.

بول من على الشرفة: أين المفاتيح يا صاحب الدار حتى الآن؟



ـ أية مفاتيح؟

ـ مفاتيح هذا المنزل، أم أنك نسيت.

ـ لدي نسخة في الداخل.

ـ وكيف ندخل إلى الداخل، أنهدم قسماً من الجدار؟

لم يتفوه آرثر ببنت شفة بل توجه نحو النافذة وبدون أي تردد انتزع قضيباً حديدياً، وراح يحاول رفع جانب من النافذة ليتمكن من الدخول.

في الداخل عتمة وظلمة، ولكن آرثر ليس بحاجة للنور أو الإضاءة، فهو ما يزال يتذكر كل شيء. كان عليه أن يتفادى رؤية سرير ليلي ليس أكثر، لئلا تعود ذكريات عتيقة مؤلمة. تقدم من الخزانة، تناول تلك الحقيبة السوداء التي تحتوي أسرار حياة والدته، وما إن فتحها حتى انبعث منها ذاك العطر الخاص، مد يده وأمسك بالمفتاح الذي ما يزال يذكر كيف وضعه فيها، يوم جاء المفتش بيلجير صباحاً، ليأخذ جسد لورين، ومن ثم توجه نحو الممر المؤدي إلى المدخل، أضاء النور وفتح الباب، مرحباً بيول، وبعد قليل كانا يشربان القهوة معاً.

ـ أرجوك آرثر لا تتخلَ عن هذا المنزل، كما أرجوك أن تنسَ تلك المرأة التي دخلت حياتك صدفة فغيّرتها.

ـ دعنا من هذا الحديث الآن.

ـ كيف يمكنني فعل ذلك؟ لقد حان الوقت لإعادة تنظيم حياتك. أنت لست بحاجة لشيء يا آرثر، لديك العلم والمعرفة وحبك لمهنتك وشركتك الذائعة الصيت والسمعة الحسنة، كل ما عليك فعله، هو نسيان لورين والبحث عن امرأة جديدة. كل ما

عليك هو أن تتذكر أنك إنسان بحاجة للمرح واللهو.

ـ ومن قال أني لا أفعل هذا.. أتريد المزيد من القهوة؟

ـ لا.. ولكن صدقني ما أزال أتذكر تلك الليلة، يوم أتينا بجسدها إلى هنا، أتذكر تلك القصة التي هي أشبه بالأسطورة؟ ولكن فيما لو التقيتها ماذا بمقدورك أن تقول لها؟ هل تقول الحقيقة، وإن فعلتَ هل ستصدق ذلك، كما أنت صدقت روايتها؟

ـ حسناً، ولكن دعني الآن، لقد غلبني النعاس.

قال آرثر واتجه نحو غرفة النوم.

عند الصباح أخذ يتفقد البيت، فرأى الصدأ يأكل حديد النوافذ والقرميد متباعداً عن بعضه. لمس نتائج الاهمال وعاينها بعينه، ومن ثم عاد إلى مكتبه، ليكمل كتابة ما كان قد بدأ كتابته في باريس.

* * *

أرخى الضباب ظلاله على كافة أرجاء المدينة. إنه مناخ سان فرنسيسكو المتميز عن غيره من مناخات المدن الأخرى.

إلى طاولة في المقهى الباريسي، مواجهة لمدخل قسم الطوارئ، في مستشفى سان فرنسيسكو، كانت تجلس لورين وحيدة بانتظار أن يأتيها النادل بما طلبت من طعام.

ـ عافاك الله دكتورة لورين.. قال النادل.

ـ وأنت أيضاً.



ـ كيف كان العمل اليوم؟ يبدو أنك متعبة.

ـ فعلاً، إنها ليلة رهيبة، كانت سيارات الاسعاف في حركة دائمة.

ـ ولكن اتسمحين لي بالقول؟ عليك الإهتمام بنفسك.

ـ شكراً ولكن هل جاء البروفسور فرنشتاين.

ـ «إنه هناك»، وأشار النادل بيده إلى آخر الصالة. وقفت لورين حاملة كوب الشراب بيد وطبق الطعام بيد أخرى واتجهت نحو الدكتور فيرنشتاين.

ـ عمت مساءً، أيزعجك جلوسي إلى طاولتك؟

ـ إجلسي يا صغيرتي ولا تتفوهي بهكذا حماقات.

ـ لست أدري لماذا ما تزال تعاملني وكأني ابنتك الصغرى، حتى أمام المرضى؟

ـ أنت فعلاً كذلك، منذ كنت تلميذتي حتى اليوم، ما تزالين عندي تلك الطفلة التي اسمها لورين كلاين، وفوق هذا أولست انا من اعتنى بك يوم الحادث؟

ـ بلى وإني لجد شاكرة.

ـ أتقاسمينني صحن الفطائر هذا؟

ـ إنه سؤال بصيغة الأمر.. إذن ما عليّ إلا الطاعة.

ـ هل أنتِ راغبة القيام بعمل إضافي، إن كان كذلك فداومي يومي السبت والأحد، هكذا تكسبين دخلاً إضافياً.

في المقهى الباريسي بروفسور عجوز يتناول طعام العشاء مع

تلميذته، وفي المقابل مدخل قسم الطوارئ، لاحركة ولا سيارات إسعاف.

* * *

باكراً نهض آرثر وأرخى بجسده على الأرجوحة. كان صباحاً بارداً، هادئاً، فقط أصوات الموج وزقزقات سرب أو سربين من العصافير. نظر نحو الخليج وفتح يديه ليستنشق الهواء النقي. ألقى نظرة على ساعة يده، وأخذ يتسلق الدرج نحو الطابق الثاني، حيث بول ما يزال يغط في نومه. حاول إيقاظه، لكن عبثاً حاول ذلك، فبول مصر على النوم حتى الحادية عشر، ولماذا ينهض؟ أمن أجل الإجابة على أسئلة آرثر السخيفة عن لورين.

* * *

ركنت لورين سيارتها في المرآب، وصعدت على الأدراج إلى شقتها في الطابق الرابع. ما إن سمعت كالي صوت محرك الترايموف، حتى أخذت بالنباح مرحبة بعودة لورين إلى الشقة.

إنها السادسة صباحاً. قفزت كالي من مكانها، حيث تنام على سجادة وسط غرفة الجلوس، ووضعت قائمتيها الاماميتين على صدر لورين التي دغدغت عنقها بيديها وطلبت منها أن تتركها وشأنها، وتوجهت نحو المنضدة، حيث كوب من عصير الليمون الطازج ورسالة من والدتها تخبرها فيها أن كل شيء على ما يرام.

ابتسمت، وكالعادة، أخذت تخلع ثيابها وترميها أرضاً ثم ارتمت على السرير.

# الفصل الرابع

حمل بول حقيبته وحقيبة آرثر، وهبط الدرج، بعد أن أعلم آرثر أنه ينتظره في الخارج. صعد إلى السيارة التي كانت متوقفة على الطريق الذي يوصل المنزل بالشارع العام، جلس وراء المقود وراح يصدر صفيراً من شفتيه.

أقفل آرثر الأبواب الخارجية من الداخل، ودخل غرفة والدته ليلي، فتح الخزانة، تناول الحقيبة السوداء، ودس المفاتيح فيها.

خرج من حيث دخل، وأعاد الرافعة الحديدية إلى مكانها على النافذة الخشبية، وتذكر كم كانت والدته تلوم انطوني لعدم إصلاحه هذه النافذة، وتذكر أيضاً كيف كانت ترفع كتفيها وهي تقول بضرورة ترميم هذه المنازل دورياً وصيانة النوافذ الخشبية خاصة، لأنها عرضة للتأثر بهواء البحر الذي يحمل فلزات الملح معه.

بعد أن تأكد من إحكام إقفال جميع الأبواب والنوافذ، توجه نحو السيارة، وطلب من بول أن يفسح له المجال للجلوس خلف المقود، فكان له ما أراد.

انطلق آرثر بسرعة بطيئة، وتوقف عند البوابة الخارجية حتى يرمي بول أكياس النفايات في الحاوية المخصصة لها. وغادرا كارمل باكراً، تفادياً لزحمة السير عند بداية عطلة نهاية

الأسبوع، ورغبة في الوصول باكراً إلى سان فرنسيسكو.

* * *

نزلت لورين عن سريرها وهي تتثاءب وتلوح بيديها، اتجهت نحو المطبخ لإعداد طعام كالي بوعاء فخاري، ومن ثم أعدت طعامها وعادت إلى غرفة الجلوس، حيث أشعة الشمس تتراءى من النافذة المطلة على اليوابة الذهبية التي تشكل همزة وصل بين ضفتي الخليج، حيث الحدائق من جهة، والبيوت المتناثرة التي تبدو وكأنها معلقة على تلال سوساليتو وتيبورن، المطلة على ميناء صيادي السمك من جهة أخرى.

في الخارج امتزجت زقزقات العصافير مع صفير الريح وهو يعبر بين أغصان شجر الشوح، فكانت سيمفونية لم يكتب أي موسيقي لحنها، و لم ينشدها أي مغنٍ بشري.

أنهت لورين تناول طعامها وأعادت الأطباق إلى المطبخ. في طريق العودة إلى غرفة الجلوس، أخذت تخلع ثيابها حتى أصبحت عارية تماماً، ودخلت غرفة الاستحمام، لكن رغم نعومة صوت انهمار الماء، فإن ذلك لم ينسيها آلامها النفسية و لم يتمكن من محو آثار الجراح.

خرجت من غرفة الاستحمام واضعة قطعة قماش حول خصرها كاشفة عن صدرها. «كفى دوراناً يا كالي، دقائق ونخرج معاً في نزهة، أنا بحاجة لها أكثر منك».

ارتدت بنطلوناً من الجينز وقميصاً قطنياً، نظرت إلى الساعة فوجدت أن أمامها ساعة من الوقت ليحين وقت



ملاقاة والدتها عند شاطىء المارينا.

تمددت كالي على المقعد وجلست لورين إلى جانبها، وتناولت اطروحتها عن علم الجراحة، وشرعت تعيد القراءة وتدون بعض الملاحظات.

* * *

على جانب طريق متفرع من البوليفار رقم 72 توقفت الفورد. تناول بول حقيبته عن المقعد الخلفي وترجل قائلاً: هل نذهب الليلة إلى السينما؟

ـ هذا أمر مستحيل.

ـ مستحيل؟... لماذا؟

ـ لقد تواعدت مع أحدهم لقضاء السهرة معاً.

ـ مع أحدهم أو مع احداهن؟

ـ ليس هماً، المهم أني على موعد.

ـ حقاً؟ وأنا آخر من يعلم يا صديقي العزيز.

ـ إلى اللقاء بول.. تأكد لن أخفي عليك شيئاً.

مضى بول في طريقه سيراً على الأقدام نحو شقته، وانطلق آرثر نحو شارع فيلمود، اضطر لتخفيف سرعته، عند تقاطع شارع الإتحاد، إفساحاً في المجال لشاحنة يرغب سائقها في تجاوزه.

عندما خفف سرعته، استغلت سيارة الترايموف الخضراء هذه المناسبة، لتتجاوزه باتجاه شاطىء المارينا، فيما كالي تنبح

معبرة عن فرحها وسرورها. أما آرثر فقد اتجه نحو التلال الباسيفيكية.

* * *

عند شاطىء المارينا، كانت كالي تسير على العشب الأخضر تشتم رائحة آثار أي كلب آخر، أو لربما شيء هي تبحث عنه، فيما تهز ذنبها وتحرك رأسها يمنةً ويساراً، دون أن تسمح لنفسها بالإبتعاد عن لورين ووالدتها، فكانت تعود لتلاعب أقدامهما، ثم تتركهما، بحثاً عن أمر ما، لا أحد يعلم ما هو، إلا هي، أي كالي.

ـ أعتقد ان خاصرتها ما تزال تؤلمها. قالت لورين.

ـ إنها تكبر في العمر يا ابنتي، ولكن.

ـ ولكن ماذا؟ تساءلت لورين.

ـ ولكن ماذا عنك أنتِ، أما يجب أن تنتبهي لنفسك؟

ـ وهل ترين أني أهملها؟

ـ لكني قلقة.. وهل تلام أم إن أبدت قلقها على ابنتها؟

ـ أرجوك أمي، ها أنا أقوم بعملي على أكمل وجه.

ـ أهذا كل شيء؟

ـ لله الحمد لا أشعر بأي ألم في الرأس أو دوار..

ـ معك حق.. علينا أن ننظر إلى الناحية المضيئة من الحياة.

ـ هذا ما علينا فعله؟

ـ أتعرفين لورين؟ ليس بمقدور أحد معرفة مدى سعادتي حين تكونين إلى جانبي، أنظر إليك، فأرى علامات الإرتياح بادية على ملامح وجهك.. عليك اغتنام أوقات الفراغ للقيام ببعض النزهات



والجلوس في الطبيعة. فالمناظر الطبيعية، تريح نفس الإنسان.

ـ وها أنا أفعل يا أمي.

فيما كانت لورين تتابع تحركات كالي بنظراتها. لفت انتباهها رجل في العقد الثالث من العمر وامرأة مسنة ينتزهان عند شاطىء ميناء صيد السمك: مالت إلى أمها تسألها: «أمي أنظري ذاك الرجل..» وأشارت بيدها إليه.

حدقت مدام كلاين، فاعتراها شعور غريب.. «إنه هو.. ماذا يفعل هنا، أهي مجرد صدفة؟» تساءلت السيدة كلاين بينها وبين نفسها.. لكنها أخفت مشاعرها ومخاوفها.

ـ ما به ذاك الرجل يا لورين؟

ـ أما يشبه أحداً؟

ـ يشبه من يا ابنتي؟

ـ لا أعرف.. لكنه أثار ذاكرتي.. وتأكدي منذ يومين عدت أفكر به..

ـ بمن؟

ـ بذاك الذي كان يمضي وقتاً طويلاً إلى جانب سريري في المستشفى.. إنه يشبهه.

تنهدت مدام كلاين: ليس عندي ما أقوله.. ومن ثم لا أعرف من كان يزورك كل ليلة بعد مغادرتي المستشفى.

ـ ولكن... ماذا يا أمي؟

ـ قد يكون أحد العاملين في المستشفى. ولا شك إنه إنسان مهذب ولطيف ومحب للآخرين، وإلا لما كان يمضي وقتاً طويلاً إلى جانبك؟

ـ إفهميني أمي، العاملون في المستشفى أو المرضى لا يعبرون الممرات أو يدخلون الغرف وهم يرتدون ثياباً عادية.

ـ ماذا تعنين؟

ـ أعني لا يرتدون السراويل الجينزية والقمصان القطنية، ومن ثم لماذا يفعلون ذلك؟

ـ كائناً من كان، فلماذا تهتمين بالأمر؟

ـ أتعرفين، أمعنت النظر في وجوه جميع العاملين في المستشفى في تلك الفترة، فلم أجد وجهاً يشبه وجهه، و لم أسمع صوتاً يحمل نبرة حب واهتمام كتلك التي كانت في صوته.

ـ كم أنتِ عنيدة يا ابنتي.. لا شيء يثنيك عن أمر ترغبين بتحقيقه..

صمتت السيدة كلاين وهي تحاول ضبط أعصابها وإخفاء ما في داخلها من مشاعر وأحاسيس. «ماذا لو عرفت الحقيقة؟ ماذا ستكون ردة فعلها؟!».

ـ ما بك أمي.. لماذا هذا الصمت؟

ـ افهميني ماذا تريدين تحديداً؟ هل تعتبرينني ساذجة؟ يبدو انك مشغولة به عاطفياً.

ـ لا.. ليس عاطفياً.. ولكن احب أن أعرف من هو؟ لماذا كان يأتي يومياً لزيارتي، وكأن لا عمل له، أو كأن لا شخص آخر عنده يهتم به سواي، وحين تعافيت لماذا اختفى..؟

ـ إنه من الماضي يا لورين..

ابتعدت كالي كثيراً، فنادتها لورين، فعادت وتمددت عند أقدامها.



ـ يوم استفقت من غيبوبتي، كان إلى جانبي.. حين استطعت تحريك يدي، أخذها بين يديه، وانحنى فوقي زارعاً الطمأنينة في نفسي. ما أزال أذكر، حين كنت أتململ ليلاً، كان يسرع إليّ يحدثني بصوت ما يزال في أذني. كان يهتم بي وكأنه يهتم بأغلى وأعز إنسان عنده. وعدني أن يخبرني قصة خيالية يصعب تصديقها، وألح انه عليّ تصديقها.. لكنه اختفى... و لم يخبرني هذه القصة التي أتشوق لسماعها.

ـ أعتقد أن هذا من صنع خيالك.. إنه كغيمة صيف، مر بحياتك، فكفي عن التفكير به، فكري بعملك فقط، فكري بالأيام الآتية.. فقد تجدين من يحبك وتحبينه، دون أن يختفي.

ـ هكذا أنتِ هل نسيتِ والدي..؟

ـ لو لم تكوني أغلى البشر على قلبي لكنت صفعتك.. وهذا ما تستحقينه.

ـ أنت فعلاً غريبة الأطوار يا أمي.. يوم كنت في الغيبوبة، ما شككت يوماً بقدرتي على الخروج منها وكنت تطالبيني بذلك. واليوم، حين استعدت عافيتي، تحاولين منعي عن القيام بما أرغب، وكأن لا قدرة لي على فعل شيء. أمي إن في داخلي إحساساً لست أدري ما هو.. هناك شيء يشدني للقائه من جديد، ولسماع صوته... واعلمي، أني ما من مرة رأيت رجلاً يشبهه، إلا وأحسست بخفقان في قلبي، أحسست بفرح عظيم، ولولا الحياء لكنت عانقت هذا الرجل الشبيه له. وبالوقت ذاته أنا أمقته لأنه اختفى، مثله مثل أبي الذي كان يعاشر نساء كثيرات غيرك. ولكن ليس ضرورياً أن يكون كل الرجال مثل أبي.

ضحكت مدام كلاين، ووضعت يدها على كتف ابنتها.

ـ تريدين إعطائي دروساً في الحب، أنتِ ما تزالين صغيرة يا ابنتي، ولم تقيمي علاقات مع رجال كثر كما فعلت أنا.

ـ ماذا.. أفعلتِ هذا؟

ـ نعم أنا وقعت في الغرام.

ـ عذراً أمي، لو لم تكوني أمي لكنت أنا الآن صفعتك، لأنك تكذبين عليّ.. تحاولين إثنائي عن البحث عنه.

وقفت مدام كلاين وتناولت كيس فستق من حقيبتها، قدمت بعضاً منها للورين، لكنها رفضت.

ـ صدقيني يا ابنتي أني جد سعيدة بك، سعيدة لأنك تعيشين حياة رومانسية، وفيما لو كان هناك رجل يهتم بك فعلاً، فتأكدي أنه سيعود، لأنه لم يطرد. لا أنتِ طلبت منه الإبتعاد ولا أنا.. وانتبهت مدام كلاين إلى كلمة «أنا» فاستطردت تقول «وكيف أفعل ذلك، وأنا لم أره يوماً ولم أحدثه ولو لثانية واحدة إذن ما عليك سوى التوقف عن البحث عنه، إن كان فعلاً يحبك فسيعود، إن لم يكن اليوم، فغداً أو بعد غد. قد يكون لديه أعذار. فكري أنه قد يكون متزوجاً وله أولاد».

انتقل التوتر بين الأم وابنتها إلى كالي، فعلا نباحها وجاءت بقضيب خشبي وضعته تحت قدمي لورين، وهي تنظر إليها نظرات استغراب واستهجان وكأنها تقول «كفى جدالاً ونقاشاً».

أفهمت لورين والدتها بأنها لا تملك منطق النقاش، وليس بإمكانها الرد على الحجة بحجة مقنعة، كل ما تفعله هو وضع الافتراضات، وإبعاد فكرة وجود هذا الرجل عن طاولة الحوار.



ثم قالت: لكن ما تريدين يا أمي، عليّ الآن العودة إلى شقتي، فلدي ملف مريض في وضع حرج يجب دراسته بعناية فائقة.

ـ أمامك يوم الأحد، إنه يوم عطلة. إني أتساءل إلى متى ستبقين تلهثين وراء النجاح؟ ليست الحياة عملاً بعمل. أما تملين من العمل؟ ما بك، إما تنامين أو تعملين؟ وكأن لا حياة خاصة لك، أرجوك لا تحدثيني عن صديقك الأناني الذي هو أبعد الناس عن الوفاء، وعن روح الصداقة باعترافك أنت.

أخذت لورين رأسها أمام والدتها، لتخفي ملامح الغضب التي ارتسمت على وجهها. كانت تتمنى لو تطوق عنقها بيديها وتشد عليه حتى تختنق وتفارق الحياة. بدأ العرق يتصبب من جبين، فمدت راحة يدها ومسحته.

ـ أمي أمامي غداً عمل كثير، عليه يتوقف مستقبلي كطبية. سنستأصل خزعة من رأس فتاة صغيرة لم تتجاوز السابعة من العمر، إن أي خطأ في العملية، قد ينعكس سلباً على حياتها. قد يتسبب لها بالعمى أو لربما بالشلل. أمس يا أمي رفضت مرافقة روبير إلى السينما، مع أني متشوقة لحضور الفيلم الذي دعيت إليه، ومتشوقة لتناول البوشار وأنا أشاهد شريطاً سينمائياً أتعرفين لماذا؟

ـ أعرف، من أجل العمل.

ـ نعم أحببت مراجعة أدق التفاصيل في ملف هذه الطفلة وفي كيفية إجراء العملية.

نادت لورين كلبتها، واتجهت إلى حيث توقف سيارتها. صعدت وجلست وراء المقود، بعد أن أجلست كالي على المقعد المجاور.

www.rewity.com

وضعت حزام الأمان حول جسدها وانطلقت صعوداً متجهة نحو شارع فيلمود.

عند تقاطع غرينتش، خففت سرعتها، ونظرت إلى إعلان فيلم من بطولة غاري غرانت وديبورا كير، إنه فيلم «هو وهي» الذي طالما حلمت بمشاهدته، فكرت قليلاً، بالدخول إلى قاعة السينما، لكنها تذكرت ما ينتظرها صباح الغد، فأكملت سيرها، مع تسارع في السرعة، لمحت سيارة فورد قديمة صنع 1960 متوقفة أمام محل الفيديو كلوب فتمتمت «كم كان لهذه السيارة عز ومجد؟»

* * *

في داخل محل بيع أفلام الفيديو، كان آرثر يتصفح عناوين الأفلام القتالية، والكاراتيه. تقدم من الموظف: أرجوك أرغب بشراء فيلم كاراتيه حديث لكي أفاجيء صديقتي به.

إستدار الموظف ودخل إلى غرفة مجاورة ثم عاد حاملاً مجموعة أفلام جديدة قائلاً «أنصحك بهذه المجموعة. إنها لم تنزل إلى الأسواق بعد، ولا شك هذا سيدخل السرور إلى قلب صديقتك».

ـ فعلاً.. أتنصحني بها؟

ـ نعم، إنها من بطولة بروس لي..

انفرجت أسارير آرثر وأعلم الموظف بموافقته على شرائها.

ـ عفواً سيدي، هل لصديقتك شقيقة؟ قال البائع مازحاً.

تناول آرثر الأفلام وعاد مسرعاً إلى شقته وهو يمني النفس بسهرة ولا أروع. في الطريق اشترى عدة أطباق من الطعام كل طبق أشهى من الآخر. أوقف سيارته عند تقاطع الشارع وصعد إلى شقته.



وضع الأطباق في المطبخ وعاد إلى غرفة الجلوس الغارقة بأنوار الصيف، أدار جهاز الستريو بعد أن وضع اسطوانة لفرانك سناترا. كان يراقب الصالة وهو يمشي راقصاً وفاركاً يديه متمتماً أغنية «غرباء في الليل». غطى الطاولة بغطاء مزخرف يليق بالمناسبة. فتح زجاجة النبيذ، وضع الأطباق في المايكروويف، ورتب الصحون على الطاولة واضعاً محرمة قماش إيطالية الصنع في كل صحن من الصحون المصنوعة من البورسلين الأصلي.

بعد الإنتهاء من الترتيبات للعشاء الرومانسي، فتح باب الشقة وخرج على رؤوس أصابعه ليقرع جرس شقة السيدة موريسون التي صاحت به، «لا أنكر أني صماء، ولكن ليس لهذه الدرجة». ومن ثم ارتسمت على شفتيها ابتسامة عريضة دلالة الترحيب به.

ـ حكماً لم تنسي موعد سهرتنا الليلة؟

ـ وهل تعتقد ذلك؟

ـ إنما أرجو أن لا تجلبي بابلو معك.

ـ ولما لا؟ فهو سرعان ما يغط في نوم عميق، إنه يعاني من إرهاق الشيخوخة... مثلي تماماً.

ـ لا..لا سيدة موريسون، أنت لست عجوزاً.

تأبطت ذراعه وقصدا شقته معاً، حيث طلب آرثر إليها أن تأخذ مكانها على الكنبة حتى تكون مرتاحة في جلستها. قدم لها كأس نبيذ فاخر وهو يقول «لك عندي مفاجأة».

ـ وما هي ؟

أعطاها شريط الفيديو الذي ما إن رأته السيدة موريسون حتى لمعت عيناها وتلون وجهها بلون الشباب والصبا «آه... كم أنت

رائع يا آرثر؟ هذه قصة معركة تدور عند المرفأ، إنها قصة خيالية».

ـ وهل شاهدته من قبل؟

ـ نعم مرات عدة..

تعجب آرثر، وأين شاهدته؟ فلا شك أن الموظف كاذب ابن كاذب.

ولم تيأسي منه؟

كيف يكون ذلك وأنا أشاهد بروس لي عاري الصدر؟ قالت هذا مدام موريسون وغرقت في الضحك ثم شربت من الكأس بعد أن رفعته عالياً في وجه آرثر «نخبك يا صديقي».

* * *

قفزت كالي وتناولت طوقها بفمها وأخذت تدور حول نفسها في غرفة الجلوس، ولورين تجلس على الكنبة مرتدية ثياب النوم كاشفة عن شيء من ساقيها ونهديها. أجبرتها كالي أن تترك اطروحتها وتضعها جانباً. تقدمت منها ومررت يدها على عنقها واعدة إياها أن تسرع بارتداء ثيابها والذهاب معاً في نزهة. ما هي إلا دقائق قليلة، حتى كانت كالي تسير على رصيف الشارع الأخضر، ولورين تسير خلفها.

تحت شجرة حور على رصيف شارع فيلمود جلسا. الريح تهب من حين لآخر، وتهز أوراق شجرة الحور فتحدث صوتاً شبيهاً بصوت تساقط المطر. عينا لورين زائغتان، وذهنها شارد بما ينتظرها غداً. تملكها شعور أن البروفسور فيرنشتاين يريد منها إثبات وجودها كطبيبة متخصصة بعلم جراحة الرأس والاعصاب. ولهذا قرر أن يكون هو من يناقش الاطروحة إن



جانب عدد من زملائه. يريدها أن تكون وريثه.

حتى عند منتصف الليل، كانت ما تزال تدون الملاحظات وتراجع ما سبق لها ودونته.

* * *

كانت ليلة رائعة بالنسبة للسيدة موريسون، أمضت سهرة حالمة مع جارها آرثر، لذا قررت مساعدته في غسل الأواني. نظرت إليه قائلة: هل لي أن أطرح سؤالاً؟

ـ تفضلي.

ـ أنت لا تحب أفلام الكاراتيه؟

ـ فعلاً.

ـ ولا تحاول إقناعي أن شاباً وسيماً مثلك، وفي مثل عمرك لم يجد شابة يمضي معها سهرته بدلاً من أن يكون مع عجوز مثلي في الثمانين من العمر.

ـ وأين هو السؤال سيدة موريسون؟

وضعت يدها على كتفه. «إنه سؤال غير مباشر أفهمت؟ ومن ثم كفّ عن مناداتي مدام موريسون، فأنا اسمي روز.

ـ الحقيقة أني أحب قضاء ليلة السبت والأحد إلى جانبك. هذا هو جوابي على سؤالك سيدة روز.

ـ إنك تخفي شيئاً يا آرثر.

رمقها بنظرة ناعسة والابتسامة على شفتيه، أما تريدين أخذ الكلب بنزهة؟

ـ ما هذا السؤال؟ هل هو تهرب من الحديث أم إبداء رغبة في تقديم خدمة؟

ـ من الإثنين معاً.

وضعت روز الطوق حول عنق بابلو وناولت الطرف الآخر لآرثر وهي تقول «إنك تذكرني بأيام شبابي، كنت في الثامنة والثلاثين، كان لي عشيق يصغرني بعشر سنوات ونيف. كان كله حيوية ونشاط، مرحاً محباً حنوناً، إنه يشبهك، تماماً أقسم على ذلك».

لا ضرورة للقسم فأنت صادقة في كل ما تقولين.

تنهدت مدام موريسون وهي تتجه نحو شقتها فيما آرثر يأخذ الكلب في نزهته الليلية. هناك عند جذع شجرة شربين في شارع فيلمود توقف الكلب لسبب لم يعرفه آرثر وراح يدور حولها. ترك آرثر يفعل ما يحلو له «إنها نزهته وهو حر أن يفعل ما يشاء».

رن الهاتف الجوال في جيبه، تناوله، فإذا بصديقه بول يتساءل «كيف كانت سهرتك الليلة؟ لا شك كانت رائعة؟».

لكن آرثر رد عليه بسؤال آخر «أتعرف كم من الوقت سيمضي الكلب يشتم جذع الشجرة؟».

ضحك بول من هكذا سؤال وأقفل الخط، مخافة أن يطرح آرثر عليه سؤالاً أكثر سخافة من هذا السؤال.

* * *

هناك في الشارع الأخضر وليس بعيداً من هنا، في الطابق الثالث من إحدى البنايات المعلقة على سفح تلة، انطفأ الضوء الكهربائي في غرفة نوم الطبيبة الجراحة التي ما تزال في مقتبل العمر.

# الفصل الخامس

دقت الساعة الموضوعة على المنضدة الخشبية جانب السرير في غرفة نوم لورين، لكنها لم تستطع النهوض من نومها، رفعت يديها نحو السماء والتعاس ما يزال يغالبها. منذ سنة وهي تتعب وتتعب، فأغرقها التعب في نوم عميق. ما ألذ النوم عند بزوغ الفجر الرمادي في سان فرنسيسكو.

لم تكن الساعة قد بلغت السابعة صباحاً، حين ركنت لورين سيارتها في مرآب المستشفى. وما هي إلا عشر دقائق، حتى كانت تدخل الغرفة رقم ٣٠٧ بعد أن ارتدت المريول الأبيض.

على الطاولة ألعاب لأشكال حيوانات متعددة من السعدان إلى الدب إلى الكلب، وعلى الحائط رسوم متنوعة، تنم عن نفس شفافة، وروح مليئة بالأمل. تعجبت لورين وتساءلت «كيف لفتاة صغيرة لا ترى أن ترسم مثل هذه الرسومات؟ وكم قوية ذاكرتها حتى ما تزال تمدها بأشكال الحياة».

جلست قرب الطفلة على حافة السرير وراحت تداعب وجنتيها حتى أيقظتها.

ـ كوكو.. صباح الخير يا عزيزتي.. إنه اليوم المنتظر.

ـ ولكن ليس الآن، فلم يطلع الصبح بعد.. ما يزال الليل يسيطر على الغرفة.

ـ لن يستمر طويلاً يا عزيزتي، فقريباً سيأتي الفريق الطبي،

وياخذك لتحضيرك لإجراء العملية.

ـ وهل ستكونين معي؟ تساءلت مارسيا.

ـ سأكون بانتظارك عند مدخل غرفة العمليات.

ـ وهل أنتِ من سيقوم بإجراء العملية؟

ـ لا... ولكنني سأكون المساعدة للبروفسور فورنشتاين، أو الدكتور صاحب الصوت الخشن كما تسمينه..

ـ وهل أنتِ خائفة؟

ـ أنا؟.. أجابت لورين.. من المفترض أن أطرح أنا عليك هذا السؤال، لكنك سبقتني.. أنا لست خائفة وأنتِ؟

ـ ولا أنا، أتعلمين لماذا؟

ـ لا..؟

ـ لأني أثقُ بكِ.. ليلة أمس راهنت والدتي وكسبت الرهان..

ـ وعما كان الرهان؟

ـ عن لون عينيك، وقد كتبته على ورقة وطويتها ووضعتها في جارور الخزانة إلى جانب سريري. قريباً سنقرأها معاً، أنتِ وأنا.

ـ أعدك بذلك.. نحن الإثنين سنقرأها معاً .

وقفت لورين واتجهت نحو باب الغرفة «إلى اللقاء عند مدخل غرفة العمليات يا عزيزتي». لكنها بدلاً من ان تخرج راحت تتأمل الطفلة بصمت رهيب. اندست مارسيا تحت اللحاف وأخذت تناجي أحداً ما: «أعرف أنك لن تتخلى عني وأنك تقف إلى جانبي وتمنحني القدرة على عدم الخوف»، ثم مدت يدها وتناولت لعبة من العابها ووضعتها إلى جانبها تحت اللحاف وتابعت «علينا أن نخرج قريباً من هنا، علينا ألا نخاف النور، سأريك الألوان إن وثقت بي



أنا كنت أخاف اللون الأسود، أتعلم ـ وهي ما تزال تناجي لعبتها ـ صعب عليّ أن أصف لك هذا. اليوم هو أفضل الأيام. أنا شخصياً أفضل الأخضر، ولكني أحب الأحمر أيضاً. أتعرف أن للألوان روائح؟ إنتظر سأجعلك تتأكد من صحة كلامي».

أخرجب مارسيا رأسها من تحت اللحاف بحذر شديد ونزلت عن السرير وتلمست طريقها، أخرجب من الجارور كأساً فيه حبة فريز ووعاء فيه شيء من النعناع وعادت إلى سريرها، وقفت وقدمت الكأس للعبة قائلة: هذا هو اللون الأحمر ومن ثم قدمت لها الوعاء قائلة وها هو اللون الأخضر. أتشتم رائحة اللون الأخضر؟ إنها رائحة منعشة وذكية. كما ويمكنك أن تتذوق طعمه إن إردت، أنا لا يحق لي الآن، لأني أحضر نفسي للعملية الجراحية، وممنوع عليّ الطعام والشراب.

كانت لورين تراقب الفتاة وتسمعها، فتقدمت منها وسألتها مع من كنتِ تتحدثين؟

ـ كنت أعلم أنك ما زلتِ عند باب الغرفة. كنت اخاطب صديقاً لي.

ـ وأين هو؟ أيمكنني التعرف إليه؟

ـ لا.. لا يمكنني أن أعرفك عليه، لأنه يخاف النور ويخاف الناس أيضاً.

ـ ما اسمه؟

ـ إميليو، ولكنك أنت لا تسمعين ما يقول.

ـ لماذا؟ تساءلت لورين.

ـ لأنك لن تستوعبي معنى البوح بالمشاعر والأحاسيس.

تقدمت لورين وطلبت منها السماح أن تنام إلى جانبها تحت اللحاف.

ـ ولماذا لا أسمح لك؟ ولكن أما تخافين اللون الأسود؟

ـ لا عليك يا عزيزتي.. أنا لا أخاف اللون الأسود. اليوم سيتغير كل شيء.

* * *

فضل آرثر الذهاب إلى مكتبه في شارع جاكسون سيراً على الأقدام، حيث كان بول ينتظره عند مدخل الشركة. تقدم بول من آرثر وتوجه إليه بالسؤال بأسلوب ساخر «ماذا إذن؟».

ـ إذن ماذا؟ ماذا تقصد؟ قال آرثر وهو يضغط على زر آلة القهوة.

ـ أما تدري ماذا أقصد؟ كم كرست للكلب من وقتك.

ـ «عشرون دقيقة». قال آرثر ضاحكاً.

ـ أترغب أن نسهر الليلة معاً؟

ـ ولماذا هذه الدعوة؟

ـ اتصلت الفتاتان اللتان التقيناهما في كارمل، إنهما هنا في سان فرنسيسكو وترغبان أن تلتقي، ولكن لا تنسَ أن تجلب الكلب معك.

ـ ماذا؟ قال آرثر متعجباً.

ـ حتى لا يصيبك الملل.



نظر بول إلى ساعته وتابع «ستكونان مسرورتين بالعشاء معنا».

* * *

دخلت لورين غرفة التطهير، تقدمت الممرضة وساعدتها في ارتداء الثوب الأخضر الذي يرتديه الطبيب أثناء قيامه بعملية جراحية، وعقدت لها الرباط الخلفي. تقدمت نحو المغسلة الحديدية وغسلت يديها جيداً، ونشفتها ثم نثرت الممرضة البودرة على راحتي يديها وأناملها وألبستها قفازين مطاطين.

اتجهت إلى غرفة العمليات وهي تضع على رأسها قبعة خضراء وقناعاً يغطي فمها وأنفها. في غرفة العمليات كان الدكتور آدام بيرسون الإختصاصي بطب الأعصاب يراقب عمل جميع آلات التصوير الشعاعي والصوتي والرنيمي، ويتابع أدق التفاصيل لكيفية سير العملية الجراحية وكيفية استئصال الخزعة.

من خلال الصور الشعاعية، تبين أن الورم موجود في القسم العلوي من الدماغ. دخل البروفسور فيرنشتاين يرافقه مساعده الأساسي القادم من مونتريال ـ كندا، الدكتور لولوند الذي ألقى التحية على جميع أعضاء الفريق من أطباء وتقنيين وممرضات وممرضين، وتوجه ووقف إلى جانب الدكتور آدام بيرسون ليعاين الورم ويناقش تفاصيل العملية الجراحية المنوي إجراؤها، مشدداً على دقة الوضع، لافتاً النظر الى إن أي خطأ، مهما كان صغيراً أو تافهاً، قد يؤدي إلى نتائج عكسية، وأهمها أن الفتاة قد تصاب بعمى أو شلل دائم. وهكذا، فبدلاً من إعطاء هذه الفتاة فرصة جديدة

للحياة، نكون قد قضينا على مستقبلها. فالمطلوب إذن هو الحذر، ولكن الإفراط في الحذر له محاذيره أيضاً.

بعد مناقشة كل التفاصيل، طلب البروفسور فيرنشتاين إدخال مارسيا، فتم ذلك، ووضعت بكل عناية على طاولة الجراحة، وثبت كيس المصل على عمود حديدي قربها.

نورما، رئيسة الممرضات، راحت تحدث مارسيا عن تبنيها لدب صغير من نوع الباندا، فتساءلت مارسيا، وهل يحق لك ذلك؟ فأخبرتها أن التبني هنا يعني الاهتمام به وتوفير جميع الوسائل ليكمل حياته الطبيعية، ولكن المشكلة تكمن في أنها لم تتمكن بعد من إيجاد إسم مناسب له «لذا فما رأيك يا مارسيا، ماذا تقترحين أن نسميه؟»

حديث نورما عن الدب، كان لإلهاء مارسيا عن التفكير بالعملية الجراحية حتى لا تتشنج أعصابها.

غرز الطبيب المولج بالتخدير إبرة صغيرة في يد الطفلة، تسمح له بمراقبة سريان الدم في جسد مريضته، وحقن كيس المصل ببعض المخدر، وراح يحدث الفتاة عن اسم الدب، وطلب منها أن تعد إلى العشرة فيما المخدر يتسلل إلى جسدها، فغفت وهي لم تتمكن من العد لأكثر من ثلاثة.

طبيب الإنعاش، بدوره كان يقوم بمراقبة آلات دلائل الحياة. أقفلت نورما القفص الحديدي حول رأسها لتجنب أية حركة قد تؤدي إلى ما لا تحمد عقباه.

كقائد فرقة موسيقية، أجال الدكتور فيرنشتاين نظره على الفريق الطبي المعاون، طالباً من كل فرد أن يكون جاهزاً لكل



طارئ». وأعطى إشارة البدء للدكتور لولوند الذي بدأ بفتح عظام جمجمة الطفلة، ولورين تراقب كل شيء وهكذا تكون العملية، قد بدأت فعلياً عند الدقيقة السابعة والعشرين بعد التاسعة.

بدأ بول وآرثر عرض مشروعهما لبناء المبنى الاجتماعي، على الزبائن بوجود مدراء جميع الفروع. وضعت الخرائط التفصيلية على طاولة اجتماعات كبيرة ذات لون باذنجاني. سبق ذلك، مراجعة آرثر لأدق التفاصيل في الخرائط المعدة للصالة الأساسية والقاعات الملحقة، وغرف الإجتماعات وكافة الأقسام، وأسهب في شرح التفاصيل للحاضرين.

بعد آرثر جاء دور بول ليناقش ما هو من اختصاصه على شاشة تلفزيونية عملاقة موضوعة على الحائط.

عند الرابعة بعد الظهر انتهى اللقاء، مع اتفاق على لقاء جديد نهاية الأسبوع، لتقرير أي من الخرائط ستعتمد نهائياً. توجه كل من بول وآرثر بالشكر لضيوفهما وغادرا القاعة طلباً للراحة. في المصعد، ابتسم بول، معرباً عن ارتياحه لنتائج الإجتماع، «لقد أبلينا بلاءً حسناً» ورد آرثر «قد يكون ذلك».

– وهل هناك ما يثير القلق؟ تساءل بول.

– هل تعتقد أن محلات ماسيس، تبيع حبالاً مطاطية؟

في الطابق الثالث تحت الأرض، حيث مرآب السيارات وقف بول إلى جانب سيارته ورفع رأسه نحو الأعلى الى السماء ثم قام ببعض الحركات الرياضية لتليين جسده، بعد يوم أمضاه جالساً على الكرسي. التفت إلى آرثر وقال «والآن أصبحتُ حراً.. كان

اسبوعاً مضنياً، صار بإمكاني أن ألهو بعض الشيء، وكذلك أنت. لكن هذا الأخير لم يتفوه بأية كلمة، بل صعد إلى السيارة وجلس على المقعد المجاور للسائق.

كل شيء على ما يرام. نبضات قلب مارسيا منتظمة، ولا دلائل على أية تأثيرات جانبية. طلب البروفسور فيرنشتاين إعطائها جرعة إضافية من المخدر، وإعطاءه صورة عن كيفية عمل خلايا الدماغ، فأجابه الدكتور بيرسون مطمئناً على أنها تقوم بوظيفتها. تابع الدكتور لولوند عملية استئصال الورم بعناية فائقة وبحركات جد مدروسة.

أربع ساعات مرت، بدا التعب على البروفسور فيرنشتاين، فطلب من لورين أن تحل محله إلى جانب الدكتور لولوند، تخوفت لورين، لكن نظرات أستاذها أعطتها الجرأة وشجعتها. لقد سبق لها وقامت بمثل هذا العمل دون خوف. ولكن اليوم الأمر مختلف. لقد وعدت مارسيا أن تحافظ عليها وأن تعيد النور إلى عينيها، ومن ثم فهذا اليوم سيقرر مستقبلها كطبيبة جراحة.

نظرت إلى فرنشتاين وأمسكت المبضع، متخلية عن كل خوف، متمسكة بوعدها لمارسيا وبدأت تمارس ما هو مطلوب بثقة نفس زائدة، وكل الفريق ينظر إليها بإعجاب، حتى أن فيرنشتاين لم يتوان عن ابداء اعجابه بأدائها، وكذلك الدكتور الكندي لولوند. سبع ساعات وهي تعمل وكأنها جراحة منذ زمن طويل، إنما، تتمنى لو يعود أستاذها لإكمال الجراحة. بعد تلك الساعات المضنية أعلن البروفسور فيرنشتاين نجاح العملية



وأنه تم استئصال خمسة وسبعين بالمئة من الورم، ورمق لولوند لورين بطرف عينيه نظرة إعجاب.

* * *

- إلى أين تريد أن أوصلك؟ إلى البيت؟ قال بول.

- لا، سأمر على ساحة الاتحاد للتسوق أولاً.. سأشتري طوقاً للكلب.

- ولماذا تشتري طوقاً للكلب وأنت لا تملك كلباً؟

- إنه كلب صديقتي.

- آه فهمت.

- إطمئن... تبلغ من العمر ثمانين عاماً ونيفاً.

تنهد بول وفتح فمه تعجباً «لا أصدق ما تقول» وأوقف سيارته أمام محلات ماسيس.

- لن نتناول العشاء هذه الليلة؟ قال آرثر وهو يترجل من السيارة.

- في كلين هاوس قال بول وتابع، نلتقي عند الثامنة مساءً، وأرجوك ألا تقوم بتلك الحركات التافهة، لا تضيّع الفرصة ثانية.

تابع بول سيره، فيما آرثر على الرصيف يلاحقه بنظراته، ومن ثم توقف ليتأمل الواجهات الزجاجية للمحلات قبل أن يدخل إحداها.

* * *

في غرفة العمليات عيون طبيب التخدير معلقة على شاشة آلة التصوير الشعاعي وكذلك طبيب الأعصاب. يتابعان حركة الدورة الدموية، لاحظا تبدلاً، فتغيرت ملامح وجهيهما. بيرسون، فوقف

حائراً «تُرى ما الذي جرى؟» تساءل البروفسور فيرنشتاين «ما الأمر؟ هل من نزيف في شرايين الدماغ؟»

«لا شيء واضحاً حتى الآن» قال الدكتور بيرسون وهو يتأكد مما يرى. امتقع وجهه؛ وامتقعت معه جميع الوجوه. منذ لحظات، أظن فيرنشتاين نجاح العملية، أما الآن، فكل شيء تغير.

يبدو أن الفتاة دخلت مرحلة الغيبوبة. قال كوبلر طبيب التخدير وأعطاها جرعة مخدر إضافية.

شعرت لورين بإحساس غريب يسيطر عليها. لقد سبق ووعدتها أن تنقذ حياتها، ركزت نظرها على عيني أستاذها، وكأنها ترجوه فعل شيء لإنقاذ مارسيا.

أمسكت لورين يد الطفلة بناءً لطلب الدكتور لولوند الذي سأل رئيس الفريق الدكتور فيرنشتاين «ماذا تريدنا أن نفعل؟»

ستتابع.. دعنا نحاول من جديد، قال فيرنشتاين.

يبدو أن هناك نزيفاً في الدماغ قالت نورما رئيسة الممرضات. وأيد الدكتور بيرسون قولها.

بغضب ضرب الدكتور لولوند ساعة آلة تبيان الحركة الدموية قائلاً «لربما تعطلت».

هناك غشاوة واضحة على خلايا النخاع الشوكي قال الدكتور بيرسون.

ماذا؟ صاح فيرنشتاين ولولوند معاً.

حبست لورين أنفاسها وهي ما تزال تمسك يد مارسيا. أغمضت عينيها، وكأنها لا ترغب برؤيتها ترحل أمامها.

إنها الساعة الخامسة والدقيقة العشرون، الغشاء الواقي للقسم الأعلى



من الدماغ يتمزق بطول سنتمترين. الجرح يتسع والنزيف يزداد. دخل الدم خلايا الدماغ. عبثاً حاول فيرنشتاين السيطرة على الوضع ومنع تفاقم الحالة الصحية للطفلة التي دخلت هذه الغرفة صباحاً آملة الخروج منها لرؤية النور.

الساعة السابعة وعشرون دقيقة، أفلتت لورين يد مارسيا، فهوت اليد الناحلة، وكأنها تقول وداعاً بطريقة عكسية، لفريق طبي مؤلف من أربعة أطباء وعدد كبير من التقنيين والممرضين والممرضات.

بصمت، بعد أن غُطي جسد مارسيا بكامله، خرج الأطباء من غرفة العمليات، ومضى كل في طريقه عبر ممرات المستشفى، وكان أحداً لا يريد أن يكلم أحداً.

وحدهما لورين ونورما ما تزالان في غرفة العمليات.

- إنها خطيئتي يا نورما.. لقد وعدتها بحياة جديدة.. أين الدكتور فيرنشتاين؟

- يبدو أنه ذهب لإبلاغ ذوي الفتاة.

- حسناً فعل، فأنا لست بقادرة على فعل هذا.. ولكن ماذا عساي أن أفعل الآن؟

- أنت بحاجة لبعض التَرفيه عن نفسك، لقد أصبت بصدمة كبيرة. لكنك كنت بارعة في عملك، والذي حصل، ليس نتيجة خطأ طبي.. إنه الورم الخبيث يا لورين.. فاذهبي وتنزهي بعض الوقت قبل الخلود للنوم، هذه هي نصيحتي لك.

تقدمت لورين من جثة الفتاة التي ما تزال ممددة على طاولة العمليات الجراحية، لمست جبينها بحنان والدموع تبلل خديها، ثم غطت جسدها بالغطاء الأخضر.

كانت نورما تراقب لورين، تقدمت منها، وضعت يدها على كتفها، وقالت «تعالي لورين».. وفيما هما تخرجان أطفأت نورما الأضواء، فغرقت الغرفة في ظلام دامس.

* * *

وجد آرثر مبتغاه في الطابق الثالث للمخازن الكبرى. وجد طوابيراً طويلاً متحركاً، سيُفرح السيدة ماريسون، التي ستبقى أمام منزلها أيام الشتاء، في حين يكون بابلو يلهو في الخارج. سدد الحساب، ومضى في طريقه نحو المدخل الخارجي، فصادف امرأة تختار ثياب نوم رجالية، ابتسمت له، وكأنها تطلب مساعدته، لكنه رد التحية عليها ومضى باتجاه المصعد الكهربائي، فإذ بيد ناعمة تمسكه من كتفه، فاستدار ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام إنسانة سبق وربطته بها علاقة عاطفية، لكنه كان يتمنى ألا يلتقيها ثانية في حياته.

ـ لا تقل إنك لم تتذكرني؟ أنا كارول آن..

ـ إعذريني كنت شارد الذهن.. كنت خارج البلاد.

ـ أعرف ذلك.. اعلم أنك كنت تنفذ مشروعاً في فرنسا.. هل أنت بخير؟.. أعرف أن التي تخليت عني من أجلها قد ماتت وأنك الآن أرمل.

ـ ماذا؟ عمن تتكلمين؟

ـ لقد التقيت بول وأخبرني بذلك.. أنا جد آسفة.

ـ لقد سعدتُ بلقياك، وأعتذر، لا وقت لدي.

ما إن همّ آرثر بالنزول، حتى تمسكت به ومدت له يدها، كي يرى خاتم الزواج يزين إصبعها. بعد إسبوع ستحتفل بعيد زواجها



الأول، هل تذكر مارتين؟ حكماً لم تنسه إنه كابتن فريق الهوكي.

ـ آه تذكرت، إنه فتى طويل أشقر الشعر.

ـ ماذا؟ مارتين أسمر الوجه ضخم جداً..؟

ـ هكذا إذن؟ قال وهو يشيح بعينيه عنها ويتطلع إلى الأرض.

ـ يبدو انك يائس وأهملت حياتك.

ـ الحياة حلوة حيناً ومرة أحياناً.

ـ ولكن، إسمع آرثر من المستحيل أن تبقى أعزب.

ـ «معك حق لن أبقى كذلك»، كان يرد عليها بلهجة الإنسان الراغب بانهاء الحديث، لكنها تابعت «لدي الكثير من الصديقات العازبات، إن لبيت دعوتي لحضور احتفالنا بعيد زواجنا، سأقدم لك إحداهن أو التي تريد، أعني التي تلفت نظرك. كما تعلم فأنا بارعة في هكذا أمور».

ـ شكراً، لدي صديقة أحبها. وولى شبه هارب منها، أرجوك بلغي تحياتي لمارتين.

راح يتجول في المتجر، فاستوقفه جناح العطور، التي ينبعث منها هذا العطر الفرنسي، وراح يتأمل البائعة كيف تعرض البضاعة على الزبائن. أغمض عينيه واستعاد ذكرى وجوده هنا برفقة الإنسانة التي كان وحده يراها ويسمعها، في حين كان الزبائن ينظرون إليه مندهشين متسائلين: يد من يمسك هذا المجنون ومع من يتحدث؟ فشعر بسعادة لا توصف.

اخترق صفوف الزبائن متجهاً نحو البوابة الخارجية التي توصله إلى رصيف ساحة الاتحاد، ليعود ويقف متأملاً واجهات المحال التجارية، فإذا نظره يقع على رداء سهرة ترتديه عارضة إصطناعية ترفع يدها

وكأنها تشير إلى أحد المارة عبر الشارع، حيث أشعة الشمس البرتقالية اللون، وحيث الناس في حركة دائمة.

أخذه المشهد، فتسمر مكانه، غير آبه بما تسببه دراجة نارية من إزعاج وفوضى. بعد أن فقد سائقها السيطرة عليها، وتفادياً لصدم إحدى النساء، راحت الدراجة النارية تتمايل يميناً ويساراً وهي تصدر صوتاً أشبه بزئير الأسود. رجل في الأربعين من العمر، يرتدي بذة أنيقة، اضطر للإرتماء أرضاً، حتى لا يكون تحت عجلاتها. وكذلك فعل كثيرون، فيما التجأت إحدى النساء إلى غرفة الهاتف العمومي، والدراجة النارية تتابع سيرها بسرعة جنونية، اصطدمت بعمود صلب، شطرها إلى نصفين، فطارت مقدمتها وكأنها صاروخ هاوٍ من السماء، وارتمت عند قدمي آرثر، فارتفع عن الأرض بنحو من المترين وعاد وارتمى، في هذا الوقت اكملت مقدمة الدراجة سيرها العشوائي، فاصطدمت بالواجهة الزجاجية محدثة صوتاً أشبه بصوت الإنفجار، تناثرت قطع الزجاج، وتساقطت على الرصيف، حيث آرثر ممدد قرب العارضة الخشبية حائراً مما عليه أن يفعل. أفقدته الصدمة وعيه، وغطت عينيه غشاوة، فبدت الأنوار باهتة، أحس بالدم يتدفق من فمه، أراد أن يستنجد بأحد المارة، لكنه لم يقوَ على الكلام. حاول النهوض، لكن رجليه لم تقويا على الوقوف، وسمع صوتاً يصرخ: «لا تتحرك.. فالإسعاف آت».

وراحت الأفكار تزدحم في رأسه. إنه مرتبط بموعد على العشاء مع بول، وعليه أن يأخذ كلب السيدة موريسون بنزهته اليومية، ولديه الإثنين عليه الحضور إلى مكتبه لتوقيع الكثير من المعاملات، خاصة تلك الخرائط العائدة للمشروع الذي نوقش قبل ساعات. رغم هذا راح يحمد



يده على جسده، فعرف أن سرواله تمزق، يده تؤلمه وكذلك رجلاه، والأسوأ أنه غير قادر على مسح وجهه مخافة أن يتسبب الزجاج المتناثر على كامل جسده بجروح عميقة؛ أخذت الصدمة تنجلي شيئاً فشيئاً، وعاد ليرى النور والأضواء، فاستاء لرؤية كارول آن إلى جانبه وكأنها لن تدعه وشأنه، فقرر أن يشتري خاتم زواج حتى تكف عن إبداء رغبتها في مساعدته وتعريفه على صديقة من صديقاتها، لكن هذا سيزعج بول وسيلومه جداً على ارتكاب مثل هذه السخافة.

سيارة الاسعاف بأضوائها وبوقها تقترب من موقع الحادث، آرثر يفكر بالوقوف، حتى لا يزعج أحداً، إعتقاداً منه أنه مصاب بجرح بسيط في فمه ناتج عن سقوطه على الأرض، تقدم منه سائق الدراجة يسأله عن حاله ويبدي أسفه لما حصل، بسبب عطل ميكانيكي.

لم يتمكن آرثر الوقوف على رجليه. ولكن الذي صدمه مجدداً كان صوت كارول آن فهو لا يرغب أن تساعده، حتى لا تسترسل فيما بعد في الحديث كيف أنقذت حياته وكيف ساعدته على الوقوف. «يا لهذه المصيبة؟ صاحت كارول آن. أنا كنت متأكدة من أنك أنت هو من أصيب.» وراحت تنفض قطع الزجاج عن جسده بعناية وعن رأسه خاصة. وتابعت تقول «فعلاً أنت إنسان محظوظ فها أنا ما أزال بقربك» رمقها آرثر بطرف عينيه وكأنه يقول لها اغربي عن وجهي، يكفيني ما أعاني من آلام الجراح في كافة أنحاء جسدي. «ماذا كنت تفعل هنا؟» تساءلت كارول آن.

- كنت أشتري طوقاً لكلب جارتي السيدة موريسون.

- لكلب جارتك؟ كم هي محظوظة هذه السيدة؟

استمر آرثر يتعامل معها بلطف وأدب واحترام، مع أنه غير قادر على

وكأنها تشير إلى أحد المارة عبر الشارع، حيث أشعة الشمس البرتقالية اللون، وحيث الناس في حركة دائمة.

أخذه المشهد، فتسمر مكانه، غير آبه بما تسببه دراجة نارية من إزعاج وفوضى. بعد أن فقد سائقها السيطرة عليها، وتفادياً لصدم إحدى النساء، راحت الدراجة النارية تتمايل يميناً ويساراً وهي تصدر صوتاً أشبه بزئير الأسود. رجل في الأربعين من العمر، يرتدي بذة أنيقة، اضطر للارتماء أرضاً، حتى لا يكون تحت عجلاتها. وكذلك فعل كثيرون، فيما التجأت إحدى النساء إلى غرفة الهاتف العمومي، والدراجة النارية تتابع سيرها بسرعة جنونية، اصطدمت بعمود صلب، شطرها إلى نصفين، فطارت مقدمتها وكأنها صاروخ هاوٍ من السماء وارتمت عند قدمي آرثر، فارتفع عن الأرض بنحو من المترين وعاد وارتمى، في هذا الوقت اكملت مقدمة الدراجة سيرها العشوائي، فاصطدمت بالواجهة الزجاجية محدثة صوتاً أشبه بصوت الإنفجار، تناثرت قطع الزجاج، وتساقطت على الرصيف، حيث آرثر ممدد قرب العارضة الخشبية حائراً بما عليه أن يفعل. أفقدته الصدمة وعيه، وغطت عينيه غشاوة، فبدت الأنوار باهتة، أحس بالدم يتدفق من فمه، أراد أن يستنجد بأحد المارة، لكنه لم يقوَ على الكلام. حاول النهوض، لكن رجليه لم تقويا على الوقوف، وسمع صوتاً يصرخ: «لا تتحرك.. فالإسعاف آت».

وراحت الأفكار تزدحم في رأسه. إنه مرتبط بموعد على العشاء مع بول، وعليه أن يأخذ كلب السيدة موريسون بنزهته اليومية، ويوم الاثنين عليه الحضور إلى مكتبه لتوقيع الكثير من المعاملات، خاصة تلك الخرائط العائدة للمشروع الذي نوقش قبل ساعات. رغم هذا راح يمرر



يده على جسده، فعرف أن سرواله تمزق، يده تؤلمه وكذلك رجلاه، والأسوأ أنه غير قادر على مسح وجهه مخافة أن يتسبب الزجاج المتناثر على كامل جسده بجروح عميقة؛ أخذت الصدمة تنجلي شيئاً فشيئاً، وعاد ليرى النور والأضواء، فاستاء لرؤية كارول آن إلى جانبه وكأنها لن تدعه وشأنه، فقرر أن يشتري خاتم زواج حتى تكف عن إبداء رغبتها في مساعدته وتعريفه على صديقة من صديقاتها، لكن هذا سيزعج بول وسيلومه جداً على ارتكاب مثل هذه السخافة.

سيارة الاسعاف بأضوائها وبوقها تقترب من موقع الحادث، آرثر يفكر بالوقوف، حتى لا يزعج أحداً، إعتقاداً منه أنه مصاب بجرح بسيط في فمه ناتج عن سقوطه على الأرض، تقدم منه سائق الدراجة يسأله عن حاله ويبدي أسفه لما حصل، بسبب عطل ميكانيكي.

لم يتمكن آرثر الوقوف على رجليه. ولكن الذي صدمه مجدداً كان صوت كارول آن فهو لا يرغب أن تساعده، حتى لا تسترسل فيما بعد في الحديث كيف أنقذت حياته وكيف ساعدته على الوقوف. «يا لهذه المصيبة؟ صاحت كارول آن. أنا كنت متأكدة من أنك أنت هو من أصيب.» وراحت تنفض قطع الزجاج عن جسده بعناية وعن رأسه خاصة. وتابعت تقول «فعلاً أنت إنسان محظوظ فها أنا ما أزال بقربك» رمقها آرثر بطرف عينيه وكأنه يقول لها اغربي عن وجهي، يكفيني ما أعاني من آلام الجراح في كافة أنحاء جسدي. «ماذا كنت تفعل هنا؟» تساءلت كارول آن.

- كنت أشتري طوقاً لكلب جارتي السيدة موريسون.

- لكلب جارتك؟ كم هي محظوظة هذه السيدة؟

استمر آرثر يتعامل معها بلطف وأدب واحترام، مع أنه غير قادر على

تحمل الموقف الذي هو فيه. حاول استعادة توازنه ومحادثتها وكان شيئاً لم يكن، «بعد أن افترقنا التقيت إمرأة أخرى لكنها دخلت في حالة غيبوبة نتيجة حادث سيارة، وبعد ستة أشهر وافقت والدتها على المجيء إلى أسلوب الموت الرحيم، لكني رفضت ذلك». فاختطفتها بمساعدة صديقي بول أعني اختطفت جسدها من المستشفى».

ـ ماذا تعني بقولك اختطفت جسدها؟

ـ «أعني أننا سرقنا جسدها؛ بعد أن سرق بول سيارة إسعاف وقادها هو أيضاً، ولهذا اضطر بول أن يخبر الآخرين بأني أرمل، بينما الحقيقة هي أني نصف أرمل، أنا نوع نادر من الرجال».

حاول الوقوف دون مساعدة أحد، لكنه لم يكن قادراً على ذلك. ساعدته كارول آن في الوقوف على رجليه وحاول أن يكلم صديقه، لكن كارول آن أصرت أنه بحاجة لطبيب، فهو غير قادر على إستعادة قواه والوقوف متوازناً، فعاد وجلس على حافة الرصيف.

بالقرب منه توقفت سيارة الإسعاف، ترجل رئيس الفريق الطبي واتجه نحوه بناءً لإشارة من كارول آن.

ـ هل أنت بخير سيدي؟

لم تسمح له كارول آن أن يجيب، بل أجابت هي بالنفي. فقدم المسعف وتأبط ذراعه محاولاً مساعدته للوصول إلى سيارة الإسعاف، لكن آرثر طلب منه السماح له بالعودة إلى منزله، ورفض المسعف ذلك رفضاً باتاً، ولما وجد آرثر أنه لا بد من الذهاب إلى المستشفى، قبل أن يوضع على الحمالة وتغطى عينيه بالشاش المعقم. وهكذا لم يعد يرى شيئاً. وانطلقت سيارة الإسعاف مخترقة شارع سوتر. ثم انحرفت إلى جادة فان بنس نحو مستشفى سان فرنسيسكو للذكاري.

# الفصل السادس

دق جرس المصعد، معلناً الوصول إلى الطابق الثالث، فُتح الباب وخرجت لورين دون إلقاء التحية على طلاب الطب المتمرنين الذين يعملون تحت إشرافها. على الحائط المواجه لباب المصعد لوحة بيضاء مكتوب عليها «الطابق الثالث ـ قسم طب الأعصاب».

الأضواء المتدلية من السقف، تلقي بأنوارها على البلاط المربع الاضلاع، ووقع أقدام لورين يُسمع كلما لامست أرض الطابق. توقفت عند باب الغرفة، 307 حاولت قرع الباب. لكنها تراجعت ومدت يدها فتحته ودخلت.

سرير فارغ لا حياة فيه، في الزاوية بالقرب من باب غرفة الاستحمام عمود المصل الحديدي لا شيء عليه. إنه يقف كجثة هامدة.

جهاز الراديو الموضوع على الطاولة الملاصقة للسرير، صامت صمت القبور، الألعاب التي كانت متناثرة هنا وهناك رحلت من هنا إلى غرفة مجاورة أو إلى مكان لا تعرفه. بالأمس كانت هذه الألعاب دلالة أمل وحياة. فأين هي اليوم؟

على الجدران لم يتبقى من الرسومات التي كانت معلقة عليها، سوى بعض قطع ممزقة وبقايا الأوراق اللاصقة. فالصغيرة مارسيا لن تعود إلى هنا، ولن تلون أوراقاً جديدة، ولن تناجي صديقها الذي يخاف الناس والنور.

جلست لورين على حافة السرير الفارغ وراحت تتذكر كيف كانت مارسيا ترقد عليه. بيد مرتجفة فتحت جارور الطاولة الملاصقة للسرير وتناولت ورقة مطوية، سبق لمارسيا وأخبرتها عنها. تريثت قبل فتحها لتقرأ ما كتبته الصغيرة، فاحتارت. بالفعل، هذا هو لون عيني، فكيف عرفت ذلك، وهي التي أفقدها الورم الدماغي نظرها؟ انهمر الدمع على خديها، واستمرت هكذا حتى تحول البكاء إلى ما يشبه النحيب «لماذا وعدتها.. لقد وثقت بي.. لماذا وعدتها؟».

فُتح باب الغرفة، دون أن تنتبه لذلك. إنها غارقة في حزنها. حتى أنها لم تسمع وقع أقدام رجل شاحب الوجه، اقترب منها وراح يراقبها. إنه سانتياغو ذي البذة الأنيقة واللحية التي غزاها الشيب. جلس إلى جانبها، ووضع يده على كتفها «لا تلومي نفسك.. أنت لست إلهاً، أنت مجرد طبيبة». حدثها بلكنة أرجنتينية.

فوجئت لورين، فانتصبت مكانها ومالت بوجهها نحو الصوت «وأنت من تكون؟».

ـ «أنا والد مارسيا». قال سانتياغو وتابع «أتيت لأجمع ما تبقى من ألعاب ورسومات.. صدقيني إني أكذب على نفسي، ولكن ما العمل إذا كانت والدتها غير قادرة، حتى على السير بضعة خطوات؟ ارتاحي يا ابنتي فهناك أولاد آخرون بحاجة إليك، بحاجة لعنايتك ورعايتك».

بصوت متهدج أجابت «أشكر ثقتك ولكن..

قاطعها سانتياغو «ولكن ماذا؟».

ـ ولكن عليّ أنا مواساتك ولست انت.



حدق بها قليلاً، ثم أخذها بين ذراعيه وعانقها بقوة؛ بأسلوب حضاري راقٍ، وضع حزنه جانباً، واهتم بحزن لورين.

* * *

توقفت سيارة الإسعاف أمام مدخل الطوارئ في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري. المسعفون يتأبطون ذراع آرثر ويتجهون نحو مكتب الاستعلامات.

ـ ألا يمكنكم رفع هذه الأربطة عن عيني.. صدقوني أنا بخير وأريد العودة إلى منزلي. قال آرثر.

ـ ومن قال غير ذلك؟ قالت باتي «لن أدعك هنا إلا إذا كنت بحاجة للاستشفاء، وجميع الموجودين هنا يرغبون بالعودة إلى منازلهم أيضاً. فانتظر نتيجة المعاينة».

ـ ومتى يأتي الطبيب لمعاينتي؟

ـ لن يتأخر أبداً.. قالت هذا ورفعت يديها نحو السماء مستغيثة من هكذا مرضى. طلبت من المسعفين إدخاله صالة الإنتظار وابتعدت.

أخذت لورين رأسها وراحت تكفكف الدمع براحة يدها. «أشكرك لأنك سمحت لي أن أذرف الدمع. لقد ساعدتني على التعبير عن حزني وألمي». قال سانتياغو.

ومرت لحظات صمت وسكون، وكأن لا أحد منهما يرغب بقول المزيد.

بصوت مرتجف مرتعش قطعت لورين هذا الصمت متسائلة «هل كنت تحكي لمارسيا بعض الأقاصيص والحكايات التي تتناسب مع عمرها؟».

ـ الحقيقة، أني كنت أعيش بعيداً عن عائلتي وعن مارسيا بالطبع منذ أيام عدت لأكون إلى جانبها أثناء إجراء العملية.

كنت أهاتفهم كل ليلة، وأروي على مسمعها قصصاً عن الحيوانات التي ما تزال في الغابات التي لم يكتشفها الإنسان حتى اليوم، وكذلك عن النباتات. منذ سنوات ثلاث، وأنا أفعل هذا، أحدثها عن الغزلان والأرانب السحرية والأشجار والنسر الذي يحلق على شكل دائري بحثاً عن فريسة ينقض عليها ويقتات بها. والأغرب أن مارسيا كانت تصحح لي بعض الأحيان ما أرويه عليها، وتقول إني لم أقل ذلك من قبل، أوقلت ما يخالفه.

كنت أحدثها عن ثمرة البندورة الذكية والخيار المبتسم.

ـ هل حدثتها عن طائر البوم؟ تساءلت لورين، البوم الذي يخاف النور؟

ـ آه يا عزيزتي لم أكن أقصد البوم فعلاً، إنما كنت أقصد إميليو الذي كان يعمل حارساً ليلياً، فيما الكل في سبات عميق، وعند شروق الشمس، كان إميليو يذهب إلى إحدى المغاور لينام، وهكذا لم يكن له وبين النور علاقة، حتى بات يخشاه.

وتابع سانتياغو يقول «كثيراً ما كانت تغفو قبل أن أكمل لها الرواية أو الحكاية، وحين تمسك والدتها سماعة الهاتف، كنت أسمع أنفاس مارسيا وكأنها معزوفة موسيقية حالمة تنعش روحي، وتعطيني القدرة على الإستمرار في تحمل عذابات الغربة والعمل الشاق المضني».

وقف سانتياغو والدموع ما تزال تبلل خديه. في الأرجنتين كنت أعمل في بناء السدود المائية، إنها أعمال مضنية.

انحنت لورين تحت السرير وراحت تبحث بين الألعاب عن لعبة



البوم الأبيض الملتف الأجنحة، وحين وجدتها قدمتها لوالدها الذي داعب ريش ذاك الطائر وأعاده إلى لورين، راجياً منها الاحتفاظ به كذكرى «أعدي له حريته وحاولي أن تنزعي الخوف من النور من حياته».

عاد وعانقها مودعاً وغادر الغرفة والدموع لا تبلل خديه وحسب، بل وذاك الصندوق المصنوع من الورق المقوى الذي يحتوي ألعاب مارسيا. قبيل خروجه من الباب، عاد والتفت إلى لورين التفاتة شكر ووداع.

دق جهاز النداء على خاصرة لورين ليعلمها أن عليها الإتصال بقسم الطوارئ. أسرعت إلى غرفة الممرضات واتصلت عبر الهاتف بالقسم المذكور. شكرت بيتي السماء، لان لورين ما تزال في المستشفى، مما يساعد على معاينة المرضى الوافدين، خاصة ذاك المتورم من الإنتظار والراغب في العودة إلى منزله بأسرع ما يمكن.

رغم ما تعانيه من إحساس بالحزن والأسى لفقدانها تلك الطفلة الصغيرة، وضعت لورين لعبة البوم في جيب مريولها وأسرعت نحو قسم الطوارئ.

* * *

آرثر لم يعد قادراً على تحمل انتظار وصول الدكتور، أحب البحث عن هاتفه الجوال، فلم يجده، ولم يجد جيباً في قميصه، لقد تمزق، الضمادات ما تزال على عينيه. أحب أن يعرف كم الساعة الآن، فهو لا يريد أن يتأخر عن موعده مع بول، لئلا يغضب، تذكر أنه فكر بهذا سابقاً، لكنه لا يعي لهذا التفكير سبباً. نهض من مكانه،

www.rewity.com

وراح يتلمس طريقه نحو مكتب الاستقبال، فأسرعت بيتي لملاقاته «لماذا تتصرف هكذا؟».

ـ لقد سئمت المستشفيات.

ـ حسناً لنغتنم الفرصة ونعيد إضبارة الدخول، ما رأيك؟

ـ ولماذا إضبارة الدخول؟ قال متعجباً.

ـ لأن ذلك يسرّع خروجك من هنا، وهكذا يمكن للطبيب أن يطلع على كل المعلومات فور وصوله.

بيتي إمرأة تمتلك ذاكرة قوية، فقد أثارت ملامح وجهه ذاكرتها «تُرى أين التقيت هذا الإنسان سابقاً؟» تساءلت لكن أعمالها الكثيرة منعتها من الاستمرار في التفكير بهكذا أمور.

همّ آرثر، أن ينزع الضمادات عن عينيه للعودة إلى المنزل بأقصى سرعة ممكنة. عاد وأبلغ رئيسة الممرضات بذلك مذكراً إياها أنه بصحة جيدة ولا ضرورة لبقائه هنا، وحاول نزع الضمادات، لكن بيتي أسرعت وكبلت يديه، راجية منه التحلي بالصبر ريثما تصل الدكتورة.

ـ ما بك.. لماذا تفعلين هذا؟ وهل أنا بحالة الخطر؟

ـ إسمع سيدي، إن أي ألم حتى ولو كان بسيطاً، قد يتفاقم مع الوقت ويصبح، بعد ستة أشهر أو سبعة، مرضاً خطيراً، فهل تريد أن نرسم فوق جسدك إشارة الصليب؟ فقط بمقدورك الخروج قليلاً لإشعال سيجارة ليس أكثر. وفي حال عدم تجاوبك فسأكتب أنك رفضت التعاون للقيام بالفحوصات الطبية اللازمة. أتعرف، حتى وجع الأسنان، يوجب عليك إجراء فحوصات طبية، فكيف في مثل حالتك.. أتريد إشعال سيجارة؟

ـ شكراً فأنا لا أدخن.



ـ أعي أن هذه الضمادات مزعجة، ولكن ليس بمقدور أحد غير الطبيب أن ينتزعها. ها هي قد وصلت.

ـ من التي وصلت؟

ـ الدكتورة.. أجابت بيتي.

منذ مغادرتها غرفة مارسيا، لم تنطق بأية كلمة. دخلت إلى مكتب الاستقبال، تناولت الملف من بيتي وراحت تقرأ ما كتبه المسعف، وما كتبته بيتي وهي تقود آرثر بذراعه إلى الغرفة رقم. 4 أزاحت الستارة لتغطي زجاج النافذة، وساعدته في التمدد على السرير. وباشرت بنزع الضمادات عن عينيه.

ـ إبق عينيك مغمضتين حتى أقول لك افتحهما. قالت لورين.

كلمات قليلة لا تتجاوز عدد أصابع اليد، كانت كافية لإثارة مشاعره وأحاسيسه وجعل قلبه يقفز من مكانه «إنها هي» قال في سره.

نزعت الضمادتين، فتحت جفنيه بيديها، وأنزلت في عينيه نقاط الدواء بواسطة القطارة.

ـ أتشعر بأي ألم أو بأي زوغان في النظر؟

ـ لا.. أبداً. حتى قبل وضع هذه الضمادات لم أكن أشعر بالألم لكن المسعف أصرّ على وضعها.

ـ إذن.. افتح عينيك.

فتح عينيه، ليجد نفسه وجهاً لوجه أمام الإنسانة التي تمنى لقياها صدفة، حين كان يناجي والدته ليلي، وها هي الأمنية تتحقق. وانعكس ذلك على تعابير وجهه، فلاحظت لورين ذلك.

ـ أكل شيء على ما يرام؟

– «نعم كل شيء على ما يرام». قال هذا والكلمات تختنق في حنجرته.

– هات أخبرني بالتفصيل ماذا حدث. وماذا شعرت؟ قالت وهي تنحني فوق وجهه لفحص قرنية العين، حتى كاد خدها يلامس خده، وحتى الشفاه، كادت تتلامس.

– أنت رجل محظوظ.. عيناك سليمتان.

لم يعلق آرثر، لكنها تابعت، «ويبدو أنه لا خوف من أن تفقد وعيك.. هل تحس بأي نوع من الدوار أو ألم في الرأس؟»

– لا شيء من هذا القبيل أبداً.

طلبت إليه أن يستلقي على بطنه، ففعل فراحت تمرر أصابعها على كل فقرة من فقرات العامود الفقري وتسأله إن كان يحس بأي ألم، وكان جوابه دائماً بالنفي.

– أتعرف شيئاً؟

– ما هو؟

– لديك شامة جميلة على شفتك. افتح عينيك ملياً وعد إلى وضعك السابق.

– ولماذا افتح عيني؟

– لأني أنا أريد ذلك. من منا الطبيب أنت أم أنا؟

– لا أنتِ هي الطبيبة.

سلطت ضوءاً على بؤبؤ العين وراقبت مدى التجاوب.

– حسناً كل شيء على ما يرام..

– إذن يمكنني العودة إلى منزلي..؟

– نعم، إنما ليس الآن..



– ولماذا؟

– هناك جراح في جبينك وعليّ تقطيبها أولاً.. ليس أكثر من خمس قطب، أما الجرح في فمك فعليك استعمال مطهر لمدة أسبوع.

طهرت لورين الجرح على الجبهة وتناولت إبرة فيها خيط لحمي من الجارور إلى جانبها وقطبت الجرح وعادت وطهرته مجدداً. ووضعت بعض المرهم، ومن ثم جاءت بضمادة لاصقة ووضعتها فوق القطب حتى أن أطرافها لامست شعر الحاجب.

هذا كل شيء.. أما الجراح الصغيرة فستشفى وحدها. على كلٍ، ومنعاً لأية مضاعفات، سأصف لك مضادات حيوية تساعد على الشفاء، وتمنع أية تأثيرات جانبية.

شكرها وهو يحاول النزول عن السرير، لكنها طلبت منه البقاء حيث هو.

ولماذا؟

– هذا عملي، فعلي التأكد من نبضات القلب وضغط الدم.

حسناً، ليكن لكِ ما تريدين. عاد وتمدد على السرير، فيما هي تلف ذراعه بقماش آلة قياس الضغط. وما هي إلا ثوانٍ، حتى امتقع وجه لورين.

– ما الأمر؟ تساءل آرثر.

– هل كنت تشكو من زيادة في عدد نبضات القلب؟

– لا..

– إذن هناك أمر جديد، فعدد نبضات القلب يفوق المئة وعشرين بكثير، وضغط الدم هو 18 على 9 وهذا أمر غير طبيعي.

نظر آرثر إلى لورين حائراً ماذا يقول، لكنه تساءل في سره

«يا ليتها تدري أنها السبب في هذا»

ـ أهكذا أنت دائماً؟ لماذا هذا الحزن؟

ـ نعم أنا دائماً هكذا.

ـ هل سبق لك ودخلت إلى المستشفى؟

ـ لا.. إلا في حالات إجراء الفحوصات الدورية.

ـ وما هي وظيفتك؟

استغل آرثر انشغال لورين بكتابة الوصفة الطبية وراح يتأمل ذلك الوجه الملائكي، إنها هي، لم يتغير فيها شيء سوى تسريحة الشعر، حتى ذاك الجرح على جبينها ما تزال آثاره ظاهرة «رباه ما هذا الجمال؟» وسمح لنفسه أن يستعيد ذكريات تلك الأيام ويتذكر النافذة وحركاتها.

ـ سأعاود التأكد من عدد نبضات القلب وضغط الدم اتفقنا؟

ودون أن تنتظر موافقته عادت لتنفخ في كرة آلة فحص ضغط الدم، وتراقب ما يرتسم أمام عينيها على الشاشة.

تذكر أنها سألته عن وظيفته فقال «مهندس أنا مهندس».

ـ وهل تعمل أثناء عطلة نهاية الأسبوع؟

ـ إن عملي لا يعترف بشيء اسمه عطلة، ولا يهتم لأسماء الأيام.

ـ أدرك هذا، نحن معشر الأطباء كذلك، لا نعرف الراحة؛ وأقدر عمل المهندسين.

ـ وهل التقيت بمهندس من قبل؟ تساءل آرثر بصوت متهدج.

ـ وماذا يعمل صديقك؟ تساءل آرثر.

تعجبت لورين لهذا السؤال فقالت «ما بك تسألني عن حياتي العاطفية، في حين قلبك يخفق أكثر من اللازم.. من الأفضل أن



أستدعي أحد تلامذتي لمعاينتك».

انفجر آرثر غضباً فنزع آلة قياس الضغط عن ذراعه.

ـ لماذا تفعل هذا؟ أنت من سيندم ليس أنا.

ـ أريد العودة إلى منزلي، وتأكدي سيكون كل شيء طبيعياً، وأعدك بمراقبة ضغط دمي ونبضات قلبي. ولن أتوانى عن العودة إلى المستشفى في حال حدوث شيء يوجب العودة.

رمقته بنظرة أشعلت النار بصدره: وهل اعتبر هذا وعداً منك؟

تمنى آرثر لو تبعد عينيها عنه، فقلبه يكاد ينفجر ويخشى أن يأخذها بين ذراعيه ويشبعها تقبيلاً و يبوح لها بكل شيء: بحبه، وباستحالة عيشه من دونها، حتى ولو اضطرت إلى استدعاء رجال الأمن لرميه خارجاً.

تناول قميصه، أو بالأحرى ما تبقى من قميصه، وولى خارجاً وهو يشكرها، كان يخطو سريعاً في الممر باتجاه الباب الخارجي حين سمع صوتها «آرثر.. آرثر».

التفت إلى الوراء، شعر بقلبه قفز من مكانه ولامس رأسه.

ـ أوليس هذا اسمك؟

ـ بلى إنه إسمي قال ذلك وهو يبلع ريقه ويتساءل وماذا تريدين بعد؟

ـ عد وخذ الوصفة الطبية، وتقدمت منه ومدت يدها لتعطيه الوصفة.. مد يده، وعيناه مسمرتان عليها وقال شكراً.. لقد نسيت.

ـ سبق وشكرتني ولكن أرجوك ارتدِ قميصك فالطقس بارد، لئلا تصاب بارباك في الجهاز الهضمي أم أنك تريد العودة إلى هنا؟

أدخل آرثر يده بكم القميص بطريقة فوضوية وعيناه تتأملان الوجه الملائكي.

ـ ما بك؟ سألته لورين.

ابتسم ابتسامة حزينة وقال «أتذيك يوم في جيب مريولك؟»

لم ينتظر جواباً، بل ولى خارجاً، فيما بيتي تراقبه باهتمام وتتمنى أن يعود إليها.

يا لعنة الله على هذا اليوم! أما يكفي أني التقيت كارول آن وماذا تريد هذه بعد؟

عاد ووقف أمام بيتي: نعم وانت ماذا تريدين؟

قدمت له سجلاً أسود: أرجوك أن توقع هنا وأشارت إلى حيث يجب أن يوقع. ففعل.

ـ «هل تعتقد أنك بصحة جيدة؟»، قالت بيتي.

ـ نعم أنا كذلك.

ـ إذن لماذا هذا الارتباك ؟

ـ لست أدري.

ـ يمكنك المغادرة، قالت بيتي.

ـ لا تنسَ.. وعدتني بالعودة إلى هنا، إذا أحسست بشيء غير طبيعي. قالت لورين.

التفت آرثر إليها وقال: «لن أنس» وولى خارجاً دون أية التفاتة.

تقدم نحو سيارة التاكسي المتوقفة أمام باب قسم الطوارئ. في مكتب الاستقبال بيتي تواضب الملف الطبي، وإلى جانبها لورين تلاحقه بنظراتها «أما يشبهه؟»

ـ لا أعرف. عما تتكلمين؟ قالت بيتي «ما بك لورين، نحن هنا



نعمل في المستشفى أم في ادارة عامة؟».

في الاثنين معاً.. أنظري إليه، ولو بسرعة أوليس هو؟... إنه لطيف جداً.

رفعت بيتي نظارتيها عن عينيها ونظرت إلى حيث آرثر «ماذا أقول؟ لست أدري أين سبق والتقيته؟» قالت في سرها. في هذا الوقت كان آرثر يصعد إلى السيارة ويتوارى عن الأنظار.

ـ «ليس هناك أي شبه» قالت بيتي.

ـ لا يا بيتي لم تنظري إليه لأكثر من ثانيتين فكيف تحكمين؟

ـ تعرفين إن الله أنعم عليّ بذاكرة قوية، ولو كان هو لكنت تعرفت إليه فوراً.

ـ أصادقة أنت؟

ـ ما بك؟ إنها المرة المئة التي تسأليني عنه.. عليك أن تعرفي أني لست أنا من كان في الغيبوبة بل أنت.

صمتت لورين لبعض الوقت «لست أدري لماذا شعرت أنه هو؟»

ـ ولماذا لم تسأليه؟

ـ وبحث أيعقل أن أقول له ما جرى؟ أن أسأله إن كان هو الذي كان يجلس قرب سريري حين خرجت من الغيبوبة؟ وأنه هو من أمضى خمسة وعشرين يوماً، جالساً عند سريري، ماذا لو قال لا.. ليس أنا؟

ضحكت بيتي.

ـ إسمعيني بيتي، ليلة أمس جاءني بالحلم، حدثني عن أحاسيسه ومشاعره، ولكني لم أعد أتذكر ملامحه.

ـ لو كان هو، لكان تعرف عليك. أو لنقل، لكان حاول أن

يذكرك بما مضى. أخرجيه من رأسك ومن حياتك، إنه ليس هو. عودي إلى عملك هناك مرضى بانتظارك..

ـ فعلاً..

ـ أوليس في حياتك شخص آخر؟

ـ أمتأكدة أنه ليس هو؟ قالت لورين بالحاح.

ـ كل التأكيد.

ـ أخبريني عنه ولو قليلاً.

تركت بيتي كل الأوراق التي كانت بين يديها واستوت في جلستها على الكرسي، وماذا تريدين مني ان أخبرك؟

ـ إنه أمر لا يصدق.. كلكم كنتم هنا؛ وكلكم، على مدى ثلاثة أسابيع ونيف كنتم ترونه يزورني يومياً، ولا أحد منكم يعلم من هو!!!

ـ إنه إنسان وسيم الطلعة، رصين، مثقف جداً، محب وحنون.

ـ وكيف عرفتِ أنه محب وحنون؟

ـ حين جاء لأول مرة.. وقاطعتها لورين متى كان ذلك؟

كان ذلك يوم حركتِ يدك، استقبلته والدتك في الممر أمام غرفتك انحنى وقبل يدها وهو يبكي ثم أسرع نحو غرفتك.

عادت بيتي لتهتم بما عليها فعله من توضيب لأوراق زهرية الون وتابعت تقول: إذا كانت والدتك تقبلت وجوده إلى جانبك، فما شأننا نحن في الموضوع؟ لم يعد من حقنا السؤال من يكون؟ كنا اعتقدنا في البداية أنه صديق حميم، وأثرتِ الغيرة في قلوب الممرضات والطبيبات، فلم تبقى واحدة منا إلا وتمنت لو تحتله منك.



ـ أمر غريب. قالت لورين وتابعت: أمي اعتقدت أنه أحد مرضاي، والدكتور فورنشتاين اعتقد أنه واحد من العائلة، وأنت اعتبرته صديقاً حميماً، يا لها من غرابة! فما من قول يطابق الآخر.

أنزلت بيتي نظارتها حتى أسفل أنفها، ثم نظرت إليها نظرة غضب.

ـ وأنتِ أيضاً يا بيتي كنتِ هنا، انكم تخفون عني أمراً ما، لا أحد مستعداً أن يقول من هو، ولكن لماذا؟ إنه أمر لا يصدق.

ـ ما هذه التفاهات التي تتفوهين بها؟. الشيء الوحيد الذي لا يصدق هو شفاؤك وعودتك إلينا. فاشكري ربك واحمديه، ودعك من التفكير بإنسان اختفى.

تقدمت بيتي وأعطت رزمة من الملفات الطبية للورين وقالت عودي إلى عملك الآن. خرجت لورين وهي تتمتم «يا للسخافة، لماذا أتصرف هكذا، متناسية أني الطبيبة المسؤولة؟»

# الفصل السابع

أوصلت سيارة الأجرة آرثر إلى مدخل البناية حيث يقيم. ترجل منها وراح يبحث عن مفاتيح الشقة؛ إنما عبثاً بحث.

تردد في قرع جرس شقة السيدة موريسون لاعتقاده أنها لن تسمع. سيل من الماء يتساقط عن إحدى الشرفات، تعجب للأمر، رفع نظره، فاذ بالسيدة موريسون تروي المزروعات، لوح لها بيده، فذهلت لرؤيته على هذه الشاكلة، فتحت له البوابة الخارجية كهربائياً، وانتظرته عند مدخل شقته.

ما إن أصبح أمامها، حتى وضعت يديها على خاصرتيها وصاحت به «أين كنت؟ أكنت تلعب المصارعة الحرة؟».

ـ لا سيدة موريسون إنها دراجة نارية وقعت في غرامي، واشبعتني تقبيلاً، وكما ترين!!!

ـ كيف حدث ذلك؟

ـ كنت أمشي على الرصيف، ولم أكد أحاول اجتياز الطريق، حتى صدمتني ورمتني أرضاً أمام محلات ماسيس.

ـ وماذا كنت تفعل هناك؟

لم يشأ أن يخبرها سبب وجوده هناك، وحتى لو أخبرها عن الطوق الذي اشتراه، فأين هو الطوق؟ كل شيء بقي هناك بين حطام الزجاج المتناثر.

انتبهت السيدة موريسون إلى أن قميصه ممزقة في

أماكن عدة: «بالله عليك ما هذا؟».

ـ «لا شيء مهم سيدة موريسون». لم يعد قادراً على الكلام. ألم شفتيه يزداد، وأحس أنها تورمت.

ـ إنتبه آرثر، سأقول لك شيئاً، في المرة القادمة إن أردت مداعبة صديقتك هذه، فاجعلها ترتدي قفازاً وقلّم أظافرها، وكن حذراً.

ـ إنك تضحكينني سيدة روز وشفتاي تؤلمني.

ـ روز؟ لو كنت أعلم أن حادثة دراجة نارية ستجعلك تنادي باسمي، لكنت استدعيت أحفادي، إنهم مهووسون بركوب الدراجات النارية. على فكرة، أمضى بابلو طيلة بعد الظهر وهو يبحث على غير عادته، لم ينم.

ـ حسناً، سيدة روز، أرغب بالنوم.

ـ سأعد لك شراباً ساخناً من حشائش هندية.

شكرها وتوجه نحو باب شقته، لكنها، نادته وهي تلوح له بعلاقة المفاتيح، أتصور جازمة أنك فقدت المفاتيح فهذه هي النسخة الثانية.

تناولها وفتح الباب، وأعادها للسيدة موريسون، «لدي نسخة عنها في المكتب، إذنْ دعي هذه بحوزتك».

دخل آرثر غرفة الجلوس، أشعل المصباح الكهربائي وأطفأه بسرعة أزعجه الضوء، وشعر بدوار وغثيان. دخل غرفة الحمام وتناول حبتي اسبرين. إنها كمية كافية لتسكين مثل هذا الألم. وضعها تحت لسانه حتى تعطي مفعولاً سريعاً. أربعة أشهر برفقة طبية، كانت كافية ليتعلم بعض الاسعافات الأولية.

أحس بمرارة طعم الاسبرين، فانحنى ليشرب الماء من الحنفية مباشرة فإن كل ما حوله يدور ويدور، والألم يزداد. تمسك بحافة المغسلة



بعد قادراً حتى على الوقوف. ليس هذا مستغرباً كما قال لنفسه، فهو لم يتناول أي طعام بعد. توجه نحو المطبخ يتناقل وتناول قطعة من الجبنة وبعض الخبز المحمص، لكنه لم يقو على قضمها، بسبب الجرح في فمه. دخل غرفة النوم، حاول إشعال المصباح، لكن النور لم يكن واضحاً. احتار بالأمر، وتساءل، لماذا هذا المصباح باهت النور، ولماذا تراقص الأضواء البرتقالية؟ ثوانٍ وعاد كل شيء طبيعياً، إلا أنه عاد يحس بالغثيان، حاول التوجه نحو غرفة الحمام علّه يتقيأ، خانته رجلاه، فسقط على الأرض ممدداً جانب السرير غير قادر على الوقوف، حاول الزحف نحو الهاتف، نبضات قلبه تتزايد، شعر بضيق في التنفس. وقبل أن يفقد وعيه سمع رنين جرس الهاتف.

* * *

بغضب نظر بول إلى ساعته، طلب فاتورة الحساب، وضع ما يتوجب، وخرج مع الفتاتين مبدياً أسفه لعدم حضور صديقه. لكن أونيغا راحت تدافع عنه، متفهمة وضعه كعاشق لأربعة أشهر، إنه ما يزال يعيش ذكريات ذاك الحب العاصف الذي كان يتمنى أن ينتهي بالزواج. فهذا، إن دل على شيء، فهو يدل على أنه إنسان نبيل.

علق بول باستياء «كان يتمنى أن ينتهي بالزواج؟» وفتح باب السيارة ودعا أونيغا للصعود.

* * *

من الطبيعي أن يكون آرثر قد غفا. هكذا اعتقدت السيدة موريسون، لكن القلق ظل يساورها، فحالته غير

مرضية. أقفلت باب شقتها ووضعت كوب اليانسون على الطاولة في المطبخ وعادت إلى غرفة الجلوس، بابلو ينام في سله بهدوء. أخذت مكانها أمام جهاز التلفزيون، لكن تفكيرها ما يزال عند آرثر.

* * *

ـ أما تزالين هنا؟ قالت بيتي للورين، هل أنتِ المناوبة الليلة؟

ـ لقد انتهى دوامي..

ـ أتعلمين، لن تمطر السماء مساء الاثنين نجوماً ولا أقماراً تقول لك شكراً أو تقدر فعلك.

ـ لا أعتقد ذلك.

استغلت بيتي الهدوء لإعادة ترتيب الملفات والتأكد من وجود جميع الادوية الضرورية في خزانة الصيدلية. تقدمت لورين عارضة المساعدة، لكن جهاز النداء رن في جيبها، فعرفت أنها مطلوبة في الطابق الثاني.

* * *

أوصل بول ماتيلدا إلى حيث تريد، قبل متابعتهما نحو متجع بيار 93 السياحي للقيام بنزهة ليلية، حيث المحلات تعج بالسواح والمطاعم ملأى بالزبائن. كل ما في المكان يوحي بالرومانسية والهدوء والسكينة. أضواء تتلألأ، لوحات فنية، يافطات ترشد الزبائن والزوار إلى ما يرغبون ويحبون.



طوق بول خصر أونيغا، فاستدارت نحوه حتى صارا وجهاً لوجه.

ـ لماذا اخترت هذا المكان يا أونيغا؟

ـ لست أدري، كل ما أدريه أني أحبه. وأحب أميركا.

ـ أحقا... لماذا؟

ـ يروي مهاجرو بلادي الأوائل، كيف وصلوا إلى نيويورك عبر البحر، ويتحدثون عن الفرح الذي غمرهم لحظة نزولهم من الباخرة، حيث كانوا مكدسين على متنها. كانت مانهاتن تغرق بالضباب، لكن الإحساس بالسعادة كان أقوى من ذاك الضباب.

ـ وأنت.. كيف وصلت؟

ـ أنا غادرت آسيا جواً، أتعرف يا بول، بعد أن خفضت الطائرة ارتفاعها، وأصبحت تحت الغيم، نظرت من النافذة، فكان سجن ألكاتراز أول ما رأيت. اعتبرته رمزاً لحياة جديدة. أهل نيويورك دفعوا ثمن الحرية التي يعيشونها اليوم. وها أنا اليوم هنا، فلماذا لا أغتنم هذه الفرصة، فرصة العيش بحرية والانطلاق نحو المستقبل؟

ـ من أين أتيت، من روسيا؟

ـ للأسف لا.. ليس من روسيا بل من أوكرانيا. والغريب أنها لفظت الراء بلهجة فرنسية. إسمع بول، إياك أن تقول لأوكراني أنه روسي، فهذا يثير غضبه وقد ينهال عليك بالشتائم.

ـ وأنت، ماذا ستفعلين إذن؟

ـ أنا... سأمتنع عن تقبيلك عدة ساعات أو قل ليوم أو يومين.

ـ كم كان عمرك؟

ابتعدت قليلاً، وراحت تمتع عينيها برؤية انسياب المياه، ثم أفلتت

من فمها ضحكة رقيقة قبل أن ترد عليه وتقول « أنا ولدت في سوسالیتو، وتابعت دراستي الجامعية في بيركلي، وأعمل مستشارة قانونية. كم أنت غبي؛ كان بإمكانك أن تعرف كل هذا منذ لقائنا الأول، لكن بدلاً من أن تطرح الأسئلة رحت تسترسل في الحديث عنك وعن آرثر طيلة الوقت».

أحس بول بشيء من الخجل، فاتكأ على الحاجز الخشبي وراح ينظر إلى مياه البحيرة. اقتربت منه حتى التصقت به ووضعت يدها على كتفيه «أرجو المعذرة بول.. أنت إنسان لطيف جداً، وهذا ما دفعني أن أطلب منك مرافقتي إلى هنا، إلى هذا المكان الساحر الحالم. وأعتذر لأني كذبت عليك، فما قلته عن وصولي إلى هنا هو في الحقيقة حكاية وصول والدتي، والآن هل تعيدني إلى الفندق؟»

ـ لماذا؟

ـ لأنه علي أن أبكّر بالعمل غداً.. ليس لأي سبب آخر.

استدارت نحوه وطبعت قبلة على شفتيه.

* * *

لم تستطع السيدة موريسون، متابعة البرامج التلفزيونية؛ هذا ما يشغل بالها ويثير قلقها، إنه آرثر. تناولت النسخة الثانية لمفاتيح شقته، وذهبت إليه، فإذا به ممدد فاقد الوعي قرب السرير فراحت تدغدغ خديه بنعومة علّه يستعيد وعيه. فتح عينيه قليلاً، كان صوتها يدخل أذنيه وكأنه آتٍ من بعيد. عبثاً حاول أن ينطق ولو بكلمة واحدة. لم يكن قادراً، كان يشعر بجفاف في فمه. أسرعت السيدة موريسون وجاءت بكوب ماء وراحت تبلل



شفتيه، وأعلمته أنها ستطلب الإسعاف حالاً، وبالوقت ذاته كانت تمرر يدها على جبينه. تناولت دفتر أرقام الهاتف وراحت تبحث عن رقم ما، في هذا الوقت، استطاع آرثر الإمساك بكوب الماء بيمناه، وشرب بعضاً منه، أحس أن يده اليسرى شبه مشلولة. حاول الوقوف، فلم يقوَ. رجلاه عاجزتان عن الحركة. لاحظت السيدة موريسون أنه استعاد شيئاً من وعيه وتغير لون وجهه.

مدت يدها لتتناول سماعة الهاتف لطلب سيارة الإسعاف، لكن جرس الهاتف رن قبل أن تفعل، تناولت السماعة، فإذا بصوت بول «لما تسخر مني يا سيد آرثر؟» وشدد على كلمة سيد.

ـ هل لي أن أعرف من المتكلم؟ ردت السيدة موريسون.

تعجب بول.. تُرى من هذه التي تتكلم، ولماذا؟

تساءل بينه وبين نفسه ثم قال «أليس هذا منزل آرثر؟».

ـ نعم.. لكنه غير قادر على الكلام.

* * *

كانت لورين ممدة على السرير طلباً للراحة لكن ذلك لم يدم طويلاً، إذ سرعان ما جاءت بيتي تطلب منها النزول إلى قسم الطوارئ، مبلغة إياها أن عراكاً، شب بين الساهرين في أحد المقاهي، وأن عشر سيارات إسعاف هي في الطريق إلى هنا.

ـ وهل كل الغرف جاهزة؟ تساءلت لورين.

ـ هناك مريض واحد، ليس بحالة حرجة..

ـ أخرجيه إذن، واطلبي فريقاً طبياً للمساعدة. فعشر سيارات إسعاف قد تحمل عشرين مصاباً.

* * *

قبيل وصوله إلى شقة آرثر، سمع بول صفارات سيارة الإسعاف، نظر إلى المرآة الجانبية لسيارته فرآها آتية خلفه.

زاد من سرعته، والقلق يعتريه على صحة صديقه، لم تكد السيارة تقف، حتى ترجل بول، كانت البوابة الخارجية مفتوحة، فأسرع متسلقاً الأدراج، وما إن دخل الشقة حتى وجد صديقه على ما هو عليه، والسيدة موريسون تفرك يديه.

ـ أرعبتني يا صديقي. قال بول.

ـ إنه يتحسن ببطء قالت السيدة موريسون، وأضافت، لقد طلبت سيارة الإسعاف.

ـ وصلت.

اقترب بول من آرثر وانحنى فوقه والدمع يبلل وجنتيه. مد يده وأخذ يمسد جبينه؛ كيف أنت الآن يا صاحبي؟

أدار آرثر رأسه نحو بول الذي تأكد من خطورة الوضع.

ـ لا عليك ستكون بخير.

ـ إني لا أراك يا بول، قال آرثر بصوت خافت.

www.rewayti.net

# الفصل الثامن

تأكد سائق سيارة الإسعاف، من صفارة الإنذار ومن الأضواء. أسند رأس آرثر على الحاجز الفاصل بين السائق والغرفة الخلفية وانطلق مسرعاً.

مدام موريسون، ما تزال على شرفة الشقة تراقب سيارة الإسعاف، حتى انحرفت عند المنعطف واختفت. أقفلت النافذة. أطفأت الأنوار وعادت إلى شقتها، بانتظار اتصال هاتفي من بول يعلمها فيه عن وضعية آرثر، كما وعدها.

بول إلى جانب صديقه. المسعف يراقب نبضات القلب وضغط الدم. أوما آرثر لبول أن يتقدم منه وهمس في أذنه « لا تأخذوني إلى مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، لقد كنت هناك».

ـ هذا يعني ضرورة العودة إلى هناك وإثارة فضيحة، كيف سمحوا لك بالخروج وأنت على ما أنت عليه؟ هذا خطأ مهني يُعاقب عليه...

صمت بول قليلاً ثم عاد ليتساءل «وهل رأيتها؟».

ـ نعم وهي من أسعفني.. وأنا من رفض البقاء.

ـ لا أصدق..

أدار آرثر رأسه بالاتجاه الآخر دون أية كلمة.

ـ إذن لهذا السبب أنت هكذا.

رفع بول الستارة التي تفصله عن السائق «إلى أي مستشفى نحن ذاهبون؟»

ـ إلى مستشفى سان بيدرو. أجاب السائق.

ـ حسناً، قال بول وهو يغلق الستارة. نظر بول إلى صديقه «استرح فلن نذهب إلى هناك. يبدو أنك في حالة هذيان؟ أيعقل أن تلتقي جميع صديقاتك السابقات في يوم واحد، لا شك أن هذا ضرب من الخيال. على كلٍ ستكون بخير».

عشر دقائق، ووصلت سيارة الإسعاف إلى مستشفى سان بيدرو، ونقل آرثر على الحمالة إلى قسم الطوارىء مباشرة، ومن النظرة الأولى، أدرك بول أنه ارتكب خطأً فادحاً بالمجيء إلى هنا. تركت الممرضة سيبيل سجلاً كان بيدها وأرشدت المسعفين إلى غرفة المعاينات، وضع المسعفون آرثر على السرير وغادروا المكان، بينما بول يقرأ التقرير عن حالة صديقه الذي وضعه المسعفون.

انتصف الليل والطبيب لم يحضر بعد، غير أن سيبيل أكدت حضوره سريعاً، وأنه أنهى جولته العادية على المرضى في الطابق الثاني.

في قسم الطوارىء، ما يزال آرثر، ممدداً على السرير مع شعور بتحسن وضعه الصحي، لم يعد يشعر بآلام الرأس ولا بالغثيان، فاستسلم للنوم وراح يحلم «حديقة تضم شتى أنواع الورود والأزهار. ألوان متنوعة وأغصان تتمايل مع نسيمات الريح. أزهار الكاردينيا البيضاء تتناثر هنا وهناك، وتضفي على الحديقة سحراً لا يوصف. السيدة موريسون تقطف وردة وتعود لتجلس على الأرجوحة وعلى شفتيها ابتسامة عريضة، فيما بابلو نائم عند قدميها. عادت السيدة موريسون تجمع الورود والأزهار، وتخيطها



على قميص آرثر الممزق من جراء الحادث. إنها فكرة رائعة، ترقيع القميص بالورود».

«في كارمل، ينفتح الباب، وتخرج ليلي، حاملة صينية فضية، عليها كوب شاي وبعض من البسكويت للكلب. تقدمت منه وقالت:

ـ هذه لك يا كالي.

ـ استغربت السيدة موريسون، من اين جاءت ليلي بهذا الاسم «كالي»؛ فاخبرتها، أنه يدعى بابلو لكن ليلي ترفض إلا أن تناديه كالي؛ وشاركتها السيدة موريسون التي ما تزال تتأرجح، القول «كالي.. كالي.. كالي».

التفتت ليلي وروز نحو آرثر، وأمرتاه أن يلزم الصمت، مما أغضبه وأثار غيظه.

«فجأة تلبدت سماء كارمل بالغيوم الحبلى بالمطر، الذي بدأ ينهمر ويحدث صوتاً عند اصطدامه مع قرميد السقف. ازداد انهمار المطر، فتجمعت المياه مشكلة بركاً موزعة في الحديقة».

«تركت السيدة موريسون سترتها على الأرجوحة ودخلت المنزل، وتبعها بابلو، وهو يخبىء ذنبه بين رجليه وآرثر يصارع الريح وشدة العاصفة، أراد مناداة والدته لكن الكلمات انحبست في فمه. أين ترى بامكانه أن يختبىء؟ في المغارة عند الشاطىء؟ الوصول إليها صعب: نظر إلى الوراء فإذا به يرى غابة كثيفة الأشجار والنباتات تلتف حول جذوع الشجر أحس بالغثيان وبدوار في رأسه».

استفاق، أحنى رأسه على جانب السرير محاولاً أن يتقيأ، أسرعت الممرضة سيبيل وحالت دون سقوطه.

ثارت ثائرة بول وخاطب الممرضة «هل سيأتي هذا الطبيب، أو أذهب إليه وأجلبه بالقوة؟»

بول في ثورة غضب، والطبيب المناوب، يجلس مرتاحاً على كرسي في إحدى غرف العناية الفائقة، في الطابق الأخير من مبنى المستشفى، يتحادث هاتفياً مع صديقته التي قررت الإنفصال عنه، مبدية أسفها لقرارها هذا، لكنها تسهب في تعداد الأسباب التي أجبرتها على اتخاذ مثل تلك الخطوة. «لا شيء يجمع بينهما» كما قالت. وأضافت من الأفضل أن يمضي كل منا في طريقه.

لكن الطبيب، يحاول إقناعها بالإستمرار معاً، ويعبر لها عن حبه ومشاعره، وهي لا تأبه لما يقول، إنها توضب حقيبتها للذهاب مع صديق قديم ينتظرها عند مدخل البناية، ولن تتابع الحديث. لكنه يرجوها الانتظار حتى الإنتهاء من معاينة مريض مصاب بأزمة قلبية، وللتأكيد على صحة قوله، وضع سماعة الهاتف على صدر المريض ليسمعها دقات قلبه.

حنّ قلب فيرا فأبلغته أنها ما تزال مترددة في اتخاذ القرار النهائي، مع أنها تميل إلى التخلي عنه، طالبة منه قطع المكالمة، حتى لا تتسبب ذبذبات الهاتف الجوال بأعطال في الآلات الطبية. لكن الدكتور بيرسون. وبلهجة الآمر الناهي، طلب منها الإنتظار حتى الغد، ليكون حديثهما وجهاً لوجه، هكذا تقضي اللياقة كما قال وقطع الإتصال.

للمرة الثالثة أو الرابعة يرن جرس آلة النداء في جيبه. في الجانب الآخر، حسمت فيرا الأمر وقررت الإنفصال عنه نهائياً.

لقد مر على الحادث ساعات: آرثر يعاني من نزيف في الدماغ،



والذي ساهم في تفاقم الحالة، تناوله للأسبرين الذي يساعد على سيلان الدم، وتسبب في اضطراب الرؤيا وفقدان التوازن. أصبح الأمر حرجاً جداً، الدم تجمد عند أطراف الدماغ. النزيف لم يتوقف ومع كل لحظة دون علاج يزداد الأمر خطورة، وآرثر ممدد على السرير في قسم الطوارىء بانتظار وصول الطبيب. وعدا عن النزيف، هناك التهابات في الرأس. كل هذه راحت، تتفاعل لتزيد الأمر خطورة؛ وتوقف بعض خلايا الدماغ عن القيام بمهامها، وهكذا دخل آرثر مرحلة اللاوعي.

راح بول يبحث عن الممرضة التي توسلت إليه أن ينتظر، لأن الطبيب المناوب هو من النوع الجاد والصارم وليس بمقدورها الضغط عليه.

ثوانٍ. وكان بيرسون، يدخل الغرفة والغضب بادٍ على وجهه سائلاً الممرضة «لماذا كل هذه النداءات؟ أما بإمكانك الإنتظار؟»

* * *

في مستشفى آخر، ينفتح باب المصعد، في قسم الطوارىء وتخرج منه لورين مسرعة. رجل في الخامسة والأربعين طعن بسكين في بطنه فتمزقت أحشاؤه. الدم ينزف بقوة. سيطرت لورين على الجرح الأساسي، وتأكدت من انتظام دقات القلب، لكن جروحاً أخرى ما تزال تنزف. أدخلت يدها وضغطت على الإمعاء الغليظ لوقف النزيف فيه.

تمكنت بيتي من حقن المريض بالمصل ومن إدخال حقنة كيس

الدم في عروقه، تعويضاً عن الكمية التي خسرها.

عشر دقائق، ليس أكثر، كان المريض يدخل غرفة العمليات، وبد لورين ما تزال تضغط على الإمعاء. بعد عشرين دقيقة من البدء في إجراء العملية، تمكن الأطباء من إيقاف النزيف، وطلب من لورين العودة إلى قسم الطوارىء لأن وجودها هناك أكثر إفادة. خرجت لورين يدها مضرجة بالدم وكذلك رداؤها الطبي، طلبت من بيتي مساعدتها لخلعه وارتداء آخر نظيف بعد غسل يديها جيداً وعادت إلى قسم الطوارىء حيث هناك عدد كثير من المصابين.

* * *

دخل بيرسون غرفة المعاينة، ووقف إلى جانب السرير، اطلع على الملف الطبي، تأكد من عمل الآلات الموصولة إلى جسده، ومن نبضات القلب وحركة التنفس، وجد كل شيء مرضياً، باستثناء حالة الدماغ، فالمريض يفقد وعيه للحظات ومن ثم يعود إليه، وهذا ما يثير القلق.

تقدم بول من الطبيب مستفسراً عن حالة صديقه لكن هذا الأخير طلب منه البقاء في قاعة الإنتظار حيث الآخرون ينتظرون.

بهزء وسخرية أجاب بول: وأين هم الآخرون؟ فإني لا أرى أحداً سوى جدران مهترئة وبلاط صدىء.

نفخ بيرسون صدره وأومأ لبول أن يحادثه من خلف الزجاج، فامتثل بول للأمر، متابعاً استفساره عن وضع آرثر فأجابه بيرسون أنه ليس بمقدوره إعطاءه صورة واضحة، قبل إكمال إجراء



الفحوصات المخبرية والصور الشعاعية. وأردف يقول، ليس لدينا هنا كامل التجهيزات لإجراء مثل هذه الصور، وقد نضطر غداً ـ إذا كان ذلك ضرورياً ـ نقله إلى مستشفى آخر لإجراء مثل هذه الصور أو الفحوصات، وسأله بول «ولماذا الإنتظار حتى الغد، أما يمكن نقله اليوم؟».

لكن الدكتور بيرسون رفض ذلك، موضحاً أنه منذ إدخال صديقه إلى هذا المستشفى، أصبح هو المسؤول عنه، وهو يقرر ما يجب فعله وليس أي إنسان آخر. راح بول يفكر كيف يشبع هذا الطبيب ضرباً، ثم دخل إلى حيث آرثر، أمسك يده «أرجوك آرثر، لا تنم.. لا ترحل يا آرثر.. كلنا بحاجة إليك. أتسمعني؟».

فتح آرثر عينيه، وراح يجيل النظر في أرجاء الغرفة «أتذكر يا بول، تلك الأيام.. أيام المراهقة؟».

ـ بالطبع أذكر يا صديقي.. يبدو أنك الآن أحسن حالاً.. لا تتكلم كثيراً.

ـ كل شيء تغير يا بول.

ـ سنتكلم لاحقاً.. أمامنا عمر طويل، سنتكلم عن كل شيء.

تناول بول قطعة قماش مبللة بالماء ووضعها على جبين آرثر الذي تابع يقول «اليوم عدت والتقيتها، تحدثت إليها، أكان ذلك حقيقة أم حلماً، لست أدري يا بول أتعرف إن أردت فعل المستحيل فعليك ألا تخشى الصعاب والمخاطر».

ـ دعك من إعطاء الحكم الآن..

ـ ولكنك أنت من قلت هذا يا بول.

ـ كنت أعبر عن غضبي.

ـ ومما كنت غاضباً؟

ـ لأننا لم ننل من السعادة ما يكفي قبل أن نصبح عجائز.

ـ أحب أن أصبح عجوزاً، صدقني أحسد العجائز.

ـ أتحسدهم على شيخوختهم؟ قال بول وهو ينظر إلى آلة مراقبة الدورة الدموية، سمر عينيه، «هناك شيء غير طبيعي».

أدرك بول، أن هذا الطبيب المتعجرف قد يتسبب بموت آرثر، ولكن ماذا بوسعه أن يفعل؟ طالما هو ممنوع عليه أن يخبر لورين...».

فقد آرثر وعيه من جديد وهوى رأسه جانباً.

إنها الساعة الثانية إلا أربع دقائق فجراً. عقارب الساعة تسير ببطء ممل، وبول يحث صديقه على استعادة وعيه وهو يفرك له يديه، حتى عاد وفتح عينيه، انفرجت أسارير بول «ستعيش طويلاً يا آرثر وستصبح عجوزاً وستصاب بمرض الروماتيزم، حتى لا تعود قادراً على تناول كوب الماء.»

دخل بيرسون والممرضة ومعهما آلة التصوير الشعاعي المتنقلة. نظر إلى بول فصاح غاضباً «أما تزال هنا، أخرج فوراً، وإلا استدعيت رجال الأمن لرميك خارجاً».

نظر بول إلى آلة التصوير الشعاعي والتفت نحو سيبيل «كم تزن هذه الخردة؟» واستدار نحو بيرسون، أمسكه من عنقه «إسمع جيداً أيها المتعجرف، سيأتي يوم ليس بعيداً، وتطرد فيه من هذه المستشفى. أفهمت أو بالأحرى يجب إقفال هذه المستشفى».

تخلص بيرسون من يدي بول، وطلب من سيبيل تصوير الرأس من زوايا مختلفة، فيما الكل يراقب ما يظهر على الشاشة.



ـ لا شيء يقلق. قال الطبيب.

ـ لا شيء يقلق، قال بول، أنت الطبيب تقول هذا؟

ـ نعم، بإمكان صديقك الانتظار ليوم غد، فنرسله إلى مركز التصوير الشعاعي والصوتي والرنيمي. وسيكون بخير.. إن ما تعرض له هو مجرد حادث بسيط.. والتفت إلى سيبيل طالباً إليها إعادة آلة التصوير إلى قسم الأشعة، لكن بول أصر عليه معاودة أخذ الصور الشعاعية، فما كان من بيرسون إلا أن انتزع الآلة من يدي سيبيل ومضى بها باتجاه المصعد.

صعد بيرسون، أومأت سيبيل لبول أن يتبعها إلى غرفة الإستقبال «أهو في حالة الخطر؟» تساءل بول.

ـ نعم يا سيدي، أرجو أن تتفهم ما سأقول: «أنا لا أنكر أني مجرد ممرضة ولكن خبرتي تؤهلني للقول إنه في حالة حرجة».

ـ صدقيني أثقُ بكِ أكثر من ذاك المستهتر.

ـ إسمع سيدي، معظم الأطباء هنا سفلاء وانتهازيون: «لا هم لهم إلا اللهو، ولا يعيرون حياة الناس اهتماماً، حتى أنهم ينظرون إلى المرضى وكأنهم بذور تجربة في مشتل زراعي، وينسون أن هؤلاء المرضى هم بشر. فإن أردت النجاة لصديقك، إنقله من هنا».

ـ ولكن إلى أين؟ تساءل بول.

ـ هذه ليست مهمتي، عليك أن تتصرف.

أخذ بول يضرب كفاً على كف حيناً، ويفرك جبينه، ماذا يفعل.. منذ وصوله إلى هنا، وهو مدرك أنه ارتكب خطأ مميتاً، حاول أن يفكر بهدوء.

صرخ آرثر لورين.

www.rewity.com

انتبه بول، تسلل مكانه وراح يصغي إلى انين آرثر، أمسك يده «هذا أنا ما أزال إلى جانبك».

- أقسم يا بول ألا تخبر لورين..

- ولماذا هذا القسم؟

- أرجوك أن تفعل. وكانت هي آخر الكلمات التي تفوه بها آرثر قبل الدخول في الغيبوبة مجدداً.

# الفصل التاسع

تناول بول هاتفه الجوال، لكن سيبيل رجته ألا يستعمله داخل المستشفى، حتى لا يؤثر على عمل الآلات الطبية، تجاهل ملاحظتها متسائلاً «وهل هناك آلات أصلاً لتتأثر؟». تجاهلت سيبيل الملاحظة، وعادت ورجته أن يخرج لئلا يشاهده أحد رجال الأمن ويجبره على الخروج.

خرج بول، وراح يبحث عن أي رقم قد يساعده وأخيراً وجد رقماً. أدخل الفرح إلى قلبه.

- مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، أجابت عاملة الهاتف.

- هل لي التحدث مع قسم الطوارىء؟

حولت عاملة الهاتف الاتصال إلى قسم الطوارىء، تناولت بيتي السماعة: قسم الطوارىء، كيف يمكنني مساعدتك سيدي؟

- أرجوك، بعد ظهر اليوم عولج جريح عندكم من جراء حادث دراجة نارية.

- وهل أنت أحد أفراد عائلته.

- نعم إنه أخي.

تذكرت بيتي الحالة وشرحت لبول كيف عولج وكيف خرج.

- هل من الممكن التحدث إلى الطبيب المعالج. أعتقد أنه كانت طبيبة.

- أمرك سيدي، ولكن عليك أن تعلم أن عشرين بالمئة من مرضى

الطوارىء يعودون إلى المستشفى بعد أربع وعشرين ساعة، إما بسبب خطأ في التشخيص عند وقوع الحادث، أو بسبب تفاعلات جانبية.

ـ لست الآن في مجال تحميل المستشفى مسؤولية ما، صدقيني، إنما أريد التحدث إلى الطبيبة التي عاينته.

نظرت بيتي من نافذة الزجاج أمامها، فإذا بلورين تمر في الممر، فأشارت إليها بالدخول لأن هناك من يرغب بالتحدث معها هاتفياً. تساءلت لورين «هل هي والدتي؟».

ـ أمك؟ ومتى فعلت هذا عند هذه الساعة؟ إنها الثانية والنصف فجراً. إنه...

ولم تسمح لورين لبيتي بإكمال حديثها، تناولت السماعة ولم تكد تقول «ألو» حتى بادر بول للقول «أتذكرين أنك عاينت منذ ساعات رجلاً أصيب بحادث دراجة نارية؟

ـ نعم.. أذكر ذلك جيداً.. هل أنت من قسم الشرطة؟

ـ لا... أنا صديقه.

ـ هل تعرض لأية نكسة صحية.

ـ إنه في حالة الغيبوبة.

ـ ماذا؟ قالت لورين وأحست بخفقان في قلبها. وراح كل جسدها يرتجف. ماذا؟؟؟.. اطلب الرقم 119 واجلبه إلى هنا، أنا بالإنتظار.

ـ عفوك دكتورة، لكنه الآن في مستشفى سان بيدرو، والأمور تسير من سيء إلى أسوأ.

ـ آسفة سيدي، لن أستطيع مساعدته، فمن غير اللائق أن أعاينه في مستشفى لا أعمل فيه، ولكن قد أطلب من أحد زملائي العاملين



هناك الإهتمام به. على كل باستثناء الجرح الذي في فمه لا شيء غير طبيعي.

وصف بول للورين حالة آرثر المتدهورة، لكن الطبيب المناوب يدعي أن لا شيء يدعو إلى القلق وأن كل هذا، هو مجرد حالة عابرة، وبامكانه الإنتظار للغد لإكمال الفحوصات.

ـ ولكن كما تعلم ليس بمقدوري قول شيء إلا بعد الإطلاع على الصور الشعاعية والسكانر.

ـ لكن ليس هناك أية سكانر.

ـ ما اسم الطبيب المعالج؟

ـ دكتور بيرسون.

ـ باتريك بيرسون. قالت لورين.

ـ أتعرفينه، إنه هو.

ـ كان زميلي في السنة الرابعة، طبيب مغرور.

ـ ولكن أرجوك.. أرجوك ماذا عليّ أن أفعل لأنقذ صديقي؟

ـ ليس بإمكاني الإنتقال إلى مستشفى سان بيدرو سأحاول التحدث مع الدكتور بيرسون علنا نتفق على شيء، ولربما أقنعه إجراء السكانر الليلة، فنحن هنا نداوم ليلاً نهاراً. ولكن لماذا لم تأتِ به إلى هنا؟

ـ إنها حكاية طويلة وغريبة.

لمح بول الدكتور بيرسون يدخل غرفة سيبيل، فطلب من لورين البقاء على السمع ودخل إلى غرفة سيبيل قائلاً للدكتور بيرسون «هناك من يرغب بالتحدث إليك» ووضع الهاتف على أذنه.

تبادلت لورين مع بيرسون وجهات النظر وأوضح لها أن حالة

المريض طبيعية ولا داعي لهذا القلق الذي يبديه صديقه، وأغرب لها عن سروره لسماع صوتها متمنياً أن يلتقيا قريباً، إما لتناول فنجان قهوة أو العشاء، ومن ثم شكرها على هذا الإتصال وأقفل الخط. بدا منزعجاً جداً ووضع الهاتف النقال في جيبه وتوجه لبول قائلاً «إما أن تخرج من هذا المستشفى وإلا لن أعيد لك هاتفك» لكن بول اعترض على هذا التهديد مبدياً استعداده عدم استعماله داخل المبنى، ومتسائلاً عما قالت له زميلته، فكان جوابه أنها تثق به كل الثقة، وأمسك الهاتف النقال ومحا عنه جميع الأرقام العائدة للأطباء أو المستشفيات، ومد يده ليعيد الهاتف النقال إلى بول وهو يوجه له التهديد أنه في حال استعماله ثانية، ستستدعي سيبيل رجال الأمن «أتعرف لماذا؟ لتتلقى درساً في اللياقة والأخلاق أرجو أن يكون هذا واضحاً لديك» ومضى في طريقه يختال كالطاووس.

نظرت سيبيل إلى بول وهي تهز كتفيها وكأنها تقول ليس بيدي حيلة ولست قادرة على المساعدة. أنا مجرد ممرضة.

* * *

عند الساعة الثالثة فجراً، أنهت لورين معاينة آخر جريح وهمت بالخروج. قبل ساعة بالتمام انتهى دوامها، لكنها ما تزال تعمل؛ ابتسمت وهي تستعد للعودة إلى منزلها، لكن الممرضة المساعدة رجتها أن تعاين طفلاً مريضاً يعاني من ارتفاع في الحرارة وألم في الأذن.

لم تتوانى لورين عن تلبية الطلب، فتوجهت إلى غرفة الطفل، ونظفت له أذنه وتمنت على بيتي متابعة العلاج.



كان التعب قد أنهكها، ودون أن تنزع رداءها الطبي، خرجت نحو مرآب السيارة وهي تحلم بحمام ماء ساخن يعيد الحيوية والنشاط إلى جسدها، وتحلم بوقت راحة أطول، حتى تتمكن من الإستمرار في العطاء.

جلست وراء المقود، وضعت حزام الأمان، وانطلقت بسرعة عادية. بطبعها تحب قيادة السيارة ليلاً في شوارع سان فرنسيسكو. إنما الليلة هناك أمر غريب، لاحظت أن اسفلت الشارع يتطاير تحت عجلات الترلموف الخضراء. أدارت جهاز الراديو وزادت من سرعتها، وسرعان ما وجدت أن الطريق مقطوعة بسبب أشغال الصيانة الضرورية.

تقدم رئيس العمال من نافذة السيارة، حياها واعتذر منها على الإزعاج الذي يسببونه واعداً انجاز العمل خلال دقائق، موضحاً أنه يمكن السير عكس السير، ولكن بعد أخذ الحذر الشديد، حاولت الرجوع إلى الوراء فلاحظت سيارة للشرطة تقوم بدورية في المكان، ولفت انتباهها أيضاً أنها على مقربة من مستشفى سان بيدرو، فهو لا يبعد أكثر من مئة متر.

هنيهات وأعطى البوليس الإشارة لمتابعة السير وفق الخط المحدد.

عند بلوغها المنعطف غيرت وجهة سيرها. واتجهت إلى مستشفى سان بيدرو، وتذكرت ذاك التلميذ بيرسون الذي لم تتعرف في حياتها على إنسان يساويه في الانحطاط الأخلاقي.

على النافذة المشرفة على المرآب، كان بول يسند يده، وصلت سيارة إسعاف، أركنها السائق ودخل مباشرة إلى غرفة الإستقبال، علق المفاتيح على مسمار مغروز بلوحة خشبية على الحائط قرب

بيتي التي ناولته مفتاح غرفة شاغرة لينام فيها.

كان بول شارد الذهن، لا يعي ماذا يفعل، يتمنى لو بإمكانه أن يخنق هذا الدكتور الذي اسمه باتريك بيرسون، ألقى نظرة على تصوينة المرآب المشجرة فإذا بسيارة ترايموف خضراء تتوقف، ترجلت منها صبية استدارت نصف دورة، خلعت رداءها الأبيض واتجهت نحو قسم الطوارىء بخطى ثابتة.

«إنها هي» قال بول وتقدم منها «أظنك الدكتورة لورين كلاين أليس كذلك؟».

ـ بلى وأنت من اتصل بي.

ـ نعم ولكن كيف عرفت؟

ـ لا أحد سواك هنا.. وأنت كيف عرفت أني الدكتورة لورين كلاين؟

ـ إنه مكتوب على الرداء الطبي الذي خلعته للتو.

ـ أين هو باتريك بيرسون؟

ـ في الطابق الثاني.

ـ وصديقك؟

أشار بول بيده إلى غرفة المعاينة.

ـ تعال معي.

لا أقدر، لأن بيرسون منعني من دخول البهو، وإلا سيستدعي رجال الأمن، وأصدر أوامره للممرضة المناوبة أن تفعل ذلك أيضاً.

تنهدت لورين، أدركت أن باتريك بيرسون ما يزال كما عرفته منذ زمن. « لا تقلق سأدخل وحدي بصفتي صديقة حميمة للمريض، ولا أعتقد أن بيرسون سيحول دون معاينتي له».



ـ أرجوك ألا تناديه باسمه، ارجوك ألا تفعلي هذا.

ـ من، بيرسون؟

ـ لا.. بل الذي جئت من أجله. أتعلمين؟ منذ ساعتين وأنا أتضرع لجميع الأنبياء لمساعدتي وها هو الله يرسلك.

ابتسمت لورين وتابعت طريقها فيما بول عاد ليصلي ألا يتصرف بيرسون معها بأسلوبه الوقح اللاأخلاقي.

تابعت لورين مسيرها نحو غرفة سيبيل التي ما إن رأتها، حتى وضعت سجلاً كان في يدها جانباً، وراحت تتأملها، أدركت أن هذه القادمة، ليست إنسانة عادية، إنها دكتورة لا شك. إنه الحدس الذي اكتسبته خلال عشرين سنة في عملها كممرضة، إذن، يمكنها الدخول إلى حيث تشاء، دون خوف من عصبية بيرسون أو لومه.

رافقت سيبيل لورين، بعد أن تعارفا إلى حيث يرقد آرثر، من خلال الآلات الموصولة إلى جسده، عرفت أنه يعاني من ضيق تنفس غير حاد، ومدت يدها لقياس النبض فوجدته أقل مما يجب أن يكون، وعلى عكس ما كان عليه بعد الظهر.

توجهت نحو اللوحة المضاءة حيث الصور الشعاعية التي أخذت للرأس: أهذه له؟ تساءلت لورين باندهاش.

رفعت سيبيل رأسها إلى السماء: نعم إنها له أخذت منذ أقل من ساعة، وأبلغتها أنها ستتركها وحيدة في هذه الغرفة للقيام بما يجب القيام به وبإمكانها الإطلاع على الملف الكامل، لأنها ـ أي سيبيل ـ لا ترغب بالشجار مع الدكتور بيرسون.

تابعت لورين خطوات سيبيل وهي تخرج، ومن ثم عادت لتركز اهتمامها على تحليل الصور الشعاعية التي ما من طبيب رآها، حتى

لو كان ما يزال متدرجاً، إلا وتأكد من وجود نزيف في الرأس، وتأكد أيضاً أن هناك كمية من الدم متجمدة على الجهة الخلفية للدماغ، ومنعاً لتوقف الدماغ عن القيام بوظائفه، لا بد من إجراء عملية جراحية عاجلة، وبالطبع بعد إخضاع المريض لصورة سكانر.

فجأة دخل بيرسون إلى غرفة سيبيل، وهو يضع يديه في جيبه: هل ما يزال في غرفة المعاينة هل استفاق؟

ـ كلا لم يستفق، لكنه يتنفس شبه طبيعي ونبض القلب مستقر.

أشار بيده إلى بول الذي كان يجلس على كرسي عند المدخل، وهذا أعاود إزعاجك؟

ـ لا.. أبداً.

كانت سيبيل ترد على أسئلة بيرسون دون أن ترفع نظرها إليه لكنها تساءلت «أما تعتقد أن هناك نزيفاً في الرأس، وقد يكون متجمداً حول الدماغ؟».

ـ عليك أن تفهمي أنت هنا لست أكثر من ممرضة. أفهمتك هذا مراراً وتكراراً، وما تزالين تحاولين لفت نظري إلى أمور ليست من اختصاصك. لا أنكر أنه مريض جداً، ولكن حالته ليست حرجة. غداً سنجري له صورة صوتية على سبيل الإحتياط ليس أكثر. دوني هذا على إضبارته واكتبي أنه بناء لطلبي.

ـ أمرك دكتور بيرسون.

هم بالخروج لكن سيبيل أخبرته أن صديقة المريض وهي طبية جاءت لزيارته وهي الآن في غرفة المعاينات إلى جانب سريره.

ـ ماذا زوجته؟

ـ لا.. صديقته.



خرج بيرسون واتجه نحو غرفة المعاينات، فيما سيبيل وقفت حائرة من أمرها، ونظرت إلى بول وكأنها ترجوه البقاء مكانه.

دخل بيرسون غرفة المعاينة وألقى التحية على لورين وردت عليه بمثلها متسائلة عما ينوي أن يفعل لهذا المريض.

ـ حسناً، لا شك أن ما يعنيك في الأمر هو إجراء الصورة الصوتية في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، أي كسب الزبائن.

«يا له من حقير ما يزال كما هو» قالت لورين في سرها.

ـ إسمع باتريك، لقد سبق لي وعاينته بعد الظهر، قد تعتقد أني أحتال عليك. ولكن عليك أن تعرف أني ممن يمارسون مهنة الطب حباً بالمهنة، وليس لأي أمر آخر.

ـ تقصدين انك تخشين الوقوع في الأخطاء الطبية.

ثارت ثائرة لورين، أنت مخطىء جداً يا بيرسون. أنا لست هنا، لأني أخشى أن أكون أخطأت التشخيص، بل لأن صديقه طلب مني ذلك على الهاتف، تأكدت من فداحة الخطأ الذي ترتكبه.

ـ لا يحق لك مخاطبتي بهذه الطريقة الهمجية.

ـ أنا هنا، لأطلب منك نقل المريض فوراً إلى مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، وأن عليك تأمين سيارة إسعاف، علينا إجراء عملية جراحية مستعجلة للرأس. كل ما عليك هو طلب ذلك بخط يدك، وأجزم أن رئيس القسم لن يقول لا، واعلم بأن إنقاذ حياة مريض لن يضر بسمعتك.

ـ هذا لو أن حالته تستدعي ذلك. إنه في حالة جيدة وغداً سيشفى، وإن عانى فسيعاني من بعض الدوار أو الغثيان. كما وأطلب منك الخروج من هنا فوراً، عودي إلى عملك يا دكتورة لورين كلاين.

ـ إعلم إنه لا يشرفني البقاء في هذا النزل القذر. وانتزعت الصورة الشعاعية من يده وعلقتها على اللوحة المضاءة وراحت تشرح له، هذا الدم المتجمد حول الدماغ، يشكل ضغطاً عليه، وأنت لست مؤهلاً، لا لفهم هذا ولا لإجراء عملية جراحية. إنه في حالة خطر. ومن ثم أما لديكم آلة تصوير شعاعي حديثة. هناك إصابة في مركز التحكم بالحواس. وعنادك قد يتسبب بموته. أقسم لك أنك ستدفع ثمن عنادك هذا.

بهدوء تقدم بيرسون من لورين، وجرها نحو الخارج طالباً منها تبرير وجودها هنا في هذا المستشفى «وكأنك لا تعرفين معنى اللياقة المهنية، فاخرجي حالاً وإلا استدعيت الشرطة لإخراجك بالقوة، أو لماذا لا نذهب ونشرب فنجان قهوة ونمضي ليلة هادئة؟»

جن جنون لورين لسماعها هكذا كلاماً وفي هكذا مناسبة، رمقته بنظرة احتقار، لكنه تقدم منها ووضع يديه على كتفيها، فما كان منها إلا أن أبعدته بعنف. منذ كنت تلميذاً في الكلية وأنت كتلة من الحقد والحسد يا بيرسون، كنت فاسداً وتحمل الآخرين ثمن فسادك وإفسادك، إن تصرفك هذا سيؤدي إلى خروج هذا الرجل- وأشارت إلى آرثر ـ على كرسي متحرك.

لم يؤثر كلامها به، بل طلب منها الخروج «أخرجي من هنا فوراً، وإلا استدعيت الشرطة وطلبت منها اعتقالك، إذهبي وبلغي الجميع أني طبيب ناجح، وخاصة فيرنشتاين، أبلغيه أني أقوم بمهنتي خير قيام، ولا هم عندي رأيه. أما بالنسبة لهذا ـ وأشار إلى آرثر ـ فلن يخرج من هنا.. إنه مريضي وأنا أقرر ما يجب فعله».

كان بيرسون يتكلم والغضب بادٍ في حركات يديه وفي بروز



عروق الدم من عنقه. تمالكت لورين هدوءها، وضعت يدها على كتفه. «أنا لا ألومك. هكذا عرفتك منذ زمن، ولكن أرجوك يا باتريك، إذا كان ما يزال في أعماق ذاتك ذرة من الإنسانية، أرجوك أن تبقى عازباً وأن تحاول تغيير سلوكك»

فجأة دخل بول ووقف قبالة بيرسون «ما الذي أسمعه؟ سيصاب بالشلل؟»

حدق بيرسون به غاضباً، ودخلت سيبيل معتذرة منه لعدم تمكنها من منع بول عن الدخول.

ـ لقد تماديتما كثيراً. قال بيرسون موجهاً كلامه للورين وبول. ثم التفت نحو سيبيل «استدعي رجال الأمن لإخراج هذين الإثنين من هنا، أما أنا فسأتقدم بشكوى رسمية».

تقدمت سيبيل، أخرجت حقنة من جيب مريولها ودستها في جيب سترة لورين التي استوعبت الأمر، فنظرت إليها نظرة شكر وامتنان، وبغفلة من بيرسون وبدون أي تردد، تناولت الحقنة من جيبها وغرزتها في عنقه.

أصيب بيرسون، بالذهول. حاول الرجوع إلى الوراء وانتزاع الحقنة. إنما بعد فوات الأوان. ما هي إلا ثوانٍ حتى فقد توازنه ووقع أرضاً بفعل حقنة المورفين. «هكذا سترتاح منك لبعض الوقت» قالت لورين.

تُرك بيرسون ممدداً على الأرض، فيما آرثر يأتيه كابوس جديد يؤرق نومه «لم يكن هذا المتدلي من السقف مصباحاً كهربائياً، بل منطاداً. ولكن لماذا لا يريده والده أن يركب الطائرة؟ لقد أعلن القبطان بداية الرحلة. كل الأطفال سيستمتعون بهكذا رحلة، إلا هو

سيبقى هنا، ولن يكون أمامه سوى اللعب بالرمال. لماذا؟ لأن اللعب بالرمال لا يكلّف شيئاً، بينما كلفة الرحلة تفوق الثلاثماية دولار، إنها كلفة عالية. إذن كم ستكون ثمن بطاقة الرحلة إلى النجوم».

وضعت لورين وسادة، تحت رأس آرثر، لكن الكابوس ما يزال مستمراً «كم هي جميلة هذه المرأة التي تقف أمامي، ربطت شعرها على شاكلة ذنب جواد. خداها موردتان، عيناها لامعتان. ولكن لماذا لا تنظر إليّ إلا لماماً؟ بودي لو نكون معاً على الطائرة، وأن يَطمئنّ كل واحد للآخر، أكره أولئك الذين يضحكون بسبب أو بدون سبب، يلهون ويمرحون، حياتهم بدون هدف. الظلام الدامس يغطي وجه الأرض».

ـ يبدو نائماً؟ قال بول.

ـ يبدو كذلك أجابت لورين وهي تراقب نبض بيرسون.

ـ والآن، ماذا سنفعل؟

ـ لدينا نصف ساعة، يمكننا التصرف بها قبل أن يستفيق هذا اللعين. مشيرة الى بيرسون. وتدخلت سيبيل، عليكم الرحيل بأسرع ما يمكن.

إني على استعداد لنقله على المقعد الخلفي لسيارتي إلى مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري قالت لورين، علينا الإستفادة من كل دقيقة، لا بل من كل ثانية.

تقدمت سيبيل، وحلت مكابح السرير النقال، وبدأت بمساعدة بول، سحبه نحو الخارج، متحاشية ملامسة جسد بيرسون، إلا أن السرير اصطدم بزاوية من زوايا الممر وأصدر صوتاً غير مزعج، فيما خرجت لورين لارتداء رداءها الطبي. اختفى بول، لكن ما إن



أقفلت لورين صندوق سيارتها، حتى رأت بول راكضاً نحوها وهو يقول «أنا آتٍ.. أنا آتٍ» رجته العودة، إذ لا يمكن إضاعة الوقت. ووقفت شبه مشلولة التفكير «إلى أين ذهب هذا المجنون؟».

دقائق قليلة، فإذ بسيارة الإسعاف تقف عند مدخل باب الطوارىء، ويفتح بابها الجانبي ويترجل بول.

ـ سننتقل بهذه السيارة.

ـ وهل تحسن قيادة سيارات الإسعاف؟ تساءلت لورين.

ـ نعم أحسن، قال بول وهو يساعد سيبيل على نقل آرثر إلى السيارة.

جلست لورين على المقعد إلى جانب السائق. فيما جلس بول وراء المقود، وسيبيل ما تزال على الأرض بالقرب من باب سائق السيارة.

ـ كنت أتمنى مرافقتكم.

ـ نحن لك شاكرون. فعلاً يعجز الإنسان عن شكرك. قال بول

ـ لا ضرورة لذلك.. غداً سأفقد وظيفتي. لكني غير نادمة، فإن كنتم بحاجة لنديم في سهراتكم، اتصلوا بي لنمضي بعض الوقت.

ضرب بول جبينه براحة يده، دلالة على تذكره شيئاً ما.

ـ ما بك؟ قالت سيبيل.

ـ لا شيء.. ومد يده وأعطاها علاقة مفاتيح.

ـ ما هذه؟

ـ إنها مفاتيح غرفة المعاينة، لقد أقفلتها خشية أن يستفيق بيرسون. ابتسمت سيبيل وضربت بيدها على باب سيارة الاسعاف، كمن يعطي إشارة الإنطلاق. انطلقت السيارة، وكأنها في مهمة عادية. وظلت

سيبيل تراقبها حتى خرجت من داخل المبنى وانعطفت نحو الشارع المؤدي إلى مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري.

ـ «كان من الأفضل لو نقلناه في سيارتي» قالت لورين.

ـ ولكن. نحن بحاجة لكل دقيقة.

سيارة الإسعاف تنطلق بسرعة جنونية، مع تقدير أنها ستصل غايتها بعد ربع ساعة ليس أكثر.

ـ فعلاً إنها ليلة رهيبة، قالت لورين وهي تبتسم وكأنها لا تصدق ما حصل.

ـ هل تعتقدين أنه سيتذكر كل شيء؟

ـ في البدء سيستعيد وعيه شيئاً فشيئاً، وليس بإمكاني الجزم أنه سيعود طبيعياً دفعة واحدة.

ـ وإذا استعاد وعيه فجأة، هل من خطر ينتج عن مثل هذه الحال. ومن ثم، هل سيفقد ذاكرته إذا أمضى وقتاً طويلاً في الغيبوبة؟

ـ لا.. ليس من خطر في هذه الحال.

ـ وإن كان فقدان الوعي هو نتيجة ارتجاجات دماغية؟

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أنه كثيراً ما يدخل المريض حالة الغيبوبة دون معرفة السبب الأساسي، والطب، حتى اليوم، ما يزال يجهل لغز الغيبوبة. لما في عمل الدماغ من تعقيدات.

ـ أتعلم. كان من المفروض ألا أبقي سيارتي هناك، تأكد حين أعود لاستعادتها سأجد بيرسون نائماً على مقعدها الخلفي.

ـ وما علاقة الغيبوبة بفقدان الذاكرة؟

ـ لا علاقة بينهما إلا نادراً، فالشخص الفاقد الذاكرة هو من ينسى



ماضيه نتيجة صدمة افقدته الوعي، وكلما طالت فترة فقدان الوعي، كلما زادت إمكانية الإصابة بفقدان الذاكرة. مهما يكن فلكل حالة أسبابها الخاصة.

بالوقت الذي كانت لورين تتحدث مع بول. كانت تراقب آرثر من خلال الستارة الزجاجية الداخلية التي تفصل بين السائق وغرفة الاسعاف. وطمأنته أن صديقه لم يدخل حالة الغيبوبة بعد، إنما هو فاقد الوعي.

ـ ولكن أتعتقدين أنه بمقدورنا تذكر ما يحصل أثناء وجودنا في حالة الغيبوبة؟

وراحت الأفكار تتزاحم في رأسه وكذلك المخاوف من طرح سؤال مهم «وهل كنت في غيبوبة يوماً ما؟» لكنه استجمع قواه وطرح السؤال الذي وقع على لورين وقع الصاعقة. لكنها لم تجب. أما بول فأدرك أنه تجاوز حدوده. وسمع صوتاً داخلياً يذكره، أنه أقسم لصديقه ألا يبوح لها بالسر.

في هذا الوقت، كانت لورين تتأكد من الوضع الصحي لآرثر فوجدت تنفسه طبيعياً، ولولا هذه الصور الشعاعية التي تبعث القلق «لكنت قلت إنه ينام بهدوء.. مهما يكن فوضعه مستقر».

ـ إنه إنسان وفيّ ومخلص، أحبه رغم إزعاجه لي طيلة اليوم.

ـ إننا الآن نتحدث عن وضعه الصحي، ولكن يبدو أنكما صديقان منذ زمن؟

ـ صديقان؟ يمكنك القول إنه أخي.

ـ ولكن أين صديقته؟

ـ إنه أعزب، لا صديقة عنده، وأرجو ألا تسأليني لماذا؟

www.rewity.com

ـ ولكن لماذا؟ تساءلت لورين.

ـ لأنه يضع نفسه في المواقف الحرجة ولا يعرف كيف يخرج منها.

ـ كيف؟

حدق بول ملياً بلورين، فأدرك أن صديقه على صواب، إنها فعلاً امرأة جميلة وفريدة من نوعها.

«دعك من هذا..» قال هذا وهو يشيح بعينه عنها.

ـ أرجوك انحرف يميناً فهناك أشغال صيانة للطريق أمامنا. ولكن هل لي أن أعرف سبب أسئلتك الزائدة عن الغيبوبة؟

ـ مجرد أسئلة.

ـ وأنت ماذا تفعل في الحياة؟

ـ مهندس.

ـ كلاكما مهندسان إذن!!!

ـ وكيف عرفت أنه مهندس.

ـ أخبرني حين كنت أعاينه بعد ظهر أمس.

ـ و شركاء أيضاً. يبدو أنك تتمتعين بذاكرة قوية؟

ـ كيف عرفت؟

ـ إنك تتذكرين مهنة كل مريض تعاينيه.

ـ مهندس، مهنة رائعة. أهم ما فيها حسن التعاطي مع الزبائن، هناك أشياء مشتركة بين الطب والهندسة: حب العطاء.

اقتربت سيارة الإسعاف من المستشفى. أطلق بول العنان للبوق وأضاء أنوار الإنذار، رفع الحارس الليلي العارضة الحديدية لمدخل موقف سيارات الإسعاف، ودخل بول وركن السيارة.

ـ لا عليك، سيأتي الممرضون، ويأخذون صديقك وأنا سأرافقهم



إلى غرفة المعاينات، وأنت يمكنك الجلوس في غرفة الإنتظار. قالت هذا وهي تهم للترجل من السيارة لكنها عادت والتفتت إليه، هل لديك قريب كان في غيبوبة؟

ـ ليس قريباً وحسب. إنه قريب جداً.

نزلت لورين وتوجهت فوراً إلى قسم الطوارىء، فيما الممرضون يجرون السرير المتحرك.

كان بول يراقبها وهي تسير إلى جانبه «صدف غريبة تجمعكما، ولكن يبدو أنكما خلقتما لتكملا بعضكما بعضاً».

# الفصل العاشر

في قسم الطوارىء بمستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، عجلات السرير المتنقل تدور بسرعة مذهلة، حتى يخال للناظر أنها لا تلامس بلاط الممر. لورين وبيتي تحاولان تصحيح اتجاه السرير حتى لا يصطدم بإحدى الخزائن، وكذلك بسريرين متنقلين يقودهما مسعفون بالإتجاه الآخر.

من السقف تتدلى أضواء المصابيح البيضاء. ترامى إلى أذن لورين صوت جرس المصعد عند توقفه فصاحت «إنتظروا. إننا بحاجة ماسة للمصعد» فتح باب المصعد، ووقفت ممرضة إلى جانبه وهي تمسكه بيدها.

في المصعد سريران آخران، طلبت لورين الصعود الى حيث قسم الأشعة في الطابق الخامس، حيث عاد هذا السرير، يتنقل من ممر إلى آخر والأبواب المتحركة تنفتح وتنغلق يميناً وشمالاً.

في قسم الأشعة وقفت «أنا الدكتورة كلاين، أرجوكم، حالة طارئة جداً، نرغب بصورة سكانر لدماغ هذا المريض».

ـ نحن جاهزون، أجاب الدكتور لويس، وأضاف، وأين هو الملف الطبي؟

ـ لحظات ويكون بين يديك، قالت وهي تدفع السرير نحو آلة السكانر.

ـ لأي عضو تريدين أن نجري السكانر؟

ـ هناك نزيف في الرأس، لذلك، العديد من الصور، ومن اتجاهات مختلفة، من الصدر للدماغ، ومن الجهة الخلفية خاصة.

ـ وهل ستجرين العملية الليلة؟

ـ نعم، وقبل مرور ساعة من الوقت، إذا حضر الفريق الطبي.

ـ هل الدكتور فيرنشتاين على علم بما تفعلين؟

ـ ليس حتى الآن.

ساعدت بيتي في وضع آرثر على سرير آلة التصوير وركزت رأسه ضمن القفص الحديدي، وحقنته باليود الملون، في وقت كان الدكتور لويس يعد الآلات للبدء في العمل.

وراح السرير يتقدم داخل آلة التصوير والذبذبات الكهربائية، تُترجم صوراً واضحة على شاشة الحاسوب، وتُظهر ما كانت تخشاه لورين وأهمله بيرسون، أدركت أن هناك ضرورة ملحة لإجراء عملية جراحية وإخراج الدم المتجمد من حول الغلاف الخارجي للدماغ، وإيقاف النزيف.

ـ ما هي برأيك إمكانيات التدخل لإنقاذ الوضع؟ تساءلت لورين وهي تحادث الدكتور لويس عبر مكبر الصوت.

ـ أنت الطبيب المناوب لجراحة الأعصاب والرأس. أما إذا كنت تريدين رأيي، فيمكنك التدخل وبنجاح على ما أعتقد. ليس هناك جروح عميقة، كل ما هناك، نزيف داخلي، دم متجمد، لكنه يتنفس طبيعياً ومركز الإتصال العصبي سليم وقد لا يكون هناك تأثير جانبي.

أشار الدكتور لويس للورين بالدخول إلى غرفة الأشعة، ليجعلها تشاركه الرؤيا المباشرة لما يرتسم على شاشات الحواسيب. طلب منها التحديق بنقطة معينة. وأضاف،



سنخضعه للتصوير الرنيمي، وبعدها تقررين ما يجب فعله.

ـ إني لك جد شاكرة، قالت لورين.

ـ الحقيقة إنها ليلة رائعة. فزيارتك تسرنا.

بعد ربع ساعة، غادرت لورين قسم الأشعة مرافقة آرثر إلى جناح العمليات. فيما بيتي عادت إلى قسم الطوارىء لاستدعاء الفريق الطبي اللازم.

الساعة على حائط غرفة العمليات، تشير إلى الثالثة وخمس وأربعين دقيقة. حاولت لورين، عبثاً، وضع آرثر على طاولة الجراحة.

إنها حياتها، عطاء بعطاء، تفانٍ في خدمة الآخرين. في حين تفتقر هي لمن يكون إلى جانبها ساعة تكون بحاجة ليد صديق أو صديقة. رن جرس الهاتف المعلق على الحائط، أسرعت لورين، تناولت السماعة، فإذا ببيتي تبلغها أنها اتصلت بنورما، وتكفلت هذه الأخيرة بإبلاغ فرنشتاين، وتساءلت وهل سيكون هنا بسرعة؟

ـ «نعم و.. سيتم ذلك ضمن الوقت الذي يستغرقه تنقل الدكتور فيرنشتاين من غرفة الجلوس إلى المطبخ». قالت بيتي، بلهجة ساخرة، وكأنها ترغب بإضفاء مسحة فكاهية في هذا الوقت الحرج.

ـ أتعنين أن نورما وفرنشتاين سيصلان معاً؟

غيرت بيتي وجهة الحديث قائلة «لقد نفذت ما طلبت مني فعله، وسيجتمع الفريق الطبي عند هذه الساعة من الليل»

ـ وماذا عن طبيب التخدير؟

ـ إنه في الطريق.

شكرت لورين بيتي على ما تقدم لها من خدمات، وأعادت

السماعة إلى مكانها، وعادت لتقف إلى جانب آرثر وتمسك بيده.

فجأة وقف بول عند باب غرفة العمليات: «أتعتقدين سيكون بخير؟»

ـ سأفعل كل ما بوسعي لإنقاذه، وإنما ليس منفردة. هناك أطباء آخرون وفريق عمل متكامل. إن أردت الحقيقة أنا جد متعبة وأتمنى لو يكون هذا البلاط سريراً وثيراً لألقي برأسي عليه وانام.

ـ إني أقدر هذا، ولست أدري كيف أشكرك.

كانت لورين تفكر بالإستفادة من كل دقيقة، فطلبت من بول مساعدتها، أدخلته غرفة الاستعداد لإجراء العمليات، ألبسته ثياب طبيب جراح وطلبت إليه غسل يديه جيداً قبل ارتداء القفازين. وقف بول أمام المرآة وراح ينظر إلى نفسه مذهولاً، إنه يبدو طبيباً جراحاً، رغم كونه يخاف رؤية الدم.

نظرت إليه لورين، «إنته من النظر إلى نفسك واتبعني إلى غرفة العمليات، حيث أصيب بول بالإندهاش والذهول، لما رأى من معدات طبية حديثة، فراح يحدق بكل واحدة منها على حدة، حاول لمس آلة، فانتبهت لورين وقالت «انظر بعينيك ولا تلمس بيديك، في الأساس وجودك هنا هو مخالف لأبسط القواعد والقوانين ولو رآك الدكتور فيرنشتاين لكان...».

ـ «أمضى ساعتين يوجه اللوم لك»، جاء صوت فرنشتاين عبر مكبر الصوت من خارج الغرفة. ومضى يقول «هل ترغبين إثبات وجودك، فجئت بنا إلى هنا وفي مثل هذه الساعة المتقدمة من الليل؟».

استدارت لورين نحو مصدر الصوت، فإذا بفرنشتاين يقف



خلف الزجاج العازل ينظر إليها نظرات لم تتمكن من فهم معناها. اهي نظرات لوم أم نظرات إعجاب أم إستغراب «ولكن، أتذكر أنك أنت من طلب مني أن أقسم قسم أبقراط؟ وها أنا أحافظ على قسم أنت علمتني إياه».

ـ ومن هذا الدكتور الجديد؟

لم تجب لورين، بل أمسكت مقصاً معقماً وراحت تقص قميص آرثر المهلهل، وخلعته عن جسده وألقته في سلة المهملات، ثم جاءت بشفرة حلاقة، وقصت شعر رأسه حتى بانت بشرته وبدا وكأنه أصلع.

ـ إنها تسريحة رائعة، قال بول، لا شك ستعجبه إن صحا ورأى بنفسه أن رأسه عارٍ من أية شعرة.

أكملت لورين الاستعدادات لإجراء العملية، فأوصلت الأسلاك الكهربائية لآلة تخطيط الدورة الدموية وآلة تخطيط القلب وآلة مراقبة التنفس، وتأكدت من أن كل شيء جاهز للبدء.

ترى هل تحول آرثر من إنسان حيّ، إلى لعبة محببة للورين لا تستطيع التخلي عنها؟

طلب فيرنشتاين من لورين موافاته خارج غرفة العمليات فأجابت أنها طهرت الغرفة، وكذلك فهي ترتدي ثياباً مطهرة فزعق بها «وهل تعتقدين أني آتٍ في مثل هذه الساعة من الليل لإعطائك صابونة.. اسرعي تعالي، هذا أمر وليس رجاء؟ سأناقش معك ما هو مطلوب فعله».

نزعت لورين القفازين وخرجت. تاركة بول إلى جانب آرثر.

ـ من هو طبيب الإنعاش الذي سيكون معنا؟

تساءلت لورين وهي تتقدم نحو فيرنشتاين.

ـ أعتقد أنه الطبيب الذي يرافقك.

ـ لا.. ليس هو، قالت لورين وهي غير قادرة على النظر إلى أستاذها، بل نحو الأرض.

ـ إذن نورما ستهتم بالأمر، ولن تمضي دقائق إلا وتكون قد وصلت.

أحست لورين بفرح داخلي. لقد نجحت في جمع الفريق الطبي بأكمله.

ـ هل النخاع مصاب بأية التهابات؟

سؤال أراح لورين. إذ أدركت أن أستاذها مستعد كل الإستعداد لإجراء العملية. تقدمت منه ووضعت يدها على كتفه. «لا.. ليست هناك أية التهابات. فقط دم متجمد حول الدماغ، نتيجة نزيف في الرأس».

ـ ومنذ متى ذلك؟

ـ منذ خمس ساعات.. وعلى أثر تناول كمية من حبوب الأسبرين.

نظر فيرنشتاين إلى ساعته «يا إلهي إنها الرابعة فجراً.. وما هي إمكانية نجاح العملية؟».

ـ يقول الدكتور لويس طبيب الأشعة إن هناك نسبة عالية.

ـ أنا لا أسألك ماذا يقول غيرك؟ بل عن رأيك أنت كطبيبة متخصصة في جراحة الرأس والأعصاب؟

ـ إن أردت الحقيقة، لا رأي لي، كل ما أريده هو إنقاذ هذا الإنسان، بأي شكل من الأشكال. في داخلي إحساس عارم أنه يتوجب عليّ فعل ذلك. ولهذا استدعيتك في مثل هذا الوقت.



ـ دعيني من أحاسيسك الآن.. لقد حضرت كل شيء للبدء في إجراء العملية هل ستساعدينني؟ قال هذا وهو يرتدي الثوب الأخضر وتابع «ومن هو هذا الطبيب داخل غرفة العمليات لم أره من قبل، إنه يمسك يد المريض؟».

ـ إنها حكاية طويلة وفيها من الغرابة ما فيها، إنه طبيب نفساني.

ـ ولما لا؟ أجاب فيرنشتاين، وشكراً لكل من يساعدنا خاصة وأن فريقنا الآن قليل العدد.

وصلت نورما وباشرت فوراً في المساعدة، ألبست البروفسور قفازيه ورتبت ثيابه وهي تنظر إليه بفخر واعتزاز.

انحنى فيرنشتاين وهمس في أذن لورين «أتعرفين أن زميلتك تراني، رغم أني في سن الشيخوخة، تراني وكأني شون كونوري؟».

رغم وجود القناع لاحظت لورين الإبتسامة على شفتي أستاذها. وفجأة وصل طبيب الإنعاش الدكتور لورينزو غرانيللي المعروف جداً والذي أمضى حتى الآن نحواً من عشرين سنة كأستاذ في المركز الجامعي للطب «ما هي هذه الحالة الطارئة التي لا نستطيع الإنتظار حتى الصباح، أي ساعتين ليس أكثر؟».

اكتمل عديد الفريق الطبي وراح كلّ يدخل إلى غرفة العمليات بعد الآخر. يسلم على بول يداً بيد ولو عبر القفازات. طلبت لورين من بول الخروج. لكن المفاجأة كانت في أن طبيب البنج طلب منه المساعدة في وضع الكمامة، وأن يعلق كيس المصل على العامود الحديدي. غرانيللي نظر إليه وهو يقول «إحساسي يقول إنك تشعر ببرد شديد يا زميلي» أجاب بول بإيماءة من رأسه أنه فعلاً كذلك. في هذا الوقت راحت لورين تشرح لزملائها وضعية

المريض إستناداً إلى الصور الشعاعية والصوتية والرنينية.

بعد الإطلاع على كل شيء «إذن ستكون حالة حسنة بعد إيقاف النزيف» قال فيرنشتاين وهو يقترب من طاولة الجراحة. حدق بوجه آرثر، ثم عاد إلى الوراء وعلى وجهه علامات التعجب والإندهاش، لكنه شكر الله لأن القناع أخفى هذه المظاهر.

أحست نورما أن شيئاً أربكه فتساءلت «هل كل شيء على مايرام يا دكتور فيرنشتاين؟».

ابتعد فيرنشتاين قليلاً وتقدم نحو لورين متسائلاً «ما الذي جاء به إلى هنا وكيف؟».

ـ قصة غريبة قالت بصوت خافت «لا وقت الآن للدخول في تفاصيلها»، لكنها أوجزت له ما حصل، وكيف أن بيرسون الفوضوي المستهتر لم يعرْ أي اهتمام.

في الوقت الذي كان فيرنشتاين يراجع كل شيء ويتأكد من وصل الآلات إلى الجسد، كانت لورين تشرح له الذي حصل، منذ مجيئه إلى هنا، ومن ثم إلى مستشفى سان بيدرو. وتساءل فيرنشتاين «وهل سمح لك بيرسون بنقله إلى هنا؟»

ـ لا.. لم يفعل.

انابت بول نوبة سعال حاد، فتقدم منه غرانيللي وراح يربت على ظهره متسائلاً «هل أنت فعلاً بحالة جيدة أيها الزميل» فأجابه بإيماءة من رأسه وابتعد عنه، لكن غرانيللي تابع القول «أتمنى أن تخفف من تحركاتك داخل هذه الغرفة، لأنها تسبب الإزعاج لكامل الفريق الطبي، وخاصة لهذا المريض الممدد أمامنا». ارتجفت رجلا بول وأحس بخدر بها، اقترب من لورين راجياً إياها أن



تخرجه قبل البدء بالعملية، لأنه لا يقوى على رؤية الدم طمأنته أنها ستسعى جاهدة لإخراجه.

ـ أرجوك العمل على إخراجي من هذا المكان قبل أن يغمى عليّ.

ابتعدت لورين عن بول. غرانيللي سأل فيرنشتاين «هل أنت مستعد للبدء؟» فأجابه «كل الإستعداد». وضعت لورين آلة الجراحة على رأس آرثر، ولكن فيرنشتاين، رغب مجدداً بالنظر إلى الصور، فأدركت خطأها، إذ أعادت الصور إلى الغرفة الثانية، فخرجت بحثاً عنها، ونورما ترمق البرفسور العجوز بنظرات الإعجاب وتبتسم له من تحت القناع.

أبدى فيرنشتاين انزعاجه من تصرفات لورين، إذ كان عليها الإستعداد جيداً لهكذا عملية.

دخلت لورين الغرفة المجاورة وراحت تجمع صور الأشعة والصور الصوتية والرنينية وكل التقارير المتعلقة بها، فجأة ظهر مفتش شرطة بلباسه الرسمي وإلى جانبه طبيب يرتدي الرداء الأبيض عرفته لورين مباشرة. إنه بيرسون.

أشار بيرسون إليها وهو يقول «هذه هي يا حضرة المفتش، أوقفوها».

ـ اندهشت لورين وتساءلت «كيف عرفت أني هنا؟» موجهة حديثها للمفتش.

ـ لقد جاء معنا ـ وأشار إلى بيرسون ـ ليرشدنا إليك.

ـ نعم.. قال بيرسون وهو يكاد يطير فرحاً، جئت مع الشرطة لأرى الأغلال في يديك، بتهمة الاعتداء على طبيب أثناء قيامه بمهمته وخطف أحد مرضاه وسرقة سيارة إسعاف.

تدخل المفتش أريك برام، طالباً منه عدم التدخل وتقدم من لورين متسائلاً «أتعترفين بما ينسب إليك؟».

تنهدت، وأخذت نفساً عميقاً وأقسمت أنها لم تفعل هذا إلا إنقاذاً لحياة إنسان.

ـ آسف يا دكتورة. أجاب المفتش برام، فأنا لست مخولاً لإصدار حكم براءة أو إدانة، كل ما بإمكاني فعله هو وضع الأغلال بيديك وأخذك إلى القسم.

ـ وهل هذا ضروري؟ تساءلت.

ـ إنه القانون. قال بيرسون وهو يفرك بيديه تعبيراً عن سروره.

التفت المفتش نحوه وقال «إنتبه لدي أصفاد أخرى، سأضعها في يديك إذا ما حاولت التدخل فيما لا يعنيك، وبتهمة إعاقة رجل الأمن من القيام بمهامه».

ـ وهل هناك تهمة بهذا الشأن؟ تساءلت لورين.

ـ نعم.. أتريدين أن أنفذ ما قلت؟ قال برام وهو يلتفت إلى بيرسون الذي تراجع إلى الوراء ولزم الصمت.

ـ أين سيارة الإسعاف؟

ـ إنها في المرآب. قالت لورين، كنت سأعيدها صباح الغد.

انطلق صوت من غرفة العمليات، استدارت لورين وكذلك الشرطي فإذا بالدكتور فيرنشتاين ينظر إليهما ويقول «هل لي معرفة ما يجري؟»

أحست لورين بحمل ثقيل على كتفيها، وعبر مكبر الصوت أجابت «أنا جد آسفة».

ـ وما سبب وجود رجال الأمن هنا؟ تابع فيرنشتاين هل له علاقة



بالمريض الممدد على طاولة الجراحة؟

ـ نوعاً ما، قالت لورين.

ـ ويختص بإيقاف مطلوب للعدالة: قال برام.

ـ إنه خطأي قالت لورين. أنا جد مرتبكة.

ـ لا ترتبكي قال طبيب التخدير، أنا نفسي، عندما كنت بعمرك وقعت في أخطاء كثيرة، وأمضيت العديد من الليالي مع قطاع الطرق.

تقدم المفتش من مكبر الصوت: لقد سرقت سيارة إسعاف، ونقلت مريضاً من مستشفى سان بيدرو إلى هنا دون إذن طبيبه.

تساءل الدكتور غرانيللي، «وحدها؟»

ـ لا كان معها شريك، وأنا متأكد أنه هنا في أحد الممرات وعليّ اعتقاله أيضاً

استدار فرنشتاين ونورما، بحثاً عن الطبيب الذي لم يسبق لهما أن تعرفا عليهما من قبل. لكن المفاجأة كانت في اختفائه، إذ ما إن سمع بول ما قاله المفتش حتى تقوقع واختبأ تحت طاولة الجراحة، متسائلاً «أي كابوس هو هذا؟ قبل ساعات كنت أتناول العشاء مع صبية رائعة الجمال على أني إنسان مهذب ونبيل وها أنا الآن أختبىء هنا؟»

تقدم فرنشتاين من النافذة، وسأل لورين عن سبب ارتباكها، نظرت إليه والحزن يعتصرها «إنه بيرسون. كاد يقتله بإهماله».

ابتسم بيرسون وهو يتقدم من النافذة ليصبح وجهاً لوجه مع فيرنشتاين «صباح الخير بروفسور فيرنشتاين.. أريد استرجاع مريضي فوراً، وأحذرك من إجراء أية عملية له، فسأعيده معي إلى مستشفى سان بيدرو».

ـ إلى هذا الحد وصل بك الاستهتار يا بيرسون؟

www.rewity.com

تدخل المفتش راجياً فيرنشتاين السماح لبيرسون استعادة مريضه. لكن غرانيللي صاح: «صحة هذا المريض تتدهور لحظة بعد لحظة، وأي تأخير في إجراء العملية قد يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا ـ مشيراً إلى بيرسون ـ يتحمل كل المسؤولية. لقد أربكنا وأعاق عملنا.. ليس بمقدورنا نقله إلى مكان آخر، إنه محتضر، وعلينا البدء بإجراء العملية فوراً».

لذا «يستحيل إخراجه الآن» ابتسمت نورما تعبيراً عن شماتتها ببيرسون. وحتى القناع لم يخفِ تلك الإبتسامة.

ثارت ثائرة بيرسون فنظر إلى فيرنشتاين «ستدفع الثمن أيها البروفسور».

ـ أعتقد ما يزال الوقت مبكراً لتقول ما قلت. قال فيرنشتاين غاضباً وأكمل «ارحل من هنا أيها المغرور ودعنا نعمل ما كان عليك أن تفعله» استدار عائداً إلى غرفة العمليات دون أن يلتفت نحو لورين.

أثر الموقف على أحاسيس المفتش فقرر عدم تكبيل يدي لورين، فتأبط ذراعها وقادها نحو سيارة الشرطة.

في غرفة العمليات، عادت الحركة إلى ما كانت عليه وبدأ المخدر يتفاعل في جسد آرثر، الدكتور غرانيللي تأكد من انتظام الدورة الدموية واستقرار نبضات القلب. وأبلغ فيرنشتاين أن كل شيء على ما يرام.

* * *

أخذت لورين مكانها على المقعد الخلفي لسيارة الشرطة، في حين جلس بيرسون على المقعد المجاورة للمفتش. وعند تقاطع شارع كاليفورنيا، توقفت سيارة الشرطة ليترجل بيرسون منها ويعود



إلى عمله في مستشفى سان بيدرو على أن يعود فيما بعد إلى قسم الشرطة للإدلاء بإفادته.

تابعت سيارة الشرطة سيرها، ولورين ما تزال على المقعد الخلفي.

ـ هل تعتقدين أن المريض في حالة خطر؟ سأل المفتش.

ـ حتى الآن، نعم.

ـ وهل لبيرسون علاقة بتدهور حالته؟

ـ ليس هو من تسبب بالحادث، ولكن استهتاره أثر على المريض، وعلى حالته الصحية.

ـ إذن، أنت أنقذت حياته.

ـ لا أدعي ذلك، كل ما فعلته هو المحاولة لإنقاذ حياته، ولكن كيف؟. فأنا من كان عليه إجراء العملية. وها أنا موقوفة.

متعجباً تساءل المفتش برام «وهل أنت هكذا مع جميع مرضاك؟»

نعم ولا قالت لورين.

ـ كيف لا.. ونعم؟ تساءل المفتش.

ـ نعم أهتم بجميع مرضاي، ولكن لا أسرق أي مريض من مستشفى آخر.

ـ هذا يعني أنك عرضت نفسك للمخاطر وللمساءلة القانونية بسبب مريض غريب عنك؟ فعلاً، إنك تثيرين الإعجاب.

ـ وأنت أما توجب عليك مهنتك فعل هذا؟ أما تخاطر

بحياتك من أجل بشر لا تعرفهم؟

ـ نعم، ولكن أنا شرطي.

ـ وأنا طبيبة أيضاً.

وصلت السيارة إلى القسم، مد المفتش يده وأنزل لورين، «أتعرفين هذه ليلة موت القوانين؟» قال المفتش.

ـ ماذا تقصد يا حضرة المفتش؟

ـ أقصد أنك أنت خرقت القوانين وأنا أيضاً. المفروض أن تكوني مكبلة اليدين. ولكن هناك أمراً آخر.

ـ ما هو؟

ـ إنه إنسان مقرف ومزعج، لم يكن بيدي حيلة، إنه القانون.

ـ من تقصد بالمقرف؟

ـ بيرسون.. هل أنت قلقة؟

ـ على نفسي لا.. ولكن كان يجب أن أكون الآن هناك في غرفة العمليات.

دخلا المبنى، وسلم المفتش برام لورين إلى الموظف المختص لسماع أقوالها.

ناتالي لا تحب السهر إلا برفقة صديقها، لكن هذه الليلة، ليست كغيرها من الليالي. بعد ثلاثة أشهر سيحال صديقها على التقاعد وكذلك هي. وسيسافران في رحلة طويلة حول العالم، سيسافران إلى أوروبا، لتزور باريس وبرج إيفل، ومن ثم فينيسا الإيطالية، حيث لا عد ولا حصر للكنائس، في إحداها سيقفان أمام الكاهن ليعلنهما زوجاً وزوجة بمباركة الله.

دخلت ناتالي غرفة الاستجواب لتستمع إلى أقوال الدكتورة



لورين التي تتابع اختصاص جراحة الرأس والأعصاب، بتهمة سرقة سيارة إسعاف، ونقل مريض من مستشفى إلى المستشفى الذي تعمل فيه، بالحيلة والخداع.

# الفصل الحادي عشر

جلست ناتالي خلف مكتبها، وأمامها سجل التحقيقات. سبق لها وواجهت الكثير من الجرائم إلا أنها الآن أمام قضية فريدة من نوعها.

تناولت فنجان القهوة وهي تحدق بلورين. ثلاثون عاماً في الخدمة، شاركت خلالها في استجواب آلاف المتهمين. كانت تمكن، من خلال حدسها، كشف حقيقة المتهم الماثل أمامها، أما الآن فهي تشعر أنها فقدت هذا الحدس.

صممت لورين، أن تقول الحقيقة كاملة، باستثناء الدور الذي لعبه بول. أرادت ابقاءه خارج ما جرى. حتى أنها أخبرت المفتشة ناتالي، أنها تتحمل كامل المسؤولية، ولا شريك لها في هذه العملية، وهي مستعدة على التصرف مستقبلاً، كما تصرفت الآن، إذا وجدت نفسها في ذات الموقف.

نصف ساعة ولورين تتكلم. ذكرت أدق التفاصيل، منذ وصول آثر إلى مستشفى سان فرنسيسكو، حتى لحظة نقله من مستشفى سان بيدرو إلى المستشفى حيث تعمل، مبينة الدوافع والأسباب بوضوح. لكنها انتبهت إلى أن ناتالي لم تدون أقوالها، فسألتها عن السبب، وجاء الجواب، «ليس أنا من عليه فعل ذلك، غداً صباحاً يأتي المحقق ليعيد استجوابك بشكل رسمي، أنصحك بطلب محاميك ليكون الإستجواب بحضوره». وتساءلت ناتالي «وهل

يمكن لمريضك أن ينجو من محنته ويعود إلى حياته الطبيعية؟»

– قبل انتهاء العملية ليس بإمكاني قول شيء. ولكن لماذا هذا السؤال؟

– لأن نجاته، ستجعل مجلس إدارة مستشفى سان بيدرو يتراجع عن دعواه.

– هل من طريقة للخروج من هنا، للإنضمام إلى الفريق الطبي الذي يجري العملية؟ أقسم أني سأعود فور الإنتهاء من العملية الجراحية.

– لست أنا من يقرر ذلك. قالت ناتالي. بل القاضي، هو المخول بتحديد الكفالة. وهذا لن يكون، في أحسن الأحوال، قبل ظهر غد، إلا إذا تراجع زميلك عن شكواه.

– وهذا ما لن يحصل أبداً.. قالت لورين وتابعت، في كلية الطب لم يكن يحتمل وجودي، فهل سَيُقدم على مثل هذه الخطوة الآن؟

– هل سبق وتعارفتما؟

– نعم، كنت مجبرة على تحمله كزميل في السنة الجامعية الرابعة.

– وهل كان يتودد إليك؟

– نعم.. وحاول يوماً وضع يده على ساقي، فكان أن صفعته ولقنته درساً لا ينسى.

– كيف كيف ذلك؟

أجابت لورين ممازحة ناتالي، سأخبرك ذلك أمام القاضي وبوجود المحامي. لقد صفعته أثناء حصة العلوم الطبيعية، صدقيني، لقد سمع كل من كان في قاعة المختبر صوت تلك الصفعة.

– هذا حصل معي أيضاً، منذ زمن بعيد، حاول أحد المقتشين



الشاب تقبيلي، فكان أن أمضى ليلته معلقاً على باب سيارته.

– وهل التقيتما فيما بعد؟ تساءلت لورين.

– نعم وسنتزوج قريباً.

اعتذرت ناتالي من لورين عن عدم تمكنها من تركها، لأن القانون يجبرها على احتجازها. تأملت لورين الزنزانة المزنرة بالحديد وتساءلت سراً «ويلتاه كيف سأمضي الوقت خلف قضبان الحديد؟» لكن ناتالي أراحتها نفسياً عندما أخبرتها أنها لن تقفل الباب عليها، بل ستبقيه مفتوحاً؛ إنما على رجاء «أن تقفليه أنت بنفسك، إذا سمعت وقع خطوات تتجه إليك وإلا سأعاقب، وتابعت «انتبهي في الجارور أكواب قهوة وسخانة كهربائية وكل ما يلزم. ولكن كوني حذرة لئلا يراكِ أحد».

شكرتها لورين، على إنسانيتها ولطفها.

غادرت ناتالي غرفة التحقيق وهي تنابط السجل وعادت إلى مكتبها لتدون كافة المعلومات الشخصية عن المتهمة، وعن التهم الموجهة إليها، وختمت، لقد تم إحضارها إلى هذا القسم عند الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة والثلاثين فجراً.

* * *

– كم الساعة الآن؟ تساءل فيرنشتاين.

– هل تشعر بالتعب؟ أجابت نورما.

– وهل تطلبين من عجوز مثلي ألا يكون متعباً، استيقظت بعد منتصف الليل وها أنا الآن أجري عملية جراحية.

أدخل فيرنشتاين أنبوباً في الجرح الذي أحدثه في رأس آرثر، وبدأ الدم يتسرب خارجاً، وشيئاً فشيئاً، راح يخف الضغط عن الغلاف الخارجي للدماغ، وعلى شاشة الآلات التصوير، بدا الدماغ جلياً، وتعرف الأطباء على مكان النزيف الذي يجب معالجته. إذ ليس مهماً اخراج الدم من الرأس، بل الأهم هو القضاء على مصدره. وهكذا رأى فيرنشتاين أنه أمام مهمة جديدة، تتطلب وقتاً.

* * *

ما إن سمعت ناتالي وقع أقدام على درج قسم الشرطة حتى تأكدت أن الآتي هو المفتش بيلجر.

عند باب مكتبها، وقف بيلجر مترنحاً، وبضع شعيرات تغطي وجهه وذقنه. «ما الذي جاء بك باكراً؟» تساءلت ناتالي.

ـ وهل تعتقدين أن رجلاً مثلي يستطيع النوم وأنت لا تشاطرينه سريره؟

ـ هل تفتقدني فعلاً يا جورج؟

ـ وما رأيك يا ناتالي؟

ـ لكنك ستصل إلى يوم...

ـ أي يوم تعنين؟ قال بيلجر مقاطعاً.

ـ إلى يوم تقول لي فيه أنك قادر على العيش بدوني.

ـ سامحك الله.

جلس بيلجر على زاوية مكتب ناتالي، وأخرج من جيبه علبة ورماها على الطاولة، ثم تناول سيجارة ووضعها بين شفتيه.



ـ دع هذه السيجارة جانباً، واثبت لي أنك تحبني.

ـ ماذا؟ تريدين إثباتاً على حبي؟ إذن ما الذي أيقظني عند الرابعة فجراً وجئت مخترقاً الشوراع واحد تلو الآخر ورغم معاناتي من الكوليسترول، قصدت محل بيع الحلوى لآتيك بالفطائر اللذيذة.

ـ أحب برهاناً آخر، قالت وهي تنتزع السيجارة من بين شفتيه وتعطيه قبلة خاطفة.

ـ هكذا إذن؟ أعيدي لي سيجارتي.

ـ نحن هنا في مؤسسة عامة، التدخين ممنوع.

ـ ولكن لا أحد سوانا، أنا وأنت.

ـ لا... هناك ثالث.

ـ ماذا؟ من؟

ـ هناك طبيبة شابة في الزنزانة رقم 2.

ـ ومنذ متى نحتجز الأطباء؟ وما جريمتها؟

ضحكت ناتالي وهي تقول، «سأقول وعليك أن تصدق أو لا تصدق، إنها متهمة بسرقة سيارة إسعاف واختطاف مريض من مستشفى إلى المستشفى الذي تعمل فيه».

هب بيلجر واقفاً، واستدار متجهاً نحو الممر المؤدي إلى الزنزانة. صاحت ناتالي «إلى أين يا بيلجر أنت في إجازة قانونية ولا يحق لك التحقيق معها».

لم يعر بيلجر، كلامها أي إنتباه، بل مضى في طريقه، دخل غرفة التحقيق وأغلق الباب خلفه وهو يتمتم «أتمنى أن أكون مخطئاً».

www.rewity.com

أعتقد أننا ستتمكن من إيقاف النزيف. قال فيرنشتاين. حدق طبيب التخدير بشاشة آلة مراقبة نبضات القلب وضغط الدم؛ وزاد كمية الاوكسجين.

ـ أمن مشكلة؟ تساءل الطبيب الجراح.

ـ ضغط الدم غير مستقر.. دعني أعيده إلى حالته الطبيعية.

إقتربت الممرضة من آرثر، وتأكدت من أن كل الأنابيب موصولة كما يجب. المصل يسري في عروقه، تنفسه طبيعي. «إذن حالته مستقرة» قال الدكتور غرانيللي.

ـ هل أتابع؟ تساءل فيرنشتاين.

ـ نعم يمكنك ذلك؟ ولكن يبدو لي أن هناك خللاً في عمل القلب. ضغط الدم عاد إلى الهبوط.

ـ وماذا عن انتظام الدورة الدموية، تساءل فيرنشتاين أرجو مراقبتها جيداً.

حبست نورما أنفاسها وهي تراقب جهاز التنفس الإصطناعي، وأجهزة المراقبة الأخرى، لكن، فجأة، عادت الشاشات لترسم خطوطاً شبه طبيعية.

ـ ما هذه الليلة؟ إنها أشبه بكابوس. تابعي مراقبة كل الأجهزة يا نورما، قال فيرنشتاين وأخبريني فوراً عن كل تغير سلبياً كان أم إيجابياً.

ـ وجود لورين كان ضرورياً جداً، قالت نورما.

ـ فعلاً.. حتى الآن، لا أجد سبباً مقنعاً لتوقيفها. قال فيرنشتاين وتابع، غداً، سأهتم شخصياً بأمر ذاك السافل بيرسون.

لورين جالسة على المقعد الخشبي في الزنزانة، تعجب بيلجر، لعدم إقفال الباب، تقدم منها «أعتذر عن حالة هذه الزنزانة..



وأرجوك أن لا تخبري ناتالي عن تناولي هذه الفطائر، أشكو من من الكولبسترول والعديد من العلل».

ـ وماذا عن الأدوية، هل تتناولها بانتظام؟

ـ مشكلتي أني أحب الطعام، والأدوية تفقدني الشهية.

ـ إذن ما عليك إلا مراجعة طبيب آخر، عله يصف أدوية لا تفقد الشهية.

في هذا الوقت كان بيلجر يراجع التقرير الأولي الذي وضعته الشرطة، وتعجب لعدم تدوين ناتالي أقوال المتهمة: «إنها امرأة مزاجية، تتصرف على هواها وكما تشاء».

ـ عمن تتكلم، تساءلت لورين.

ـ عن ناتالي، فهي عدا عن أنها نسيت تدوين أقوالك، لم تقفل باب الزنزانة أيضاً، إنه جنون. كلما نتقدم بالعمر نعود بالتفكير إلى الوراء. المهم من هو المريض الذي اختطفته؟

ـ يدعى آرثر آشبي على ما اعتقد.

إسم مألوف. قال بيلجر لنفسه، ولكن.. عاد وتوجه للورين بذات السؤال، إنما بلهجة التعجب «من؟.. من؟»

ـ آرثر آشبي على ما أعتقد.

ـ وأنتِ الدكتورة لورين كلاين أليس كذلك؟

ـ نعم أنا هي.. أجابت لورين متعجبة من سؤاله.

رفع بيلجر يديه نحو السماء متضرعاً، وبدت الصدمة على تعابير وجهه وهو يتمتم « يبدو أنكما تتبادلان الأدوار..».

ـ أيمكنك أن توضح لي ما الذي تقوله؟

ـ إسمعيني دكتورة كلاين، أمامي ثلاثة أشهر وأحال على

التقاعد وها أنتِ اليوم تفسدين لي لذة الشعور بالاستراحة.

ـ لست أدري ما تقول، وليس لدي أدنى فكرة عما تتكلم.

تنهد بيلجر «هذا ما كنت أخشاه.. وأين هو الآن؟»

ـ إنه في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، في غرفة العمليات تحديداً.

ـ ولماذا في غرفة العمليات؟

ـ إنهم يجرون له عملية في الرأس، ومن المفترض أن أكون هناك، وليس هنا. لقد عرضت على زميلتك أن تسمح لي بالذهاب وأقسمت أن أعود فور الإنتهاء من العملية، لكنها رفضت.

وقف بيلجر وملأ كوباً من القهوة، وأضاف إليه بعضاً من السكر وبصوت أشج قال «ما كان ينقصني سوى هذا.. هي أيضاً، ستحال معي على التقاعد ولدينا بطاقات السفر إلى فرنسا وإيطاليا، وها أنتِ اليوم، تضعيننا في موقف حرج، بالله لماذا أنتما الاثنين تفعلان كل هذا؟ لما تسببان لي المتاعب؟

ـ «لا أعتقد أنه سبق والتقينا»، قالت لورين، وتابعت «لذلك لم أفهم معنى كلامك ولا إلام تلمح».

قدم لها بيلجر فنجان قهوة «انتبهي إنه ساخن جداً اشربيه وبعد ذلك، سأعيدك إلى المستشفى».

ـ فوجئت لورين بما سمعت «أحقاً ما تقول؟».

ـ نعم.. أنا محال على التقاعد ولا أعتقد أني سأعاقب بعد.

ـ ولكن لماذا تفعل كل هذا من أجلي؟ تساءلت لورين والإندهاش باد على محياها.

ـ أنتِ طبيبة، مهمتك الاعتناء بالمرضى ومعالجتهم وأنا مفتش



شرطة. إذن طرح الأسئلة هو من اختصاصي أنا، وليس من اختصاصك.

مد بيلجر يده مشيراً للورين أن تقف وتتبعه «لنذهب الآن، فعلي إعادتك إلى هنا، قبل أربع ساعات. أي قبل مجيء المفتش المناوب بعد ناتالي. نهضت لورين وسارت إلى جانب بيلجر أمام أعين ناتالي التي صرخت به «ما الذي تفعله؟».

ـ لا شيء.. أنت تركت باب القفص مفتوحاً وطار العصفور.

ـ أتمزح؟

ـ لا.. إن كان هناك من يجب أن يلام فهو أنتِ يا ناتالي. أتيت باكراً لاصطحابك حين ينتهي دوامك؟ ما يزال أمامك أربع ساعات، سأستغلها لإعادة هذه الفتاة إلى حيث يجب أن تكون.

هبط بيلجر درج قسم الشرطة ولورين إلى جانبه. وقف قرب سيارة الميركوري قليلاً قبل أن يفتح الباب ويدعوها إلى الصعود، ثم تلاها هو وجلس وراء المقود. رائحة الجلد الرمادي الغامق تفوح، دلالة على تجديد المقاعد. «لا عجب إن سمعت الآن هدير محرك بقوة ثلاثمائة وخمسة وثمانين حصاناً».

بدأ المطر يهطل خفيفاً، تساقطت قطراته على الزجاج الأمامي.

ـ أعرف أن طرح الأسئلة هو من اختصاصك. قالت لورين. ولكني لماذا أخرجتني من الزنزانة؟

ـ أو لم تقولي إن طرح الأسئلة ليس من اختصاصك؟ لأن وجودك في المستشفى هو أكثر إفادة من وجودك في الزنزانة، تشربين القهوة في قسم الشرطة؛ أم أنك تفضلين إعادتك إليه؟

ـ يبدو أنك مهتم بالمنفعة العامة.

ـ إنما يبقى سؤال، لماذا، فعلت هذا؟ هل هو الإحساس بالقيام بالواجب الإنساني؟

أدارت لورين رأسها نحو النافذة وراحت تراقب الأرصفة المبللة بالماء

ـ أما من جواب؟

ـ بلى.. ولكن الحقيقة، أنا شخصياً لا أعرف لماذا فعلت هذا. كل ما أدريه أني وجدت نفسي أقوم بما قمت به باندفاع وحماس، وبدون تقدير لعواقبه.

سحب بيلجر سيجارة ووضعها بين شفتيه وقال « لا تقلقي، أنا لا أشعلها، بل ألتذ بمضغها. أقلعت عن التدخين منذ سنتين».

ـ أفضل لصحتك.

ـ صدقيني، لا أعلم إذا كان الله سيطيل بعمري حتى أصل من الشيخوخة.

رمى بيلجر سيجارته من النافذة وهو يهز رأسه.

ـ هل تشعر بارتياح حين ترافق إنساناً لا تعرفه؟ تساءلت لورين.

ـ لست أدري.

ـ وماذا عن صداقتك مع ناتالي؟

ـ كنت ما أزال في مقتبل العمر، حين جاءت شرطية شابة، تقدمت نحوي وقدمت نفسها، ومنذ ذلك الحين، ورغم أني بحكم عملي كنت التقي نساء عديدات، كان صوتها يتسلل إلى أذني، إن تكلمت معي أو لم تتكلم. كنت أسر جداً حين نكون في الخدمة معاً؛ وحتى حين لا يكون دوامي متناسباً مع دوامها، كنت أتصل بالقسم علني أسمع صوتها عبر الهاتف، أو أعود إليه، هكذا بدون



سبب، لأقف أمامها، أنظر إليها لبضع دقائق وأعود أدراجي، لقد ساعدتني في عدم إظهار انزعاجها، ودعوتها مرة لشرب كأس في المقهى المجاور، بدلاً من أن احقق مع شخص قد أضطر لسجنه. كنا نجلس إلى الطاولة هكذا بدون كلام.

ـ وماذا أيضاً؟ تساءلت لورين.

تابع بيلجر حديثه بعد أن أشعل سيجارة، طلبت منه لورين ألا يكملها، «في المقهى كنا نجلس معتقدين أن لا أحد يرانا، ومضى وقت طويل قبل أن أعترف لها أني أحس بغربة قاسية حين تكون بعيدة عني.. هل يكفي هذا؟».

ـ وبعد ذلك ماذا فعلت؟

ـ أضعت الكثير من الوقت قبل الإعتراف بالحب.

ساد صمت ممل على السيارة، قطعته لورين قائلة «إن الشخص الذي اختطفته، لم يكن معروفاً لي.. فقط عاينته بعد الظهر إثر تعرضه لحادث اصطدام بدراجة نارية. لاحظت وأنا أعاينه وكأنه يرغب بالهرب مني، بينما أنا كنت راغبة أن تطول المعاينة. وعند منتصف الليل اتصل بي صديقه ليبلغني تدهور حالته، فأحسست بشعور داخلي يشدني إلى مساعدته، لا أستطيع أن أشرح لك لماذا، ولا لماذا أفرحني هذا الإتصال؛ فأسرعت إلى مستشفى سان بيدرو.

التفت بيلجر إليها، والإبتسامة على شفتيه ومد يده ووضع المصباح الأحمر على سقف السيارة وكذلك صفارة الإنذار. ومضت السيارة تعبر شوارع سان فرنسيسكو المبللة بالماء، باتجاه مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري دون توقف.

نورما مسحت العرق المتصبب عن جبين الدكتور فيرنشتاين.

دقائق ويصل المجس إلى النقطة المطلوب أن يكشفها، ليتضح موقع النزيف في الرأس. أحدثت آلة تخطيط القلب صوتاً يشبه الصفير، مما جعل الكل يحبس أنفاسه. تقدم غرانيللي وراح يراقب ذاك الخط المستقيم الذي ارتسم عليها. إنه أمر مقلق فعلاً.

بدلت نورما الوعاء الذي ينزل فيه الدم المسحوب من رأس آرثر ومسحت الدم عن جلد رأسه «يبدو أن الوضع أكثر تعقيداً مما تصورت» قال فيرنشتاين وتابع «إنها حالة فريدة من نوعها».

ـ أتعتقد أنه كيس دم متجمد؟ تساءل طبيب التخدير.

ـ بالطبع، فهذه ليست غدة صغيرة، على كلٍ سأرى عما إذا كان استئصاله ضرورياً.

ـ وما العمل؟ تساءلت نورما.

ـ علينا تجاهل هذا الجيب، وبدلاً من استئصاله، دعونا نسحب السائل الذي في داخله.

ـ أتريد الإستراحة بعض الشيء؟ قال طبيب التخدير.

ـ لا. أفضل الإنتهاء من هذه العملية بأقصى سرعة ممكنة، لم يكن جائزاً إجراؤها بفريق طبي غير كافٍ.

ـ عفواً بروفسور فيرنشتاين ـــ قال الدكتور غرانيللي. إننا خيرة الإختصاصيين هنا.

في موقف المستشفى، يفتح المفتش بيلجر باب السيارة للورين



التي ترجلت وأخذت تنظر إليه. الأمر الذي أثار استغراب المفتش «إرحلي من هنا فلديك عمل ينتظرك».

ـ أبحث عن كلمة تعبر عن امتناني لك. قالت لورين.

* * *

دخلت لورين باب قسم الطوارئ، واتجهت مباشرة عبر المصعد إلى قسم الجراحة، لبست الرداء الأخضر، والقفازين ووضعت القناع على وجهها وأسرعت بالدخول إلى غرفة العمليات دون أن تثير انتباه أحد من الفريق الطبي.

ـ هل أزعجكم؟ تساءلت لورين.

ـ أظن وجودك مجدٍ فالوضع يزداد سوءاً أين كنت؟ قال فيرنشتاين.

ـ خلف القضبان في قسم الشرطة.

ـ وهل أخلي سبيلك أم؟

وقاطعته لورين «لا لم يخلّ سبيلي، بل هذا هو شبحي يقف إلى جانبك».

ـ دعك من السخرية الآن. قال فيرنشتاين.

تأكدت لورين من أن المعدات تعمل بانتظام وتقدمت من غرانيللي متسائلة عن وضع المريض، فأجابها أن كل شيء عاد إلى طبيعته.

ثانية عادت آلة تخطيط القلب إلى إصدار صوت يشبه الصفير. التفتت نورما، وكذلك طبيب التخدير فإذا بنبضات القلب تهبط عن

المعدل المسموح به. «أصبح الوضع حرجاً من جديد» قالت نورما.

أسرعت لورين ووضعت السلك الكهربائي على صدر آرثر لإحداث صدمة كهربائية، علها تعيد القلب إلى طبيعته، فارتفع جسد آرثر عن الطاولة، ثم عاد وهبط دون أي تغيير في نبضات القلب.

إننا نفقده.. قد.. صاحت نورما.

ـ لا.. قالت لورين، وعادت لتوجيه صدمة كهربائية من جديد، وارتفع جسد آرثر عن طاولة الجراحة من جديد وعاد وهوى. دون أن يتغير شيء على الشاشة.

ـ لن تموت، أتسمع؟ قالت لورين. وأمرت نورما بتوجيه صدمة كهربائية ثالثة، إنما بشحنة أعلى، مع حقنة بخمس ميلغرامات من الإدرينالين، عبر المصل.

التفت طبيب التخدير نحو البروفسور فيرنشتاين «إنها تلميذة رائعة.. لقد استعادت المبادرة كما ترى».

لحظات عاد بعدها صدر آرثر يرتفع ويهبط وإن بشكل غير طبيعي. أمرت لورين بحقنه بكمية إضافية من الادرينالين، لكن فيرنشتاين تقدم منها وربّت على كتفها، «أما تعتقدين أنه حقن بأكثر مما يجب؟».

انتزعت لورين الحقنة من يد نورما، وبدون أي تردد أو خوف، غرزتها في غشاء القلب وهي تصرخ «أمنعك من الرحيل.. عليك أن تتشبث بالحياة».

تقدم منها فيرنشتاين «دعك من كل هذا يا لورين. دعيه يذهب.. فعبثاً تحاولين». لم تأبه لورين لما قاله أستاذها «لا تقل دعيه يذهب، بل استعمل المفردة الصحيحة وقل دعيه يرحل، أو المفردة الأصح دعيه يموت... يموت.. يموت» كانت تصرخ وهي



تضغط على صدر آرثر بكل ما أُعطيت من قوة.

فجأة توقف صوت آلة تخطيط القلب، وعادت الذبذبات ترتسم على الشاشة شيئاً فشيئاً، وتتخذ شكلها الطبيعي. تقدمت لورين من أستاذها، وأمسكت يده «إنه لا يعود بل يعيش.. إنه يعيش أليس كذلك؟».

سحب فيرنشتاين يده من يدي لورين وهو يغادر غرفة العمليات متمتماً «لم تكن بحاجة إلي».

صمت رهيب خيم على غرفة العمليات. الكل مذهول بما جرى، وبما فعلته لورين، لا شيء يسمع سوى صوت ذبذبات آلة تخطيط القلب، عاد القلب ينبض وبانتظام.

غرانيللي تأكد من انتظام الحركة الدموية «فعلاً إنه عاد من نهاية الطريق» وتساءل «من قال إن العناد لا ينفع أحياناً؟» والتفت إلى لورين «يمكنك الآن تقطيب جراحه.. إنه مريضك وأنت من أنقذ حياته».

فيما كانت نورما تحضر لتضميد الجراح، سمعت لورين أنيناً تحت طاولة الجراحة، انحنت، فرأت بول متقوقعاً وقد شحب لونه، فسألته ماذا يفعل هنا، فلم يتمكن من الإجابة إذ أصيب بالإغماء، أخذته من كتفيه وأخرجته وباشرت بإنعاشه من خلال مده بالأكسجين الإصطناعي وحين وعى صاح «أرجوك اخرجيني من هنا... فقدماي لم تعد تقوى على حملي. عاد غرانيللي ومده ببعض الأوكسجين.

ـ إصمت وتنفس بعمق. أمرته لورين.

ـ كل شيء أخافني.. حديثهم عن إمكانية موته، وتلك ـ وأشار إلى أكياس الدم ـ

www.newity.com

لا أريد التدخل بينكما قال غرانيللي موجهاً كلامه للورين، ولكن عليك الإهتمام بمريضك الذي أيقظتنا من نومنا إكراماً له.

طلبت لورين من نورما الإهتمام ببول حتى يتمكن من الوقوف على رجليه وأخرجته من غرفة العمليات وهو يترنح يميناً وشمالاً، وضعته على سرير في غرفة مجاورة، وأرادت إعادة إنعاشه بالأكسجين، نزعت القناع عن وجهها وسألته عن مهنته. التفت إليها، فرأى الدم يلطخ رداءها الأخضر، فغارت عيناه وأغمي عليه من جديد. فاضطرت إلى صفعه على خديه حتى استعاد وعيه فتركته وحيداً وعادت إلى غرفة العمليات.

السادسة صباحاً، نقلت نورما آرثر إلى غرفة العناية الفائقة، فيما غادرت لورين غرفة العمليات برفقة طبيب التخدير إلى الغرفة المجاورة، حيث خلعت القفازين والقناع والرداء الأخضر والدموع تبلل خديها. كان غرانيللي ينظر إليها بإعجاب وتقدير، فتقدم منها وقال «يسرني أن أكون معك مرة ثانية عندما ترغبين بذلك».

خرج غرانيللي وعادت لورين إلى البكاء.

غرفة العناية غارقة في الصمت. آرثر ممدد على السرير ونورما تتأكد من انتظام عمل الآلات الطبية الموصولة إلى جسده، وكذلك من انتظام نبض قلبه وضغط الدم والتنفس. دونت كل شيء على الملف الطبي المعلق بعارضة السرير، وسلمت هذه المهمة إلى ممرضة أخرى وخرجت لترى فيرنشتاين يتجه إلى غرفة العمليات، بحثاً عن لورين التي اعتذرت منه عن تصرفها الذي اعتبرته أشبه بمغامرة، لكنه وجه لها التهنئة على ما فعلته، وأنه يعتز بها وعليها الإفتخار بما فعلت. ثم أخذها بين ذراعيه وأكمل القول «أنقذت حياة إنسان..



كان من الممكن أن تنتهي بسبب الاستهتار. أنا الآن ذاهب إلى بيتي، وقريباً سأحال على التقاعد. لتكن لديك الجرأة لتقبل نتائج أعمالك والحكمة في التمييز بين الخطأ والصواب».

نظرت إليه، فرأت عينيه تشعان محبة لها وحناناً وفجأة تذكرت أن المفتش بانتظارها، إنما رغبت معاينة آرثر قبل العودة إلى قسم الشرطة.

# الفصل الثاني عشر

في مكتب الإستقبال، ممرضة جديدة حلت محل بيتي. لورين شطبت اسمها من جدول الأطباء المناوبين وكذلك فعل طبيب الأشعة الذي استقبلها عند وصولها مع آرثر، فهو انتهى دوامه أيضاً.

تقدم منها وسألها عن حال مريضها، وعما إذا كانت العملية الجراحية قد سارت وفقاً لما تشتهي.

شرحت له لورين كل ما جرى، باستثناء ذهابها إلى قسم الشرطة وعبرت له عن قلقها من عدم استتصال تكتل غريب. لكن طبيب الأشعة طمأنها، هذا لا يشكل خطراً على حياته، والدليل القاطع «هو أنت».

نزلت هذه العبارة عليها نزول الصاعقة، وفوجئت بما يقول، وبأن فيرنشتاين يعلم ايضاً. ومضى دكتور الأشعة يقول: إنه يتذكر ذلك اليوم وكأنه أمس، فلم يحدث أن أخضع مريض لهذا العدد من الصور الشعاعية والصوتية. بقدر ما خضعت، وكما تعلمين فطلبات فيرنشتاين لا ترد.

ـ هذه مؤامرة صاحت لورين، فأنا طبيبة أيضاً، وكان يجب إطلاعي على ذلك.

ـ لا أنكر أنك طبيبة، ولكنك يومها، كنت بالنسبة لي ولكل العاملين في المستشفى، مريضة فيرنشتاين... مجرد مريضة.

فتح فيرنشتاين نافذة مكتبه، فشاهد تلميذته تجتاز الشارع منسحة المجال لعبور سيارة إسعاف ومن ثم دخلت المقهى المجاور،

حيث اعتاد أن يتناول الغداء معها، وحيث كان هناك من ينتظر عودتها. استدار فيرنشتاين وابتعد عن النافذة، جلس على كرسيه خلف مكتبه. دخلت نورما، ووضعت ملفاً طبياً أمامه، تأكد فيرنشتاين من هوية المريض الذي أجرى له العملية.

ـ إنه هو.. هو بعينه أليس كذلك؟

ـ «أخشى ذلك» أجابت نورما بوجه متجهم.

ـ إنه الآن في غرفة العناية. من الأفضل أن ينقل الليلة إلى قسم الجراحة. ليس في قسم العناية الفائقة أسرة شاغرة. والأهم أن نحول دون اهتمام لورين به. وإلا سأضطر ألا أفي بوعدي.

ـ لم تفعل ذلك حتى الآن، فما الذي يجبرك اليوم؟ تساءلت نورما.

ـ منذ شفائها لم يلتقيا. قال فيرنشتاين.

ـ إذن،

ـ إذن ماذا؟ تساءل فيرنشتاين.

ـ كيف ستكون الحال إذا كانت هي مسؤولة عنه، ما الذي تنوي فعله؟

نهض فيرنشتاين عن كرسيه، شارد الذهن، حائراً ماذا يفعل، عاد ووقف أمام النافذة، علّ التأمل في المنظر الطبيعي يساعده على زوال التوتر النفسي وإيجاد حل.

خرجت لورين من المقهى برفقة المفتش. صعدا إلى السيارة التي انطلقت عائدة إلى حيث أتت.

ـ «أعتقد أن عليها الإستفادة من إجازة» قالت نورما قاطعة عليه شروده الذهني.



ـ رائعة أنت يا نورما، إنه الحل المنطقي.

تقدمت نورما من الأستاذ العجوز ووضعت يدها على كتفه ونظرت إليه نظرة حب وحنان «أنت دائماً تقلق عليها، وتعتبرها بمثابة ابنتك».

ـ خوفي أن تعرف الحقيقة... قال فيرنشتاين.

ـ أتعني حقيقة موقف أمها من اللجوء إلى أسلوب الموت الرحيم؟

ـ لا.. أن تعرف أني أنا من أقنع أمها بهذا الأمر. أتفهمين؟ قال بصوت عال وأبعدها عنه.

استعادت نورما الملف عن الطاولة وخرجت دون أية التفاتة إلى الوراء وأغلقت الباب وراءها.

عاد فيرنشتاين وجلس خلف مكتبه، تناول سماعة الهاتف وطلب من عاملة الهاتف إيصاله بمدير مستشفى سان بيدرو.

* * *

أوقف بيلجر سيارته في المكان المخصص له منذ سنوات امام قسم الشرطة، طلب من لورين النزول والدخول، وأن تقول لناتالي أنه بانتظارها.

اختفت لورين في أروقة قسم الشرطة، وخرجت ناتالي وصعدت إلى جانب بيلجر في سيارة الميركوري وتوجها نحو شمالي المدينة.

ـ «كدت تضعني في موقف حرج» قالت ناتالي.

ـ لكننا وصلنا في الوقت المناسب. أجاب بيلجر.

ـ أيمكنك إيضاح ما يجري لهذه الفتاة؟ بُعيد منتصف الليل أخرجتها من الزنزانة دون موافقتي.

ـ ماهذا؟ أتغارين يا ناتالي؟

ـ لا شك إن غيرتي عليك تُدخل البهجة إلى قلبك.

ـ أتذكرين آخر مهمة لي؟

ـ وهل تُنتسى؟

ابتسم بيلجر ووضع يده على ساق ناتالي: إنها هي.

ـ أتعتقد ذلك؟

ـ هذا ما استنتجته من قراءتي لتقرير الشرطة. إنها هي وإنه هو. يمكنني القول إن هذين الإثنين يمتلكان قدرة التحدي والمواجهة، بغض النظر عن العواقب. وتابع، «قد لا تعيرين بعض الدلائل أو الإشارات الحياتية انتباهاً، ولكن لها دلالات ومعاني. حين أخرجتها من الزنزانة، اعتبرت نفسي في مواجهة قوس قزح بألوانه المتنوعة والمتناسقة، صدقيني ناتالي أنا متشوق لمعرفة عما إذا كان أحد ما قد أخبرها بما فعله ذلك الرجل من أجلها، ومتشوق أكثر لمعرفة ردة فعلها بعد سماعها للقصة.

ـ وما فعلته أنت أيضاً؟ قالت ناتالي.

ـ أنا لم أفعل شيئاً. كل ما فعلته هو أني وجدت جسدها في منزل بكارمل وأعدتها إلى المستشفى.

ـ أبداً.. أنت لم تفعل شيئاً. قالت ناتالي وتابعت، لن أذكرك باختفاء ملف التحقيق.

ـ أنا... لم أفعل ذلك. لم أخفِ الملف.

فتح بيلجر نافذة باب سيارته ونهر المارة الذين يعبرون الطريق



خارج المساحة المخصصة لعبور المشاة.

ـ «وأنت؟ ألم تقل لها شيئاً» قالت ناتالي.

ـ كنت أتلهف لذلك، ولكن لم أخبرها شيئاً.

ـ ولماذا؟

ـ لست أدري، هناك شيء دفعني أن ألزم الصمت. إنه الحدس يا ناتالي.

ـ أتمنى لو تعيرني حدسك من وقت لآخر.

ـ ولماذا؟

توقفت الميركوري في مرآب المنزل حيث يعيشان. لون الشمس أصفر نقي كلون دوار الشمس، لكن ضباباً سيحجب هذا اللون بعد حين.

* * *

في الزنزانة، لورين ممددة على السرير، تسأل نفسها لماذا فعلت ما قد يحول دون نيلها شهادتها في اختصاص جراحة الرأس والدماغ. أيعقل أن تكون ليلة واحد محت سبع سنوات من العمر؟

* * *

أعاد فيرنشتاين السماعة إلى مكانها بعد أن اتفق مع مدير مستشفى سان بيدرو على أن يأمر الدكتور بيرسون بسحب دعواه وتجاهل سرقة سيارة الإسعاف، لقاء عدم طلب التحقيق بإهماله بواجباته الطبية.

بعد استراحة قصيرة في الفرن الفرنسي، استقل بول سيارة

أجرة لنقله إلى التلال الباسيفيكية، حيث تقيم السيدة موريسون، المرأة العجوز التي، أنقذت حياة أغلى صديق له في الحياة.

كانت السيدة موريسون تنزّه بابلو، حين ترجل بول من السيارة وتقدم منها شاكراً لها ودعاها لتناول الفطور ليخبرها عن صحة آرثر.

* * *

دخلت نورما إلى الغرفة 201 في قسم العناية دون إحداث أية ضجة. آرثر ممدد على السرير، بدلت الأكياس التي تجمع الدم المنساب من الجرح، وألقت نظرة على آلة مراقبة التنفس وكذلك على الآلة التي تبين كيفية عمل الدماغ.

دونت كل المعلومات على الملف الطبي وخرجت باتجاه مكتب فيرنشتاين الذي ما إن رأها حتى تأبط ذراعها وسارا معاً في ممر قسم العناية. إنها المرة الأولى التي يتصرف بها فيرنشتاين هذا التصرف غير اللائق بعمره.

ـ ما رأيك لو نتناول الغداء معاً على شاطىء الخليج ومن ثم نصطاد السمك؟ قال فيرنشتاين.

ـ أنت حر اليوم؟ قالت نورما.

ـ نعم. لقد انتهى دوامي. وطلبت إجازة ليوم غد.

ـ إذن عليّ أناً أن أفعل ذلك أيضا.

ـ لا ضرورة.. فقد فعلت أنا.

فتحت نورما باب المصعد وهي ما تزال تتأبط ذراع فيرنشتاين



باليد الأخرى ودون اهتمام لوجود أطباء آخرين.

* * *

عند العاشرة صباحاً، دخل مفوض الشرطة المناوب إلى زنزانة لورين وأبلغها أن مستشفى سان بيدرو أسقط دعواه، وكذلك الدكتور بيرسون، إنها حرة ويحق لها مغادرة القسم إلى حيث تشاء.

انبهرت لورين بلون الشمس، المدينة استعادت حيويتها ورغم هذا أحست بغربة ووحدة. في منتصف الطريق المؤدي إلى منزلها، قررت تغيير وجهة سيرها.

* * *

ـ متى أستطيع زيارته؟ تساءلت السيدة موريسون وهي ترافق بول نحو مدخل البناية.

ـ سأبلغك ذلك لاحقاً. قال بول.

ـ سأرسل له غداً علبة حلوى. هل تتكرم بإيصالها؟

ـ لك ما تشائين. قال بول وتابع طريقه، فيما دخلت السيدة موريسون إلى المبنى وصعدت إلى شقتها. تناولت النسخة عن مفاتيح شقة آرثر ودخلت إليها، لري النباتات، وبضعة دموع تبلل خديها. إنها تفتقده كثيراً.

* * *

جنباً إلى جنب ممدد فيرنشتاين ونورما على رمل الشاطىء متشابكي الأيدي يراقبان طيور السنونو ترفرف دون انقطاع، في سماء المحيط.

www.rewity.com

ـ لماذا أنت قلق هكذا؟ تساءلت نورما.

ـ أنا؟ ومن قال ذلك؟

ـ لا شك أنك ستقوم بأعمال كثيرة بعد إحالتك على التقاعد، ستلقي المحاضرات، ستقوم برحلات كثيرة وستهتم بالحديقة. وهذا أهم عمل يقوم به المتقاعدون.

ـ لا.. لن أفعل هذا. قال فيرنشتاين.

ـ أتسخر مني يا فيرنشتاين؟

استدار فيرنشتاين نحو نورما وراح يتأملها.

ـ ما بك أتزعجك تجاعيد وجهي؟

ابتسم فيرنشتاين. «لم أمض أربعين سنة في جراحة الرأس لأنتهي بتقليم وتشذيب الأشجار والأزهار. لكن فكرتك عن المحاضرات والسفر، فكرة جديرة بالإهتمام. إنها تروق لي شرط أن تكوني رفيقة رحلاتي.

ـ أتخشى الوحدة بعد التقاعد يا فيرنشتاين؟

ـ أبداً.. إنما أريد أن أستفيد مما تبقى لي من السنين. لذلك طلبت التقاعد المبكر، فوق هذا كله، أتمنى أن تكون سوية.

باندهاش وقفت نورما ونظرت في عيني من تحب: لماذا ترفض العلاج؟

ـ أرجوك نورما، لا تحدثيني عن العلاج الآن، حدثيني عن السفر، عن المحاضرات، عن كل شيء مفرح، وحين أرحل، أرجوك إدفنيني حيث طلبت منك.

تابع فيرنشتاين، «أريد أن أموت وأنا أتمتع بعطلة رائعة، ليس وأنا



على المنابر ألقي المحاضرات وأشرح للأطباء عن أعقد العمليات الجراحية التي قمت بها».

انحنت نورما وقبلت شفتي الأستاذ العجوز، وهكذا، وعلى هذا الشاطىء بدأت رحلة جديدة.

* * *

منذ أكثر من ساعة، وبول جالس في غرفة الإنتظار ينتظر حلول الواحدة بعد الظهر، موعد زيارة مرضى قسم العناية الفائقة. في هذه الغرفة، بشر متنوعون، عجوز يعتقد أنه يزور متحفاً، وسيدة تحتضن صوراً شعاعية وكأنها تحتضن كنزاً ثميناً، وعلى الأرض طفل صغير يلعب بسيارته على البلاط البرتقالي اللون.

قرب ثلاجة المشروبات الغازية في الممر، كانت تقف ممرضة حائرة، تقدم بول عارضاً المساعدة. فطلبت قطعة نقود معدنية، فكان لها ما أرادت، شكرته وهي تقول «أُدعى نانسي».

ـ أعرف ذلك فأسمك مسجل على البطاقة على ردائك.

ـ هل يمكنني مساعدتك؟

ـ أنتظر الساعة الواحدة حتى أزور صديقاً لي.

ـ ما اسمه؟

ـ آرثر

لم يكد بول يلفظ إسم آرثر حتى أمسكته بذراعه وطلبت منه أن يسير إلى جانبها قائلة «لا وجود للقوانين إن لم تخرق» وأوصلته إلى باب الغرفة 307.

ـ «ولكن صديقي في غرفة العناية» قال بول.

ـ أعرف. كان هناك ونقل إلى هنا، و بعد سحب القرعة ربحت أنا.

ـ ربحت ماذا؟ تساءل بول.

ـ مهمة الاهتمام به. قالت هذا وهي تنظر إليه بافتخار.

خزانة وطاولة متحركة وكرسي هي كل ما في غرفة آرثر النائم وأنبوب الأكسجين في أنفه المصل في عرقه، رأسه ملفوف بالضمادات.

الى جانب السرير جلس بول يستعيد ذكريات عتيقة «كيف حالك؟».

ـ ألم خفيف في رأس، إحساس بالتعب... أفسدت ليلتك. أليس كذلك؟

ـ لننظر إلى الأمر من زاوية أخرى، جعلتني في حالة هستيريا.

ـ توقف عن قول هذا يا بول.

ـ عيناك ما زالتا مغمضتين.

ـ رغم هذا فأنا أراك. قال آرثر وتابع «أخبرني الأطباء أن كل شيء سيكون على ما يرام».

تقدم بول من النافذة وراح يتأمل المناظر الطبيعية: الأزهار والأشجار، في الحديقة رجل عجوز بثياب النوم وإلى جانبه إمرأة تساعده على السير وسط الممرات الخضراء.

استمر بول يراقب ما يجري في الخارج وقال: كنت إنساناً سيئاً، لكني أود أن أغير ما في نفسي.

ـ ماذا؟ قال آرثر.

ـ كنت أنانياً جداً، أتحدث دائماً عن نفسي. أريد أن أكون مثلك.



ـ تعاني من ألم الرأس والحساسية من الشوكولا؟ دعنا نتكلم عن الحب.

ـ أعتقد أنه أفضل. ولكن الذي قمت به شيء لا يُصدق.

ـ أتقصد أني تعمدت الإصطدام بالدراجة النارية؟

ـ لا.. أقصد عدم الشفاء من حبها.. غريب أنت، تكتفي بتغذية مشاعرك لها واحترام حريتها. يكفيك أن تكون سعيدة ولو بعيدة عنك. أنت تبحث عنها، لا للقائها، بل لحمايتها. قال بول.

ـ لا... ليس لحمايتها... ولكن لأكون الى جانبها في الوقت المناسب. ومن ثم، ماذا لو قلت لها الحقيقة المرة؟

ـ ومتى ستفعل ذلك؟

ـ سأنتظر قدر ما أستطيع.

دخلت الممرضة وأبلغت بول أن موعد الزيارات انتهى، وأن عليه أن يترك صديقه ليرتاح. وعند الباب استدار بول نحو آرثر «لا تفعل بي هذا ثانية يا صديقي».

ـ «بول».. قال آرثر.

ـ نعم وماذا أيضاً؟

ـ أكانت هنا ليلة أمس؟

ـ استرح الآن، تتكلم غداً.

خرج بول والحزن على وجهه. عند باب المصعد التقى نانسي وصعدا معاً إلى الطابق الثاني.

ـ أتعلم؟ لست سيئاً بهذا المنظر. قالت نانسي لبول.

ـ كيف لو رأيتني وأنا أرتدي ثياب الطبيب الجراح؟

ـ سمعت حواركما.

لم يفهم بول ماذا تقصد. نظرت إليه وباحت بما في صدرها «أتمنى لو يكون لي صديق مثلك» وما إن فتح باب المصعد، حتى خرجت على رؤوس أصابعها، وطبعت قبلة على خده ومضت مسرعة.

* * *

ترك فيرنشتاين رسالة للورين على مجيبها الآلي يبلغها فيها أنه سيزورها في شقتها نهاية هذا اليوم دون إيضاح السبب.

ـ لست أدري إذا ما كنت أفعل الصواب قالت السيدة كلاين.

أعاد فيرنشتاين هاتفه الجوال إلى جيبه وهو ينظر إليها، أعتقد أن الوقت لم يحن بعد لقول الحقيقة، من يدري قد تفقدينها ثانية. خيراً فعلت حتى الآن.

ـ لكنه عبء ثقيل على كتفي يمنعني من النوم. لربما قول الحقيقة يزيح هذا العبء.

ـ جميل جداً أن نعترف بأخطائنا. ولكن، قد يتسبب هذا الإعتراف أحياناً بما لا نرغب. لكل منا مخاوفه. أنت والدتها ويحق لكِ الخوف من ألا تسامحك، ولكن، وفي النهاية أيضاً، أنا من أقنعك بفكرة الموت الرحيم.

ـ أنت تصرفت تبعاً لما تمليه عليك مهنتك واستناداً إلى خبراتك وليس هناك ما تلام عليه.

جلست السيدة كلاين على مقعد خشبي وإلى جانبها جلس الدكتور فيرنشتاين: المشكلة هنا، ليست في قول الحقيقة، فلو كانت هي مكاني لكانت ستتخذ ذات القرار الذي اتخذته.



نظر فيرنشتاين إلى المياه الهادئة في الميناء السياحي الصغير. تنهد من أعماق صدره: ما يزال أمامي ثمانية عشر شهراً ليس أكثر وبعدها يمكنك التصرف كما تشائين.

ـ كنت أعتقد أنك ستتقاعد عند نهاية العام قالت السيدة كلاين.

ـ أنا لا أتكلم عن موعد تقاعدي.

أمسكت السيدة كلاين يد الأستاذ العجوز فإذا بها ترتجف، وجبينه يتصبب عرقاً: إسمعيني سيدة كلاين. لقد أنقذت المئات من الموت، ولكن لم أقم معهم علاقة حب أو صداقة. كل ما كان يهمني هو إنقاذ حياتهم، لأحرز انتصاراً على المرض أو الموت. لأحقق انتصاراً طبياً أو شخصياً إذا شئت. ورغم هذا، ما فكرت يوماً بانجاب طفل، يدخل البهجة إلى حياتي، أو قولي يقف إلى جانبي أواخر أيامي.

ـ أتساءل دائماً. قالت السيدة كلاين، لماذا كل هذا الإهتمام بابنتي؟

ـ لأنها تجسّدني. نعم لأنها تمثل كل ما تمنيت أن أكونه، وفشلت في تحقيقه. إنها شجاعة، وأنا أتمنى لو أكون شجاعاً. ولكني لست كذلك. لست أدري لماذا اعتبرها استمراراً لي، أنا سأرحل وهي ستبقى. إني خائف من الموت. أستيقظ في الليالي ومعدتي تؤلمني، فلا أحد قربي يساعدني حتى في النزول عن السرير. هذا أنا، فيرنشتاين العظيم، فيرنشتاين المشهور. أنا إنسان محطم داخلياً.

أمسكت السيدة كلاين يد الأستاذ العجوز وأنهضته من مكانه وقادته نحو ممر مشجر طويل: إلى أين تريديننا أن نذهب؟

أخذته إلى شاطىء المارينا وجلسا قرب بركة الماء في الحديقة

العامة، حيث أطفال من مختلف الأعمار يلعبون، يسرحون ويمرحون، وحيث الأراجيح تعلو وتهبط والأطفال يتسابقون في جعل أرجوحتهم ترتفع أكثر من أرجوحة الآخرين. هناك رجل عجوز يعتني بأحفاده، ويساعدهم على التزحلق. أولاد يقفزون على الحبال أو على العشب. وفي زاوية أخرى أم تحاول إقناع ولدها أن يترك قصره الرملي ليتناول الطعام. فهذا القصر الرملي هو أهم عنده من أطيب المأكولات وأشهاها.

نظرت السيدة كلاين إلى الأستاذ العجوز: «أنظر، فسترَ أن الحياة مستمرة».

لكن مشهداً أعاد البروفسور إلى حزنه. فتاة صغيرة تمتطي حصاناً خشبياً بفرح لا يوصف، لكنها ما إن تلمح والدها آتياً من البعيد حتى تنزل عن الحصان، وتركض نحوه لترتمي بين ذراعيه ويرفعها والدها إلى الأعلى. وترمي الطفلة رأسها على صدره. فقال «هكذا تستمر الحياة». نظر إلى ساعته، لقد اقترب الموعد الذي حدده للورين. لقد اتخذ قراراً صعباً، ولكن لا بد من لحظة حسم.

من عن مقعدها، راحت السيدة كلاين تلاحقه بنظراتها وهو يبتعد عنها وحيداً حتى وصل إلى سيارته.

* * *

أرصفة شارع غرين ستريت مغطاة بأوراق الشجر، وشرفات البنايات تتلون بألوان الزهور والورود. قرع فيرنشتاين الجرس الداخلي لشقة لورين وأكمل طريقه.



على المقعد الوثير جلس، وهو حائر لا يدري كيف يبلغها قراره الذي هو أشبه بحكم الإعدام. ولكن لا بد من ذلك. لا بد من إبلاغها أنها موقوفة عن العمل لمدة اسبوعين ويحظر عليها الإقتراب من المستشفى.

لم تصدق لورين ما سمعت. إنه قرار يجب أن يصدر عن المجلس التأديبي للمستشفى وله آلياته. لكن فيرنشتاين رجاها أن تستمع إليه. بدون أية صعوبة تمكن من إقناع مدير مستشفى سان بيدرو بالتنازل عن دعواه ضدها، وأقنع بيرسون بسحب شكواه، إنما لقاء شيء، وليس مجاناً. أسبوعاً إجازة غير مدفوعة الراتب، هي الحل الأقل كلفة بالنسبة لها، وأفضل بكثير من تعريض مستقبلها الطبي والشخصي، لما لا تحمد عقباه.

أغضب هذا القرار لورين، لأنها لو لم تفعل ما فعلت، لكان آرثر الآن غادر الحياة بسبب إهمال بيرسون. إنما، وبالوقت ذاته، وانطلاقاً من ثقتها بأستاذها تقبلت القرار.

عاد فيرنشتاين ليؤكد على ضرورة عدم الإقتراب من المستشفى أو الإتصال بأي من العاملين فيه، خاصة الأطباء والممرضات، حتى أنه ممنوع عليها الجلوس في المقهى الباريسي.

تساءلت لورين عما يحق لها فعله خلال هذه الفترة. فكان الجواب «ما عليك إلا الإستراحة والإستفادة لمتابعة الأبحاث».

انصاعت لقرار أستاذها بإمتنان وغضب في آن. فقد أنقذت حياة إنسان، وانتصرت على إنسان سافل.

انتهى الحديث عن القرار، وانتقل فيرنشتاين إلى الثناء على

ذوقها في اختيار المفروشات. «إنها شقة حميمة ورومانسية أكثر مما كنت أتوقع».

لم تعر لورين كلامه اي اهتمام بل اومأت باصابعها نحو الباب طالبة منه المغادرة، وقف فيرنشتاين ليذكرها بمضمون القرار موضحاً أنه أعطى تعليماته الواضحة والحازمة لجميع العاملين في المستشفى بعدم الإلتقاء بها، لا داخل المستشفى ولا خارجه، وحتى أنه طلب من عاملة الهاتف «عدم الرد على أي إتصال منك». وفوق هذا، ممنوع عليها ممارسة مهنتها كطبيبة خلال هذه الفترة.

في طريق العودة أحس فيرنشتاين بألم في معدته، واستغل الوقوف على الإشارة الحمراء ليمسح العرق الذي تصبب على جبينه، لكن سائقاً متهوراً كان يقف خلفه، لم يتوقف عن إطلاق بوق سيارته ليحث الأستاذ العجوز على الإنطلاق، خاصة وأن إشارة السير تشير إلى أنه صار مسموحاً أن يتابع السائقون طريقهم.

تزايد الألم في معدته، حتى أنه بالكاد استطاع ركن سيارته في موقف الزبائن لمحل بيع الزهور القريب. أوقف المحرك، نزع ربطة العنق، وحل الزر الأعلى للقميص وأسند رأسه على مقود السيارة.

يتمنى لو يصطحب نورما، خلال فصل الشتاء، برحلة إلى جبال الألب والتمتع برؤية المتزلجين، ومن ثم السفر إلى النورماندي حيث أمضى عمه الذي اهتم به، أيام طفولته وشبابه، وحيث يرقد الان.



تراجعت وتيرة الألم، أدار محرك السيارة، وتابع سيره، شاكراً الله أنه لم يشعر بمثل هذا الألم أثناء إجراء أية عملية جراحية.

* * *

بعد الظهر كان الجو صافياً والحرارة معتدلة. عند شاطىء المارينا أوقف بول سيارته الأودي.

الناس على طول الطريق زرافات ووحدانا، منهم من يمارس الرياضة ومنهم من يتنزه. إمرأة شابة غارقة في أفكارها، تسير جنباً إلى جنب مع كلب هادىء. عرفها بول وتقدم منها وبكل تهذيب ولياقة قال لها «آسف ولا أقصد إزعاجك».

ـ على العكس إنك لا تزعجني، صدفة حلوة أن نلتقي، كيف حاله اليوم؟

ـ أفضل بكثير، نقل من غرفة العناية، واستيقظ ويبدو أنه لا يشعر بألم شديد.

ـ هل تكلمت مع الطبيب المناوب؟ تساءلت لورين.

ـ لا.. لم أستطع، لكن الممرضة المسؤولة عنه أعلمتني أنه بحالة جيدة ويتجاوب مع الدواء، وبناءً لأقوالها، قد تنزع غداً أنابيب التنفس الإصطناعي.

ـ رائع... إنها دلالات التعافي السريع، قالت هذا وهي تحرر كالي من الطوق.

ـ هل أنت في يوم إجازة؟ سألها بول.

ـ لا.. أنا في إجازة قسرية لمدة أسبوعين. هذه عقوبتي لقاء انقاذ صديقك.

www.newtiv.com

جنباً إلى جنب تابعا السير ودون أن يتفوه واحد بكلمة، لكن بول قطع هذا الصمت قائلاً «أعترف أني تصرفت كجبان، ولست أدري كيف أتقدم منك بالشكر لما فعلته، كل ذلك كان بسببي، غداً سأقصد قسم الشرطة لأقول الحقيقة كاملة، فأنا من يتحمل مسؤولية ما جرى وليس أنتِ».

ـ لا ضرورة لفعل ذلك. أُجبر بيرسون على سحب دعواه مقابل إعطائي إجازة بدون راتب لمدة أسبوعين.

ـ جد آسف. قال بول وتابع. وهل يمكنني فعل شيء؟

توقفت لورين عن السير وراحت تتأمله «أنا الآسفة.. وإني لسعيدة بما فعلت».

على بعد أمتار بائعة مثلجات ومرطبات تعرض ما عندها. تقدم بول وطلب كأساً من الصودا للورين واصبع مثلجات على الفراولة وجلسا على مقعدين خشبيين إلى جانب طاولة خشبية، فيما سنجاب على غصن شجرة يغازل كالي.

ـ أية محبة تجمعكما؟ تساءلت لورين.

ـ منذ الطفولة عشنا معاً ولم نفترق إلا عندما سافر إلى فرنسا.

ـ رحلة حب أم رحلة عمل؟

ـ الأعمال من اختصاصي. قال بول. أما التسلية فهي له.

ـ أهرب من شيء ما؟

حدق بول بعينيها وأجاب. نعم... منك أنتِ.

ماذا؟ صاحت لورين.

ارتشف بول جرعة من الصودا ومسح فمه بيده، محاولاً إخفاء ارتباكه: أقصد النساء.



ـ من كل النساء أو من إحداهن؟ قالت مبتسمة.

ـ من واحدة فقط.

ـ قصة انفصال. أليس كذلك؟

ـ أتمنى لو بإمكاني قول الحقيقة.

ـ إذن لا ضرورة لمتابعة الحديث في هذا الموضوع.

ـ وأنتِ هل من أحد بحياتك؟

ـ إنك تحقق معي.. لا... ليس في حياتي أحد. لديّ حساسية على وبر الكلاب. لدي أحدهم إنما لا يحتل مكاناً في قلبي، فأوقات عملي لا تسمح لي بإقامة علاقات، ممارسة المهنة تأخذ القسط الأهم من حياتي.

ـ غير أنه يجب أن لا تحول مهنتك دون عيش حياتك؟

نادت لورين كالي التي ابتعدت نوعاً ما واستدارت نحو بول. وهل تعتقد أن صديقك يشاطرنا الرأي؟ ومن ثم فنحن لسنا صديقين حميمين لنتابع هذا الحوار.

ـ آسف، فأنا لا أرغب بلعب دور المرشد الروحي.

وقفت وشكرته على المثلجات التي قدمها لها، هل يحق لي الإتصال بك من حين لآخر للاستعلام عن صحة مريضي؟ كما أخبرتك ليس بإمكاني الإتصال بالمستشفى.

شع وجه بول فرحاً: لك ما تريدين.

ـ ولماذا تبتسم هكذا؟

ـ لا لشيء. إنما أخشى ألا نصبح يوماً صديقين حميمين يحق لنا التحدث في هذا الموضوع.

ساد صمت، قطعه بول «يمكنك الإتصال ساعة تشائين فرقم هاتفي موجود لديك».

ـ لا.. إنه في ملف صديقك.

دوّن بول رقم هاتفه على ورقة وأعطاها للورين التي وضعتها في جيبها وشكرته وابتعدت.

مريضك يدعى آرثر آشبي قال بول بصوت عالٍ لغاية في نفسه.

ما إن ابتعدت لورين، حتى طلب بول مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري ومن ثم الممرضة المسؤولة عن صديقه ليترك له رسالة تقول «لقد سجلنا هدفاً».

على بُعد أمتار كانت تقف صبية تنظر إليه بحزن وغضب، عرف بول تلك القامة الممشوقة، ركض نحوها، لكنها استقلت سيارة أجرة واختفت. إنها أونيغا.

تسمر بول مكانه، عيناه تحاولان اللحاق بسيارة الأجرة.

# الفصل الثالث عشر

صالة الملهى الليلي شبه خالية. عازف يحرك أنامله على اوتار البيانو فتنبعث الأنغام سكرى.

أبعدت أونيغا كأسها الفارغ، وطلبت كأساً أخرى.

ـ أما تعتقدين أنه من الأفضل لو تنتظرين قليلاً؟ قال النادل وهو يسكب الكأس الثانية.

ـ هل لديك ما تحزن لأجله؟

تعجب النادل لسؤالها: يأتي الزبائن إلى هنا ليفرغوا أحزانهم. يأتون طلباً للمرح والتسلية، حتى أنهم لا يراعون ظروف عملنا.

أنا أوكرانية، قالت أونيغا وهي ترفع الكأس إلى شفتيها. نحن شعب نحب المرح والحياة، ولكن لا نسمح لأحد أن ينتصر علينا. إنها طبيعة حياتنا، وهذا ما تفتقدونه أنتم هنا.

تركت الطاولة وجاءت لتتكىء على آلة البيانو فيما العازف يتابع عزف أغنية رومانسية. رفعت الكأس إلى فمها وشربته دفعة واحدة، فأشار العازف للنادل أن يملأ لها الكأس من جديد دون أن ينقطع عن العزف.

تقدم الليل، وامتلأت الصالة. دخل بول وتقدم نحوها مباشرة دون اهتمام لحالة السكر التي هي فيها.

ـ «الحيوان يضع ذنبه بين قدميه». قالت أونيغا.

- كنت أعتقد أنكم معشر الشرقيين تتحملون شرب الكحول. قال بول.

- أنت دائماً مخطىء يا بول.. مخطىء بحقي. على كلٍ ماذا تريد؟

- بحثت عنك في كل الملاهي. قال وهو يضع يده على كتفها، فيما هي تترنح من السكر.

- وأخيراً وجدتني هنا.. أتعرف.. لديك حاسة شم قوية.

- تعالي أونيغا، لنذهب من هنا.

- ألم تكتفِ؟ أم أنها لم تروي أحاسيسك ومشاعرك، فجئت تتسلى بلعبتك الروسية؟ لماذا نذهب، يكفينا أن نجلس هنا.

- ما الذي تقولينه؟ قصدت منزلك ولم أجدك. طلبتك على الهاتف فلم تردي، لم أترك مطعماً أو ملهى إلا وبحثت عنكِ، وأخيراً تذكرت أنك تحبين هذا المكان.

- ولماذا فعلت كل هذا يا بول؟ منذ قليل رأيتك على شاطىء المارينا برفقة تلك الشابة، فأرجوك لا تقل إن هذا مجرد خيال ووهم.. إنه لأمر مؤسف يا بول.

- لا..الأمر ليس كما تتصورين. هذه الشابة هي التي يحبها آرثر.

أحست أونيغا بشيء من الإستراحة النفسية: «وأنت... من تحب؟».

لم يجب، بل دفع الحساب وتأبط ذراعها وخرجا.

بعد بضعة أمتار عن الملهى، وبالقرب من سيارة بول التفتت أونيغا نحوه وقالت «أعتقد أني سأمرض مجدداً؟»

انهارت أونيغا من الألم، لكن بول أخذها بين ذراعيه وتناول



منديلاً من جيبه ومسح لها شفتيها. نهضت مسرورة، مسترخية على ذراعيه وطلبت إليه أن يعيدها إلى منزلها.

صعدت السيارة المكشوفة السقف، وشعرها يتطاير مع الهواء، فتمنى بول لو تطول الطريق ويطول المشوار وهي إلى جانبه. أوقف السيارة أمام المبنى الذي تسكن فيه، وأطفأ المحرك ونظر إليها «لن أكذب عليكِ كنت مسروراً جداً».

- أعلم ذلك تمتمت أونيغا.

- وهل كان هذا ضرورياً يا أونيغا؟

- سيأتي يوم تعرفني فيه على حقيقتي، أما الآن فلن أدعوك للصعود لأني بحالة لا تسمح لي باستقبالك.

نزلت أونيغا من السيارة وتقدمت نحو مدخل البناية. عند الباب استدارت ولوحت له بمنديله متسائلة عما إذا كان بإمكانها أن تحتفظ به.

- ليس هماً يمكنك أن ترميه إذا شئتِ.

- في بلادي لا نتخلى عن أول دلالة حب. قالت هذا وأكملت صعودها نحو شقتها فيما بول ما يزال ينتظر عند مدخل المبنى حتى انطفأت الأنوار، فتابع سيره في الشارع المقفر.

* * *

زرر بيلجر سترة البيجاما، ووقف أمام مرآة غرفة النوم يتأمل نفسه.

- هل أعجبتك؟ سألته ناتالي.

- شكراً.

ـ أدركت ذلك مذ رأيتها في واجهة المحال.

قبلها بيلجر على أنفها. فتحت ناتالي أحد أدراج الطاولة الملاصقة للسرير وأخرجت قارورة زجاجية وسكبت بعضاً من محتوياتها في ملعقة طعام، وبصوت حازم طلبت منه أن يبتلع ما في الملعقة، رفض في البداية لكنها أفرغتها في فمه بالقوة، فشعر أن حنجرته تحترق واحمرت عيناه، تنفس عميقاً وهو يقول: «طعمه مقرف وحاد».

«آسفة عزيزي» قالت ناتالي، ولكن حتى لا يمنع شخيرك النوم عني. تعرّت قليلاً وتمددت على السرير ودعته للنوم إلى جانبها.

* * *

في الطابق الثالث من البناية المبنية على الطراز الفيكتوري على سفح تلة من التلال الباسيفيكية ـ طبيبة شابة ممددة على السرير، تستمع إلى صوت المطر المتساقط على بلاط الشرفة، وعند أسفله على السجادة تنام كلبتها كالي.

لأول مرة، منذ زمن، لا تنهض لورين باكراً وتسرع بارتداء ثيابها. إنها في إجازة قسرية وعليها الإستفادة من هذه الإجازة لقراءة بحث مطول عن الغيبوبة.

* * *

منحنية على المغسلة، جمعت أونيغا الماء بين راحتي يديها، ورشته على وجهها وراحت تتأمل نفسها بالمرآة وتمرر أصابعها على وجنتيها، رفعتهما قليلاً فاكتشفت تجعيدة صغيرة تحت عينها، تابعت هذه الحركة وصولاً حتى شفتيها، ثم عنقها وعادت لتشد وجنتيها



من جديد مجبرة نفسها على الإبتسام وأخيراً أطفأت الأنوار.

سمعت طرقاً خفيفاً على الباب اتجهت إليه وتحققت من الطارق عبر الناظور.

إنه بول جاء يتأكد من أنها بخير، فكان جوابها «طالما أني لم أمت فهذا يعني أني بخير».

غادر بول وأقفلت الباب واختفت الإبتسامة التي ارتسمت على شفتيها.

* * *

دخلت الممرضة إلى الغرفة 307 في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري تحققت من ضغط الدم عند آرثر ونبضات القلب وخرجت.

* * *

تسللت أشعة الفجر عبر النافذة المطلة على الحديقة إلى غرفة نوم لورين التي استفاقت وهي نصف نائمة، عيناها تغالب النعاس، أخذت الوسادة ووضعتها بين ذراعيها وهي تنظر إلى الساعة الموضوعة على المنضدة الخشبية جانب السرير، ثم أدارت نظرها إلى الجهة الأخرى.

تسلقت كالي السرير وتمددت إلى جانبها. فتح روبير عينيه لكنه عاد وأغمضها.

جلست على طرف السرير وهي مدركة أنها لن تذهب إلى مقر عملها. حاولت الإتصال ببيتي لكنها تراجعت عن ذلك، فالوقت ما يزال مبكراً ولم تصل الى المستشفى بعد.

بعد ساعة خرجت لورين لتمارس الرياضة على شاطىء الماريتا،

تتبعها كالي وهي تمد لسانها من التعب. على الطريق البحري، رأت لورين سيارتي إسعاف تمران مسرعتين تطلقان الأبواق.

تناولت لورين هاتفها الجوال المتدلي من عنقها وطلبت بيتي.

أول ما تفوهت به بيتي كان «أما ترين أن اهتمامك بهذا الإنسان تسبب لك في كل هذه المشاكل؟

صرخت لورين: بيتي؟... بيتي؟

ـ كما تريدين.. إنما أرجوك بلا زعيق، حتى الآن لم أتمكن من الحصول على أية معلومات عن مريضك. سأتصل بك حين أعلم شيئاً، وأنتِ كيف حالك اليوم؟

ـ أمضي أوقاتي هدراً.

ـ مثل ماذا؟

ـ أتبرج لمدة عشر دقائق.

ـ وماذا بعد؟ تساءلت بيتي بحشريتها المعهودة.

ـ أتبرج أيضا. قالت هازئة.

أحست لورين بأهمية وجودها في المستشفى ومدى الصداقات التي تربطها بالبعض ومنهم بيتي، التي رغم معرفتها بأطباع فيرنشتاين، كسرت حدة الحصار المفروض عليها وظلت على تواصل معها.

بيتي توضب الملفات وسماعة الهاتف على أذنها. «قد تعيد لك هذه الإجازة شيئاً من الإحساس بالحياة».

توقفت لورين عند بائع مرطبات لتشتري زجاجة مياه معدنية، أفرغتها في جوفها على دفعتين لشدة إحساسها بالظمأ.

ـ إسمعي لورين قالت بيتي، لقد وصلت سيارتا إسعاف، فلن



أتمكن من متابعة الحديث. سأتصل بك لاحقاً.

تساءلت لورين عن السبب الذي يدفعها للإهتمام بمريض لم تعرفه من قبل. أهو الضمير المهني... أم؟

* * *

تناول بول مفاتيح سيارته وغادر مكتبه بعد أن أعلم مورين أنه لن يعود طيلة فترة ما بعد الظهر، وسيحاول العودة عند نهاية الدوام إن استطاع.

* * *

في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، تسلق بول الأدراج باتجاه الطابق الثالث حيث التقى بنانسي تخرج من إحدى الغرف، حياها وتابع سيره نحو الغرفة 307.

اقترب من السرير وراح يتصرف كطبيب محترف. أوهم آرثر أنه يراقب سيلان المصل في عروقه، ثم أمسك معصم صديقه بأصابعه وهو ينظر إلى ساعته وكأنه يتحقق من انتظام النبض.

ـ «مدّ لسانك» قال بول لآرثر،

ـ هل يمكنني معرفة لماذا تتصرف هكذا؟ قال آرثر،

ـ تسألني؟

ـ نعم أسألك.

ـ تسأل سارق سيارات الإسعاف وخاطف المرضى؟ لقد أصبحت بارعاً في الأمور الطبية، فاتتك فرصة رؤيتي وأنا أرتدي ثوب الطبيب الجراح والقناع على وجهي والقبعة على رأسي.

رفع آرثر جسده وأسند رأسه إلى الوسادة حتى بدا وكأنه جالس:
هل صحيح أنك حضرت العملية؟

ـ بصراحة، نعم، كان في غرفة العمليات طبيب تخدير، طبيب إنعاش، طبيبان جراحان، ممرضات ومهندس. إنها مسألة تأمين فريق عمل متكامل. كانوا بحاجة لمن يساعدهم فكنت أنا.

ـ ولورين؟

ـ لورين، كانت مذهلة وساحرة، لا شيء يمنعها عن القيام بعملها، تخطط، تخدر، تنعش. للعمل معها نكهة خاصة، قال بول، وأخيره ما فعلت بالتفصيل.

تجهم وجه آرثر فصاح بول «ما بك الآن؟»

ـ إذن ستتعرض للمشاكل بسببي؟

ـ أصبحتما متعادلين أنتَ وهي.

ـ وأنت؟

ها أنا أمامك وبصحة جيدة.

ـ ألم تتعرض للمتاعب؟ كيف تدبرت أمرك؟

تنحنح بول: تصرفت كسافل حقير، ما إن وصلت الشرطة حتى حشرت نفسي تحت طاولة الجراحة بقيت هناك حتى انتهاء العملية، وإن أردت الحقيقية، علينا حذف الوقت الذي كنت فيه مغمياً عليّ. فلا أكون قد حضرت من عمليتك سوى خمس أو عشر دقائق.

دخلت نانسي إلى الغرفة وتحققت من استقرار ضغط الدم عند آرثر وسألته إذا كان راغباً أن يتمشى قليلاً ولما أجاب بالموافقة عرض بول المساعدة، وهكذا تأبطت نانسي ذراع آرثر الأيمن، وتأبط بول ذراعه الأيسر وساعداه بالحفاظ على توازنه. بعد



عودته إلى السرير طلب آرثر من بول أن يؤدي له خدمتين.

خرج بول، وفي طريق العودة توقف أمام محل لبيع الزهور، اختار باقة من أزهار الكاميليا والزنبق الأبيض، ووضع البطاقة التي استلمها من آرثر في المغلف، وطلب إليهم إرسالها إلى العنوان المحدد قبل المساء. ثم تابع طريقه نحو المارينا واتجه نحو محل لبيع أشرطة الفيديو.

عند التاسعة مساءً قرع بول باب السيدة موريسون التي سرت جداً بقدومه. قدم لها النشرة اليومية عن الوضع الصحي لآرثر وسلمها آخر نسخة من فيلم فان مان شو.

* * *

تمددت لورين على السجادة غارقة في إكمال أطروحتها، فيما والدتها تجلس على كرسي تقلب صفحات مجلة. وتتوقف من وقت لآخر تراقب ابنتها وكأنها تحاول أن توجه لها سؤالاً سرعان ما تتراجع عنه، إنما أخيراً حسمت الأمر «ما الذي دفعك لفعل أمر كهذا؟»

تابعت لورين تدوين ملاحظاتها دون أن تتفوه بأية كلمة. لكن السيدة كلاين تابعت «كدتِ تطردين من المستشفى وتخسرين كل السنوات التي أمضيتها في دراسة الطب. لماذا؟ لماذا؟

رفعت لورين رأسها «أنتِ أيضاً يا أمي، أضعتِ كل تلك السنوات بزواجك من والدي ولم تتمكني من إنقاذ حياته على ما أعلم. فلماذا؟».

فجأة وقفت السيدة كلاين، وبلهجة جافة وقاسية، أبلغت ابنتها أنها ستذهب في نزهة مع كالي.

ـ «إلى اللقاء» أجابت لورين.

عند أسفل الدرج التقت السيدة كلاين بعامل حامل باقة من أزهار الأوركيديا والزنبق الأبيض، يبحث عن عنوان الدكتورة لورين كلاين، فأبلغته أنها والدتها وهي ترفع المغلف الصغير عنها، وطلبت منه أن يترك الباقة عند أسفل الدرج على أن تأخذها حين تعود ونقدته البقشيش.

فتحت السيدة كلاين المغلف فقرأت كلمة واحدة ليس أكثر «وجدتك» الإمضاء آرثر. طوت الورقة ووضعتها في جيبها ومضت نحو الحديقة الوحيدة في الحيّ التي تسمح بدخول الحيوانات.

جلست السيدة كلاين صامتة إلى جانب إمرأة عجوز تقرأ صحيفة. إلا أن الإضطراب النفسي كان بادياً على وجهها.

ـ يبدو أنكِ لستِ على ما يرام. قالت العجوز

ارتعدت السيدة كلاين «لا.. فقط أفكر بأمور كثيرة تشغل بالي».

ـ وماذا يشغل بالك يا سيدتي؟

ـ لا شيء قالت السيدة كلاين.

ـ إذا ما أردت البوح بمكنونات صدرك، فأنا هو الشخص المناسب.

ـ وهل لديك أولاد؟ تساءلت السيدة كلاين.

بإشارة من رأسها أجابتها السيدة موريسون بالنفي وهي تتابع قراءة الصحيفة.

ـ إذن لا يمكنك تفهم مشكلتي.

ـ لكني أحببت رجالاً كثراً لهم أولاد.



ـ «هذا لا يعني شيئاً» علّقت السيدة كلاين.

ـ غريب أمر البشر، لماذا ينظرون إلينا، نحن الذين لا أولاد لنا، وكأننا أتون من كوكب آخر؟ أتعلمين يا سيدتي إن عشق الرجال هو أكثر تعقيداً من تربية الأولاد.

ـ لا أشاطرك الرأي.

ـ وهل ما زلت متزوجة؟ سألت السيدة موريسون.

نظرت السيدة كلاين إلى إصبعها فوجدت أن الزمن قد محا آثار خاتم الزواج.

ـ إذن ما المشاكل التي تسببها لكِ ابنتك؟

تعجبت السيدة كلاين « ومن قال لكِ أن الأمر يتعلق بابنة وليس بابن ذكر؟» وتابعت: «أظنني قمت بعمل سيء».

طوت المرأة العجوز صحيفتها وراحت تصغي بإهتمام كلي لما تقوله السيدة كلاين التي كانت فعلاً بحاجة لإنسان تبوح له بما تعاني.

ـ بادرة جميلة.. أن يرسل شاب باقة ورد لفتاة شابة. ما الذي يخيفك؟

ـ أن تلقاه مجدداً.

ـ ولماذا تخشين أن يلتقيا مجدداً؟

ـ لأن ذلك سيوقظ الماضي الذي تسبب لنا بالألم والمتاعب لنا جميعاً.

ـ لا أعلم عما تتكلمين. ولكن أظن أن هناك إخفاء لأمر، حماية لشخص آخر؟

ـ جد آسفة إن كنت أتكلم عن أشياء يصعب عليكِ إستيعابها

www.rewity.com

وقد لا يكون لديك الوقت الكافي لسماعها.

ـ لدي من الوقت ما تشائين.

ـ أحست السيدة كـلاين باستراحة نفسية. ومـا الضرر إذا ما باحت بسرها لهذه المرأة العجوز؟ روت قصة الشاب الذي اختطف جسد شابة مصابة بالغيبوبة من المستشفى لمنع الأطباء من اللجوء إلى أسلوب الموت الرحيم، في حين أن أمها لم تتردد عن فعل ذلك وحسب، بل وافقت عليه.

علقت السيدة روز مازحة: وهل هو أعزب ومحترم؟

ـ منذ أن استعادت ابنتي وعيها، أعاد لي مفاتيح الشقة. وما عدت سمعت عنه شيئاً.

ـ يعني أنه اختفى.. ولكن لماذا؟ تساءلت روز.

ـ لنقل أننا طلبنا منه ذلك؛ تكفل الطبيب الجراح أن يشرح له خطورة الوضع الصحي لابنتي وأن اطلاعها على الحقيقة قد يسبب لها نكسة صحية. الحقيقة أن الطبيب ابتدع له أعذاراً عديدة لإبعاده عنها حتى لا تعلم أننا كنا ننوي اللجوء إلى أسلوب الموت الرحيم.

ـ إذن، اختفى بناءً لطلبكم ومن أجلها.

تنهدت والدة لورين.. للأسف... نعم.

ـ لكن الظروف تغيرت، هل تعتقدين أنك غير قادرة على إخبار ابنتك ما جرى خوفاً من ردة فعلها؟

ـ دائماً، كل يوم، أسأل نفسي هذا السؤال ولست قادرة على تخيل ردة فعلها.

ـ هناك أشياء كثيرة تؤثر على استمرار العلاقة الجيدة بين أفراد



العائلة. انا شخصياً لم يمنحني الله نعمة الأمومة، ولكن، وبرغم ذلك قادرة على تفهم ما تقولين، على تفهم الدوافع التي تمنعك من قول الحقيقة؛ من منا لم يتخذ قرارات خاطئة وتحت ضغط ظروف معينة، اعتبرناها صائبة.

تابعت السيدة روز تقول: لا أستطيع تخيل أحد قادر على التخلي عن أهله مدى الدهور، لأنه في النهاية، حتى ولو بعد فوات الأوان، سيفتقدهم ويعود إليهم. وانحنت العجوز باتجاه السيدة كلاين «إفهميني جيداً، هذا الشاب أنقذ حياة ابنتك، إذن أنتِ مدينة له، فاذهبي وابحثي عنه». وعادت لمتابعة قراءة الصحيفة. أما السيدة كلاين، فنادت كالي وتركت العجوز على مقعدها، وعادت إلى شقة ابنتها.

حين دخلت السيدة كلاين شقة ابنتها وبيدها باقة الأزهار لم تكن لورين هناك، فوضعت الزهور في إناء على الطاولة في غرفة الجلوس، وأغلقت الباب وراءها وعادت إلى شقتها.

* * *

كل صباح كانت لورين تذهب إلى حديقة بريزديو حيث أشجار الحور والشربين، وتكمل مشوارها نحو شاطىء البحر. تجلس على الرمل وهي تفكر بأطروحتها.

* * *

استغل بول فترة استراحة الغداء، وذهب لملاقاة أونيغا

عند الشاطىء المطل على الجزيرة.

* * *

بعد أن أخضعه للعديد من الفحوصات المخبرية والصور الشعاعية والصوتية، «يوم الجمعة ستخرج من المستشفى»، قال فيرنشتاين لآرثر إذن لا شيء يدعو لبقائك.

عند المساء غادر بول غرفة صديقه، لقد انتهى موعد الزيارات. ممرات المستشفى خالية إلا من الممرضات.

بدأ الليل يزحف. جلس آرثر في سريره يشاهد البرامج التلفزيونية، رغب في الإتصال بصديقه، لكنه عدل عن ذلك حتى لا يزعجه.

وضع رأسه على الوسادة وتمدد تحت الغطاء. بهدوء تام، دخلت لورين إلى الغرفة وأمسكت الملف الطبي لمراجعته. فتح آرثر عينيه فاندهل.

ـ «لا تتكلم بصوت مرتفع» قالت لورين.

ـ ولماذا؟

ـ لأسباب جد خاصة.

ـ إذن اسمحي لي أن أعترف، ولو بصوت خافت، أني سعيد جداً برؤيتك.

ـ وأنا أيضاً. والذي يسعدني أكثر هو تحسن صحتك. بالوقت ذاته أنا آسفة لعدم استطاعتي اكتشاف حالتك أثناء معاينتي لك.

ـ لا عليكِ، فلستِ انتِ المذنبة، بل أنا.. كنت على عجلة من أمري. أنا مهووس بحب العمل.

ـ أنت مهندس.



ـ نعم.. إنها مهنة تتطلب الكثير من الحسابات ورهافة الإحساس. إنها مهنة تشبه مهنة الطب، نحن نقرر ونترك الآخرين ينفذون.

ـ الآخرون؟ تساءلت لورين.

ـ نعم..

ـ وماذا يفعل الرسامون حين يكون المهندسون يتسكعون؟

ـ يحلمون.

ـ وبماذا يحلمون؟

حدق آرثر بلورين وهو يبتسم، أشار لها بيده نحو زاوية الغرفة «اقتربي من النافذة».

ـ ولماذا؟

ـ ستقومين برحلة صغيرة. قال آرثر ومضى يقول إفتحيها.

ـ أفتح ماذا؟

ـ النافذة.

استجابت لطلبه «ماذا ترين؟» سألها آرثر.

شجرة كبيرة عالية بمقدار طابقين خضراء الأوراق.

أغمضي عينيك إذن.

إستسلمت لورين للعبة، أغمضت عينيها، فعمت الظلمة. تابع آرثر يقول «هدوء وسكينة، حتى أوراق الشجر لا تتحرك، ومياه الخليج في استراحة. أنت الآن تدخلين حديقة واسعة مسورة بأشجار السرو والشربين والزعرور البري. أمامك درج حجري صغير إلى اليمين بضعة ورود».

بدا واضحاً أن لورين مستسلمة كلياً لخيال آرثر. وطبيعي جداً أن

يكون المهندس صاحب مخيلة لا حدود لها. اليوم يحاول إعادتها إلى تلك الأيام التي أمضياها معاً في كارمل، لعلها تسترجع الذكرى وتتعرف إليه من تلقاء ذاتها.

«توقفي عند أسفل الدرج، وانظري منزلاً ذا شبابيك خشبية مغلقة».

وقفت لورين بخيالها حيث أراد لها أن تقف. ثم تقدمت نحو المدخل وتسلقت الأدراج حتى وصلت الشرفة. فبان لها المحيط وكأنه يريد اقتلاع الصخور وجرف الرمول. لفح الهواء شعرها فتمايل معه. رغبت بالعودة إلى الوراء، لكن آرثر تابع حديثه وحثها على المضي قدماً، فتابعت ما يقول خطوة خطوة. تقدمت من النافذة الخشبية، أمسكت عتلة حديدية ونزعتها، فسمعت صرير خشب النافذة وهي تنفتح أمامها، تسللت إلى الداخل.

«لا تتوقفي في هذه الغرفة» قال آرثر «تابعي سيرك ولو وسط الظلام فتصلين إلى ممر ينتهي إلى المطبخ حيث آلة صنع قهوة إيطالية الصنع، ما تزال مملوءة بالقهوة اللذيذة. في زاوية المطبخ مدفئة أثرية».

«تعمل على الحطب» قالت لورين.

سر آرثر لسماع هذا، فهو يعني أنها تذكرتها.

نعم إنها كذلك. هناك حطب كثير في القبو وراء حائط المطبخ.

منزل رائع قالت لورين.

إذن اخرجي من المطبخ واكملي التجول فيه. أدخلي غرفة الجلوس، في الزاوية الغربية بيانو قديم الصنع، أشعلي النور وتقدمي منه.



ـ أنا لا أجيد العزف على البيانو. قالت لورين وهي مستسلمة كلياً لخيال آرثر.

ـ بلى أنتِ تجيدين العزف. مرري أناملك على أوتاره، وها أنتِ الآن تعزفين «ضوء القمر». أترين كم هي رائعة تلك الأنغام المنبعثة؟ تابعي تجوالك، وأنت تستمعين إلى الموسيقى. هناك غرفة واحدة بعد لا بد من دخولها، في وسطها سرير وإلى جانبه خزانة خشبية.

ـ لست قادرة على الإستمرار في هذه اللعبة. قالت لورين.

ـ بلى أنتِ قادرة.. الآن يمكنك العودة متى شئتِ إلى هذا المنزل.

ـ أهذه هي مهنتك، تغمض عينيك وتتخيل الأماكن؟

ضحك آرثر وقال «أنا لا أتخيل.. بل أصف منزلاً حقيقياً موجوداً في خيالي ويجب أن يكون موجوداً في خيالك».

ـ إسمع آرثر، عليّ مغادرة الغرفة قبل قيام الممرضات بجولتهن اليومية.

ـ وهل ستعودين؟

ـ إن إستطعت فلن أتوانى. قالت هذا وتوجهت نحو الباب. ثم استدارت لتقول «شكراً على هذه الرحلة الخيالية. فعلاً أحببت هذه اللحظات».

ـ أنا أيضاً. قال آرثر.

ـ ولكن هل هذا المنزل موجود في الحقيقة؟

ـ نعم.. بكل التفاصيل التي ذكرت.

ـ لديك طريقة غريبة في وصف الأشياء. تكون خيالية، فتحولها إلى واقع حقيقي. فنحن كثيراً ما نصبح عمياناً إذا أغمضنا عيوننا.

ـ أتعرفين لماذا؟ لأننا نغمض عيوننا لننسى ما كان موجوداً.

ـ أعرف يوماً بحاجة إلى خيالاتك، فهو يخشى الناس والنور.

ـ أهو ذاك الذي كان في جيبك ذاك اليوم؟

ـ أما زلت تذكر؟ قالت لورين.

ـ وكيف أنسى؟ لم يكن في الغرفة طبيب غيرك. ومن الصعب نسيان طبيب يضع لعبة صوفية تمثل البوم في جيب مريوله.

ـ إنه يخاف النور. هكذا قال جده حين أعطاني إياه. واليوم عليّ معالجته، لو بمقدوري إيجاد نظارة شمسية للأطفال.

ـ لدي واحدة قال آرثر اشترتها لي أمي عندما كنت صغيراً ولا أحد يصدق ما كنت أرى حين أضعها على عيني.

ـ ماذا كنت ترى؟

ـ أحلاماً غريبة وأشياء لن تجديها إلا في بلاد العجائب. ولكن انتبهي.

ـ إلى ماذا؟ تساءلت لورين.

ـ حين يشفى، ويصبح قادراً على رؤية النور والناس دون خوف.

قاطعته لورين.. ماذا عليه أن يفعل؟

ـ أن يتذكر من أحبه واعتنى به.

ـ سأخبرك بما سيفعل.

خرجت لورين، وبقي آرثر ينظر إلى ضوء القمر المتسلل من ستائر النافذة.

# الفصل الرابع عشر

باكراً استيقظت لورين، نظرت من النافذة. شوارع شبه مقفرة، سيارات قليلة، وكذلك المشاة. الهدوء يغمر الحديقة. سماء صافية على غير عادتها عند الفجر في سان فرنسيسكو.

تركت غرفة النوم واتجهت الى غرفة الجلوس، لتجلس خلف مكتبها وتكمل أبحاثها، من حيث انتهت. ما تزال حافية القدمين، مبعثرة الشعر، ترتدي كنزة ربيعية أشبه بفستان قصير جداً.

سمعت وقع أقدام عند مدخل الشقة، وبدون أي إهتمام بما ترتدي نهضت من مكانها لتفتح الباب، إعتقاداً أن القادم هو والدتها، لكنها فوجئت بوجود آرثر واقفاً أمامها ويداه خلف ظهره. أحست أن قلبها يكاد يخرج من صدرها، فصاحت بفرح عظيم «يا للمفاجأة؟... آرثر.. ماذا تفعل هنا؟... كيف حصلت على عنواني؟».

ـ من بيتي...

ـ ولكن ماذا تفعل هنا؟ قالت وهي تسحب كنزتها إلى الأسفل لتستر ما هو ظاهر من ساقيها.

ـ صدقيني... لا أعرف !!!

متأففة قالت: «يفترض أن تكون في المستشفى.. من سمح لك بالخروج؟»

ـ «لم أترك لهم خياراً.. كنت ملحاً في طلب الخروج أيمكنني الدخول؟»

بحركة عفوية أفسحت له الطريق.

ـ سأعود حالاً. قالت وهي تهرول مسرعة نحو الحمام. وقفت أمام المرآة وراحت تصفف شعرها، ثم انتقلت إلى خزانة الملابس، محتارة أي رداء ترتدي؟ أهذه القميص أم تلك؟ هذا البنطلون أم ذاك؟ وراحت الملابس تتناثر على أرض الغرفة وتتكدس فوق بعضها.

ـ قد أكون أزعجتك بحضوري دون موعد: قال آرثر بصوت مرتفع قليلاً.

ـ «لا.. أبداً..» قالت لورين وهي ترتدي جينزاً أزرق وقميصاً أبيض.

إستغل آرثر الفرصة وراح يستعيد ذكرياته في هذه الشقة، يتفحص كل شيء، يراقب ما حدث من تغييرات على الديكور. نظر إلى المكتبة الخشبية بلونها الفاتح، ورفوفها التي تئن تحت الكتب والملفات. ابتسم لرؤية المكتب الموضوع حيث كانت طاولته الهندسية، ومن خلال الأبواب المفتوحة مد نظره إلى غرفة النوم المطلة على الخليج.

كان يقف وسط غرفة الجلوس، يراقب كل شيء. حين سمع وقع خطوات لورين آتية إليه، فاستدار نحوها والإبتسامة ما تزال على شفتيه.

ـ «هذه هي القهوة.. كيف تحبها، مع حليب وسكر؟ مع حليب دون سكر؟ أو مع سكر دون حليب؟» أسئلة كانت تتدحرج عن شفتيها معبرة عن فرح داخلي ممزوج بالمفاجأة.

في المطبخ صوت تدفق المياه من الحنفية.



ـ أعتقد أن لدي مشكلة في تدفق المياه، فعبثاً حاولت إيقاف تدفقها.

ـ هناك سكر مركزي في الخزانة الصغيرة..

ذهلت لورين لما تسمع وبدا الإندهاش بادياً على وجهها «وكيف عرفت ذلك؟».

ـ إنتبه آرثر لقوله. حك جبينه وقال: « أنسيت؟ أنا مهندس».

ـ وهل مهنة الهندسة تسمح بالرؤيا خلف الجدران؟

ـ الإمدادات الصحية في المنازل، هي أقل تعقيداً من الجسم البشري، ومهنتنا تفرض علينا معرفة كيفية وقف تزيف المياه.. هل لديك أية عدة؟

وقفت لورين، مسحت وجهها بمحرمة ورقية، فتحت جارورا، وأخرجت منه مفكاً قديماً ومطرقة صغيرة وأشياء أخرى.

ـ إذن علينا الآن القيام بعملية جراحية. قال آرثر.

ـ لا أعتقد أني مؤهلة للقيام بمثلها. قالت لورين.

ـ إنه عمل بسيط، وأقل تعقيداً مما تقومين فيه في غرفة العمليات.. آه.. هل لديك أي رباط جديد؟

ـ لا.. لا أعتقد.

ـ «إبحثي في خزانة العدة، أو فوق عداد الكهرباء» وأشار بيده إلى صندوق صغير قرب باب المدخل.

ـ وأين هو عداد الكهرباء؟ تساءلت لورين.

ـ «إنه هناك». قال وعاد وأشار بيده.

اندهشت لورين... وتسمرت مكانها «إنه يعرف كل شيء». التفتت إليه « بما أنك تعرف كل شيء فلماذا لا تتصرف من تلقاء

نفسك حتى لا يضيع الوقت سُدىً؟».

توجه آرثر نحو المدخل، مد يده لفتح الصندوق لكنه عاد وتراجع.

ـ ما بك؟

ـ لا شيء، لكني ما ازال اعاني من ألم في يدي.

تقدمت نحوه وطمأنته «هذا أمر طبيعي، كل ما عليك هو الصبر لبعض الوقت، لن تكون هناك أية مضاعفات جانبية، المسألة، مسألة وقت ليس أكثر وتُشفى نهائياً».

ـ أعتقد من الأفضل إستدعاء اختصاصي بأعمال التمديدات الصحية.

ـ لدي جار مختص بمثل هذا العمل، وهو من قام بهذه التمديدات أساساً، سأستدعيه.

ـ وهل هو من أوصى إليك بوضع المكتبة قرب النافذة؟

ـ نعم، لماذا؟

ـ أعتقد أنها ليست في المكان المناسب. قال آرثر وهو يعود إلى غرفة الجلوس.

طلبت منه الجلوس على المقعد الوثير، جلس وطلب منها الإستدارة لمواجهة النافذة. انصاعت لطلبه دون أي تساؤل عما يرمي إليه من طلبه هذا.

ـ أنظري. إنها تحجب النافذة.. وتمنعك من رؤية أجمل المناظر.

ـ فعلاً هي كذلك.

ـ لذلك، من الأفضل تغيير مكانها، ومن ثم من غير المنطقي أن نترك تلك المساحة عند المدخل فارغة. أليس كذلك؟



وقفت لورين وأسندت خاصرتها بيدها ونظرت إليه بإعجاب.

ـ لم ألاحظ ذلك.. ولكن.

قاطعها ولكن ماذا؟

ـ هل أتيت لزيارتي لتغيير ديكور شقتي؟

أحنى آرثر رأسه «أنا آسف.. جد آسف».

ـ لا.. أنا من يجب عليها أن تتأسف.. وبصوت هادئ، تابعت «يبدو أني متوترة بعض الشيء هذا الصباح، فهل أحضر لك المزيد من القهوة؟».

ـ لم يعد لديك ماء لإعداد القهوة.

فتحت لورين باب الثلاجة «حتى، و لم يعد لدي عصير أو مرطبات».

ـ إذن، أتسمحين لي بإرسال الفطور لك؟ قال آرثر « ام نتناوله خارجاً؟»

أرجو المعذرة، انتظرني ريثما أجلب الرسائل من صندوق البريد.

خرجت لورين، فأحس آرثر برغبة قوية للتجول في هذه الشقة التي تحتضن ذكرياته. دخل غرفة النوم، تقدم من السرير وراح يستعيد كيف كان ينظر إليها وهي نائمة. تحسس الغطاء بأطراف أنامله. دخل غرفة الإستحمام فإذا به أمام أشياء جديدة. قوارير عطور نادرة، مساحيق تجميل.

خطرت له فكرة الإختباء في الخزانة، مسترجعاً حلماً قديماً. دخل خزانة الملابس وأغلقها عليه، ثياب لورين تحيط به، عدا عن تلك المبعثرة على الأرض، كان يلمس كل ثوب على حدة ويتخيلها ترتديه. أحب أن يبقى مختبئاً، علها تستعيد ذاكرتها حين تجده في

خزانتها، وتتذكر كيف وجدها هو في غرفة الحمام. في البداية ستطرح عدة أسئلة، وحين تستعيد ذاكرتها سأضمها إلى صدري وأشبعها تقبيلاً كما في الماضي، .. و«إن أصابها الخوف؟ ومن لا يخاف حين يجد آخر مختبئاً في خزانته؟» قرر الخروج من الخزانة قبل عودتها...

آرثر أين أنت؟ صرخت لورين.

ـ أنا هنا، أحاول غسل يدي، أعتذر لفعل هذا دون استئذانك.

ـ ولكن لا يوجد ماء.

ـ تذكرت ذلك، بعد فوات الأوان.. هل وجدتِ مبتغاكِ في صندوق البريد.

ـ أجل، ولكن لن أفعل شيئاً الآن، بل سنذهب لتناول الفطور. أنا أتضور جوعاً.

ألقى نظرة على طوق كالي وهو عائد إلى غرفة الجلوس.

ـ إنه طوق كلبتي كالي.. إنها الآن برعاية والدتي.

تناولت مفاتيح الشقة وخرجا معاً. أشعة الشمس في كل مكان.. أوراق الشجر تهتز مع هبوب نسيمات الريح.. اعترت آرثر رغبة في ضمها إلى صدره.. إنه الحب المجنون. لكنه كبت رغبته وسألها: إلى أين تريدننا أن نذهب؟

لم تجب. إنها جائعة. وكل همها أن تلتهم الهمبرغر وتخشى أن تقول ذلك، لكنها عادت وأفصحت عن رغبتها هذه.

ـ لم أتعرف بحياتي، على صبية جميلة، تعترف أنها ترغب بتناول الهمبرغر في هذا الوقت.

ـ إنه وقت الغداء في نيويورك، أما في سيدني فهو وقت العشاء.



ـ أهذه طريقة جديدة لتبرير الرغبات؟ قال آرثر وهو يسير إلى جانبها.

ـ لا إنما حين تكون طبيباً مناوباً، فيحق لك تناول أي شيء في الوقت الذي تشاء.

ذهبا إلى ساحة غيراديللي، ومن ثم نحو الشاطىء. عبرا الجسر الخشبي المعلق، ومن ثم دخلا مطعم السندباد، جاء الخادم يسألها عما تريد، رفض آرثر طلب أي شيء؛ على عكس لورين التي كانت تتضور جوعاً، عاد الخادم إلى المطبخ. نظرت لورين إلى آرثر متسائلة «هل فعلاً لا تريد شيئاً؟».

ـ فعلاً لا أريد، لقد أمضيت أسبوعاً كاملاً وأنا أتغذى بالمصل، الأمر الذي قلص معدتي والأهم..

ـ وما هو هذا الأهم؟ قاطعته لورين متسائلة.

ـ الأهم أني أعشق التطلع إليكِ وأنتِ تتناولين طعامك.

ـ ولكن عليك أن تأكل، وأن تعود إلى حياتك الطبيعية.

جاء الخادم ووضع طبق الهمبرغر أمام لورين وعاد أدراجه.

ـ لماذا أتيت لزيارتي هذا الصباح؟ تساءلت لورين.

ـ لأصلح تمديدات المياه!!!

ـ أرجوك... كن جدياً لماذا؟

ـ لأشكرك على إنقاذ حياتي.

توقفت لورين عن تناول الطعام وأخذت تنظر إليه.

ـ فعلاً من أجل هذا أتيت؟

ـ أحسست أنه واجب عليّ أن أفعل ذلك. قال آرثر.

ـ أنا؟.. أنا لم أفعل شيئاً.. إنها مهنتي توجب عليّ القيام بما فعلت.

ـ ماذا؟ وهل مهنتك تفرض عليكِ تخدير زميل لكِ، وسرقة سيارة إسعاف؟

ـ فكرة سرقة سيارة الإسعاف هي من اختراع صديقك.

ـ كنت أشك بذلك. قال آرثر.

عاد الخادم ليسأل لورين عما إذا كانت تريد شيئاً إضافياً فأجابته بالنفي متسائلة لماذا يسألها.

ـ اعتقدت أنك أومأت لي، قال وعاد من حيث أتى متسائلاً مع من تتكلم هذه؟

نظرت إليه مستغربة تصرفه ثم عادت للتحدث مع آرثر «أخبرني صديقك أنكما تربيتما في ميتم أصحيح هذا؟».

ـ كنت في السابعة حين توفيت والدتي.. كنا متقاربين جداً.

ـ أنت جريء جداً وواقعي. غيرك لا يقول توفيت بل تركت أو رحلت.

ـ ذهبت أو تركت !!! مجرد ألفاظ تؤدي ذات المعنى.. الوفاة.

ـ وكبرت وحيداً؟ تساءلت.

ـ ليس بالمعنى الحقيقي للكلمة. وأنتِ أما يزال والداكِ على قيد الحياة؟

ـ أمي فقط.. ومنذ الحادث توترت علاقتنا نوعاً ما.

ـ حادث؟ أي حادث؟ تساءل آرثر.

ـ حصل انفجار كهربائي في سيارتي وقُذفت وارتميت على رصيف الطريق، اعتبرني الأطباء ميتة، ولكن أحد أساتذتي كافح



وأعادني إلى الحياة. أمضيت شهوراً وأنا في الغيبوبة.

ـ وهل تتذكرين شيئاً عن تلك الفترة؟

ـ كل ما أتذكره هي تلك الدقائق التي سبقت وقوع الحادث أما ما عدا ذلك، فلا أتذكر شيئاً. هناك فجوة زمنية في حياتي تمتد لأحد عشر شهراً.

ـ ولا أحد غيرك يتذكر ما حصل خلال تلك الفترة؟ تساءل آرثر آملاً أن يكون هناك من أخبرها.

ابتسمت لورين وهي تشاهد عربة عليها أطباق حلوى وبعض أنواع الفاكهة تمر بالقرب منها.

ـ عندما تكون في الغيبوبة، أجابت لورين، يستحيل عليك أن تتذكر شيئاً. إنها فترة اللاوعي..

ـ ورغم هذا فالحياة كانت طبيعية حولك.. تساءل آرثر.

ـ وهل يهمك هذا؟ لست مجبراً أن تكون مهذباً في جوابك.

ـ فعلاً يهمني.. إنها حشرية المعرفة.

فسرت له لورين ما هي الغيبوبة وتطرقت إلى نظريات عدة حولها، لكن كل هذه النظريات بحاجة إلى إثبات علمي.

ـ وهل يكون المريض على تواصل مع محيطه خلال هذه الفترة؟

ـ طبياً، لا أعتقد ذلك..

ـ قلت طبياً. ماذا تعنين؟

ترددت بالإجابة، فقد كانت منشغلة بالنظر إلى الحلويات والفاكهة، فأشارت للنادل أن يقترب منها، واختارت لنفسها قطعة من الشوكولا، وأخرى لآرثر، إلا أن الخادم سمح لنفسه بإختيار قطعتي حلوى إضافيتين «للسيدة» كما قال.

www.newity.com

ـ تراودني أحياناً أحلام قالت لورين هي أشبه ما تكون بذكريات عن تلك الفترة.. سألت عنها..

ـ وماذا كانت الأجوبة؟

ـ لا شيء يوضح هذه الأحلام. لقد سألت أمي وبيتي رئيسة قسم التمريض. تعرفها؟

ـ وماذا قالتا لك؟ تساءل آرثر.

تجاهلت لورين سؤاله وقالت «عليك أن تتذوق شيئاً من هذه الحلوى».

ـ لا أقدر فلدي حساسية على الشوكولا.

ـ هل أطلب لك شيئاً آخر؟

ـ في النهاية هي أمك، وعليك تفهم تصرفها. لأن كل ما تصرفت به نابع من حبها لك.

ـ لا ريب ستحبك جداً إذا سمعتك تقول هذا الذي قلته.

ـ أعلم هذا.. إنها أكبر سيئاتي..

ـ ما هي؟

ـ أني من الرجال الذين تحبهم حمواتهم، أما بناتهن فلا.

ابتسمت لورين «قلت الحموات. فهل هن كثيرات؟» قالت وهي تبتلع قطعة كبيرة من الشوكولا.

نظر إليها مبتسماً وحاول مسح الشوكولا الذي تدلى على ذقنها، تراجع عن ذلك. وعلى بعد خطوات كان الخادم يراقبها متعجباً.

ـ أنا ما أزال عازباً...

ـ لا أصدق ذلك.

ـ وأنت؟ سأل آرثر.



فتشت لورين عن الكلمات المناسبة «هناك إنسان في حياتي إنما لا نعيش معاً. في النهاية إنها المشاعر وقد تنطفىء مع الوقت إن لم نقدم ما يجددها. وأنت ما تزال عازباً..؟

ـ نعم ما أزال.. ولم أكن يوماً غير عازب.

ـ «وهذا أيضاً لا يُصدق» قالت لورين.

ـ وما هو المستحيل الذي لا يُصدق؟

ـ أن يبقى إنسان مثلك وحيداً.

ـ لست وحيداً.. يمكننا أن نحب إنسان، دون زواج. يكفي أن نتبادل المشاعر والأحاسيس، أو من الممكن أن نحب إنساناً آخر دون أن يبادلنا هذا الإنسان الحب والمشاعر.

ـ وهل نبقى أوفياء لهذا الإنسان؟ تساءلت لورين.

ـ إذا كان هذا الإنسان إمرأة، فالأمر يستحق الوفاء.

ـ إذن أنت لست عازباً؟

فوراً أجابها أنا بلى... أما قلبي فلا ...

ارتشفت لورين فنجان القهوة دفعة واحدة. وأشارت للخادم إلى الإبريق الساخن.

ـ أتريدين فنجاناً أو اثنين قال الخادم وهو يرسم على شفتيه ابتسامة ساخرة.

ـ وهل هناك مشكلة؟ أيزعجك هذا؟ قالت لورين.

ـ لا أبداً.

ـ أما تعتقد أنه غاضب لأنك لم تطلب شيئاً؟ قالت لورين موجهة كلامها لآرثر.

ـ وهل كانت القهوة لذيذة؟

ـ لا... بل مقرفة. أجابت لورين وغرقت في الضحك.

ـ إذن لماذا اخترت هذا المكان؟ تساءل آرثر وهو يشاركها الضحك.

ـ أحب أن أكتشف هواء البحر، أن أراقب أمواجه.

اختفت الإبتسامة عن شفتي آرثر وارتسمت في عينيه نظرة حزن. أحس بالألم يعتصر قلبه.

ـ ما بك؟ تساءلت لورين.

ـ لا شيء.. مجرد ذكرى.

أشارت لورين للخادم أن يأتيها بفاتورة الحساب. وسألت آرثر وهي ترتشف ما تبقى من فنجان القهوة «ذكراها؟».

ـ عمن تتكلمين؟ تساءل آرثر.

ـ عن تلك التي تنتظرها منذ زمن طويل.

ـ أهذا ما تقصدين؟

ـ نعم هذا ما أقصد، ما الذي فرّق بينكما؟

ـ الحب.. حبي لها.

ـ ماذا؟ ومتى كان الحب يفرق؟

ـ حين يكون الفراق أفضل.

ـ وما عدتما التقيتما؟

تنهد من أعماق صدره ماذا يقول وبماذا يجيب؟ وضع الخادم الفاتورة على الطاولة، مد آرثر يده لتناولها، لكن لورين كانت أسرع في وضع بطاقة الإئتمان عليها.

لدي عمل اليوم ولست راغبة بذلك. قالت لورين.

«وأنا مثلك» قال آرثر وتابع، ما رأيك أن نقوم بنزهة معاً.



حسناً ولماذا لا نفعل؟

لورين تحب التنزه في حديقة بريزديو تحت شجر الحور حتى البوابة الذهبية. ووافق آرثر على المكان فهو يحبه أيضاً.

غادرت لتستعيد كالي من عند أمها وعند رمل الشاطىء وقف آرثر يتأمل ذاك الجسد الممشوق الذي سيلقاه بعد ساعة.

لم يكن قادراً على قول حتى كلمة واحدة. إنها لحظة الحلم الأبدي.

# الفصل الخامس عشر

عند أسفل الجسر الكبير، حيث منذ القدم يتصارع موج المحيط مع ذاك العابر للجزيرة، كان ينتظرها جالساً على مقعد قرميدي.

ـ أعتذر منك، جعلتك تنتظر طويلاً. قالت لورين.

ـ أين كالي؟ تساءل آرثر.

ـ ليس لدي أية فكرة عنها. والدتي، لم تكن في المنزل. ومن ثم كيف تعرف إسمها؟

لم يعر آرثر اهتماماً لسؤالها: تعالي نذهب إلى الجانب الآخر من الجسر، لنتأمل المحيط.

في الأسفل، حيث يمتد الشاطىء على مدى كيلومترات، وإلى جانب المياه سارا معاً.

ـ أنت إنسان مختلف.

ـ عن من؟

ـ عن أي إنسان آخر.

ـ أمر طبيعي أن أكون هكذا.

ـ لا تكن غبياً.

ـ وهل فيّ ما يزعجك؟ تساءل آرثر.

ـ أبداً لا شيء فيك يزعجني. سوى أنك هادىء وجدي. هذا كل ما في الأمر. قالت لورين.

ـ وهل تعتبرين هذا أمراً سيئاً؟

ـ لا.. ولكن يبدو أن لا شيء يؤثر عليك أو يسبب لك المتاعب.

ـ بطبعي أحب البحث عن الحلول. هذه عادة ورثتها عن أمي.

ـ وهل تفتقد والديك؟

ـ نعم. أبي لا أذكره جيداً. لكن أمي كان لها نظرة خاصة للحياة تختلف عن نظرة الآخرين. انحنى آرثر وتناول حفنة من الرمل، وتابع حديثه. ذات يوم وجدت دولاراً معدنياً، فاعتقدت أني أصبحت ثرياً. كم كنت سخيفاً؟ ركضت نحو أمي وأنا أمسك كنزي بيدي، فخوراً بما وجدت. بعدما سمعتني أتلو عليها ما أرغب بشرائه بهذه الثروة. أقفلت لي يدي على الدولار وقلبتها بحيث أصبحت راحة يدي باتجاه الأرض وطلبت مني أن أفتحها، فسقط الدولار.

ـ أرأيت يا ولدي لقد سقط. هذا ما يحدث حين نموت. لا نأخذ مالنا معنا. وحتى الرجال الأكثر عظمة يموتون، مثلهم مثل غيرهم من البشر. فالمال والسلطة لا يدومان أبداً. الإنسان لا يحيا إلا بالمشاعر التي يحملها ويتقاسمها مع الآخرين. أحس أنها أمس ماتت، مع أن ذاك كان منذ زمن بعيد. توقفت عن تعداد السنوات والأشهر. حتى اليوم ما تزال تبدو أمامي. تبدو في نظرتي للأشياء كما علمتني أن أنظر، تبدو لي وأنا أحدق بمنظر طبيعي، برؤية عجوز يعبر الطريق يتكيء على عكازه، في رؤية قطرات المطر وهي تتساقط. إنها دائماً معي.

سمح آرثر لحبيبات الرمل أن تنساب من بين أصابعه وتابع يقول: وهناك آلام الحب يصعب شفاؤها: إنها تترك آثارها على حياة الإنسان.

تقدمت لورين وأمسكت يده، وتابعا السير على رمال الشاطيء.



ـ كيف وماذا تفعل ونحن ننتظر أحداً لمدة طويلة؟ تساءلت لورين.

ـ ولماذا هذا السؤال؟ أجاب آرثر.

ـ لأني بطبعي حشرية. أجابت لورين.

ـ عشت قصة حب، انتهت بوعد لم تعي الحياة معناه. حافظت على وعدي وما أزال.

سحبت لورين يدها من يده واتجهت نحو صخرة متداخلة في المياه. بقي آرثر مكانه يراقب مشيتها. تبعها، فإذ بها تلاعب المياه بقدميها.

ـ أقلتُ شيئاً لم يجدر بي قوله. قال آرثر.

ـ أبداً، ولكن آن الأوان لأذهب، لدي أعمال كثيرة.

ـ وهل هذه الأعمال لا تنتظر الغد؟ تساءل آرثر.

ـ وماذا يتغير إن انتظرت للغد أو حتى بعد الظهر؟

ـ الرغبة قد تغير كل شيء. ألا تؤمنين بذلك يا لورين؟

ـ وبما ترغب؟

ـ أرغب بالبقاء معك على هذا الشاطيء غير آبه بشيء.

ـ أيمكننا تناول العشاء معاً؟ قالت لورين.

أغمض آرثر عينيه وكأنه غارق في التفكير: وأنا من يختار المكان لأثبت لك أن لا تناقض بين السياحة والحب.

ـ إلى أين سنذهب؟

ـ إلى كليف هاوس، وأشار بيده إلى تلة بعيدة.

ـ منذ متى وأنت تقيم في هذه المدينة؟

ـ منذ زمن بعيد، وحتى اليوم لم تطأ قدماي ذاك المكان. أعرف

www.rewity.com

فرنسيين لم يصعدوا إلى برج إيفل حتى اليوم.

ـ وهل زرت فرنسا؟ تساءلت لورين وفي عينيها سحر جذاب.

ـ نعم زرت باريس والبندقية. فكر بسره لو يقومان بجولة حول العالم، بدلاً من هذه اللحظات القصيرة التي ما إن يذهبا من هنا حتى تأتي الأمواج وتمحو آثار خطواتهما.

* * *

صالة المطعم المصنوعة من الخشب شبه فارغة. دخلت لورين أولاً. تقدم رئيس الخدم لاستقبالها فطلبت منه طاولة لشخصين.

رحب بها ونصحها انتظار صديقها عند البار.. استدارت لورين وفوجئت باختفاء آرثر، عادت أدراجها تبحث عنه فوجدته يقف على أعلى الدرج ينتظرها والإبتسامة على شفتيه.

ـ ماذا تفعل هنا؟

ـ الصالة في الأسفل أليس كذلك؟ قال آرثر.

ـ نعم.. هكذا يبدو.

ـ يعني إنها مظلمة نوعاً ما وغير مفرحة.

ـ أحنت لورين رأسها دلالة الموافقة.

ـ إذن، تعالي نقصد مكاناً آخر أكثر فرحاً.

ـ لكني حجزت طاولة لإثنين قالت بانزعاج.

ـ تعالي ولا تقولي للخادم شيئاً. سنعود فيما بعد اليهما.

مضت لورين إلى جانب آرثر إلى موقف المطعم، فطلب آرثر منها استعمال هاتفها النقال لطلب سيارة أجرة، معتذراً عن نسيانه هاتفه في المنزل.



بعد ربع ساعة، وصلا إلى شارع بيار 39 على شاطىء البحر، مصممين على زيارة كل الأماكن السياحية في المدينة، وحتى الذهاب إلى تشاينا تاون، إن كان لديهما بعض من الوقت، أو إذا لم يرهقهما التعب.

كانا معاً يعبران الجسر الخشبي حين لمحت لورين، بول متكئاً على حاجز خشبي وإلى جانبه صبية رائعة الجمال طويلة القامة.

أليس هذا هو صديقك الحميم؟ قالت لورين.

ـ نعم إنه هو. أجاب آرثر وأمسك يدها واستدار مغيراً وجهة سيره.

ـ ألا تريد إلقاء التحية عليه؟

ـ أفضل ألا أقاطع خلوتهما الحميمة هذه. لنبتعد عن هنا.

ـ أتخشى أن يرانا معاً؟ تساءلت لورين.

ـ كيف خطر لك هذا؟ لا يحق لك أبداً أن تفكري بمثل هذه التصورات.

ـ بدا عليك ذلك.

ـ الحقيقة، أخشى أن تنفجر غيرته، لأني زرتك قبل أن ازوره. تعالي معي إلى ساحة غيراردييلي حيث أعرف محلات بيع الشوكولا المكتظة باليابانيين في مثل هذه الساعة من الليل.

تحت ضوء القمر معاً سارا، ينظران إلى نجوم السماء المنحنية وكأنها ترغب بتقبيل وجه المحيط.

في مثل هذا اليوم، من كل عام، يحتفل الصيادون بعيد القريدس، يضعون أواني معدنية كبيرة فوق مواقد الحطب، يشوون القريدس وثمار البحر، ويوزعونها على زوار المينا. تناولت لورين ثلاث قطع

من القريدس الكبير بعد أن قشرها صياد محترف، وشربت ثلاث كؤوس من الخمر الفاخر، ولحست أصابعها تعبيراً عن جودة ما تناولت، واتكأت على ذراع آرثر.

ـ أظن أني أفسدت عليك عشاءك هذه الليلة. قالت لورين وهي تلتهم قطعة شوكولا.

نظر آرثر إليها، «وجنتاك محمرتان جداً، يبدو أنك ثملة».

ـ هذا ليس بمستحيل، ولكن لست أدري من يترنح. هواء البحر أنت أم أنا؟ قالت لورين.

ـ تعالي معي إلى مكان بعيد عن كل الناس، لتتنشق الهواء النقي معاً.

على مقعد تحت ضوء خافت جلسا. وضعت لورين يدها على ركبته وهي تتنفس عميقاً.

ـ لم تأتِ عند الصباح لتقول شكراً. أليس كذلك؟ قالت لورين.

ـ فعلاً.. جئت لأراكِ، وأرجو ألا تسأليني لماذا؟ لأني غير قادر على إيضاح ذلك الآن، لقد اشتقت إليك.

ـ لا يحق أن تقول ما قلت.

ـ ولماذا؟ تساءل آرثر، هل تخيفك هذه الكلمات؟

ـ لا.. لكن والدي كان يقول لأمي أجمل الكلام حين يكون راغباً بإغوائها.

ـ لكنك لست أمك. ولا أنا والدك.

ـ أعرف هذا، لكل منا أسلوبه في الحياة. وأنا يصعب عليّ التخلي عن أسلوبي.

ـ أعلم هذا ولكن...؟



وقاطعته لورين ولكن ماذا؟

ليس المكان وحده يوحي إلينا بالإحساس بالحياة، بل كيفية توجهنا إليه.

ـ أهذا ما علمتك إياه والدتك؟ تساءلت لورين.

ـ هذا ما أظنه أنا.

ـ ولماذا انفصلت عن المرأة التي أحببتها ما دمت تحبها؟ أمن أجل أشياء بسيطة؟

لنقل أننا كنا متعاقدين على تلك الفترة التي منحتني خلالها كل السعادة. لكنها لم تجدد العقد.

ـ من منكما ترك الآخر؟ تساءلت لورين

ـ هي أرادت الرحيل، وأنا تركتها ترحل.

ـ ولماذا لم تصارع من أجل ثنائها عما فعلت؟

ـ حتى لا أسبب لها ألماً أشد وأقسى. تقضي الحكمة أن يسعى الإنسان إلى إسعاد من يحب، ولو على حساب سعادته. إنها حكمة الحياة.

ـ وهل شفيت من حبها؟

ـ لم أكن مريضاً لأشفى. قال آرثر.

ـ وهل أشبه أنا تلك المرأة؟

ـ فقط تكبرينها ببضعة شهور... بأحد عشر شهراً تحديداً.

على الرصيف المقابل، صاحب مؤسسة سياحية يقفل مؤسسته ويشغل جهاز الإنذار.

ـ هل تعتقد أنه بمقدورنا أن نحب إنساناً ما، عمراً بكامله؟

ـ ما خشيت يوماً من غدي، وما من سعادة أبدية، ولكن بمقدورنا أن نجدد سعادتنا كل يوم. أنا مؤمن، أن علينا تجديد مشاعرنا. وهكذا يستمر الحب إلى ما لا نهاية. إنه خطأ أمي، علمتني أهمية الحب المثالي.

ـ وهل تعتقد أن هكذا حباً يزيل الحواجز بين الإثنين؟

ـ ليس بين الإثنين فقط. بل حتى بين الإنسان وذاته. قد تعتقدين أني أؤمن بمفاهيم قديمة. أتعرفين أن للشيخوخة سحرها أيضاً، أنا شخصياً ما أزال أختزن طفولتي.

ـ أين؟ قالت لورين وهي ترفع نظرها نحوه، حتى أصبحا وجهاً لوجه.

ـ يودي لو أقبلك. قال آرثر.

ـ ولماذا تطلب القبلة ولا تأخذها؟ قالت لورين.

ـ أو لم أقل لك أني أتصرف بمفاهيم قديمة؟

على وقع إغلاق الأبواب الحديدية الجرارة للمحلات، نهض آرثر وقفزت لتقف إلى جانبه.

ـ «يجب أن أذهب الآن» قال آرثر.

لاحظت لورين تبدلاً بملامح وجهه التي تدل على إحساس بألم حاد مفاجيء.

ـ ما بك، ما الذي يجري؟

ـ يصعب أن أشرح لكِ ما يجري. يجب أن أذهب.

ـ ولكن إلى أين. سأرافقك، إنما إلى أين؟

أخذها بين ذراعيه وعيناه تحدقان بعينيها، لكنه رفض أن يضمها



إلى صدره «اسمعيني لورين، لم أخف عنك شيئاً و لم أكذب عليك. وكل ما أريده أن تتأكدي أني لن أنساكِ أبداً. كل ما أطلبه منكِ هو مجرد لحظة أخرى من العمر».

ولماذا تقول لحظة أخرى؟

أعلم أنكِ الآن موجودة أمامي وأنتِ إنسانة حية. وأنا أحبك. قال هذا وراح يبتعد بعيداً عنها، تبعته وهي تصرخ «آرثر.. آرثر» لكنه اختفى وسط الظلام.

* * *

المراقب الآلي، يصدر أصواتاً غير طبيعية. وبإيقاع منتظم. دخلت بيتي إلى الغرفة، أضاءت المصباح وتقدمت إلى السرير، ألقت نظرة على آلة تخطيط الدماغ، فذهلت لما ترى. رفعت سماعة الهاتف «أنا بحاجة ملحة لسرير متنقل إلى الغرفة. 307 ابحثوا عن الدكتور فيرنشتاين. واطلبوا منه الحضور سريعاً أينما كان. جهزوا غرفة عمليات الرأس، واستدعوا طبيب التخدير».

* * *

بعيداً عن المستشفى ألقت غيمة رمادية ظلالها على أحياء المدينة. لورين، تركت مقعدها واجتازت الطريق. كل شيء غير واضح.

في شارع غرين ستريت. السماء ملبدة بالغيوم ومطر خفيف يتساقط وأصوات رعد. رفعت رأسها نحو السماء، ثم راحت تتأمل تلك البناية المبنية وفقاً للطراز الفيكتوري الرابضة على قمة

المرتفعات الباسيفيكية، فيما المطر يبلل شعرها وثيابها.

هدأت الأمطار ودخلت إلى شقتها. خلعت ثيابها المبللة ورمتها أرضاً في غرفة الجلوس، نشفت شعرها بقطعة قماش جافة كانت معلقة على جدار في المطبخ.

تقوقعت قليلاً على المقعد في الزاوية. ثم نهضت واتجهت نحو المطبخ، فتحت الخزانة وتناولت زجاجة نبيذ، سكبت كأساً كبيرة ووضعتها على طاولة.

تقدمت من النافذة وراحت تتأمل تلك الأبراج الصغيرة المبنية حول ساحة غيراروديللي. وفي البعيد سحابة ضباب وباخرة صينية كبيرة راسية في المرفأ.

ألقت نظرة على المقعد عند الزاوية الذي بدا وكأنه يناديها للإستلقاء عليه. تجاهلت الدعوة، واتجهت نحو المكتبة، وراحت تتناول الكتب عن رفوفها وترميها أرضاً كتاباً بعد كتاب، حتى فرغت الرفوف، وتكدست الكتب على الأرض.

عادت إلى المقعد وأزاحته من مكانه، ثم عادت إلى المكتبة وأزاحتها من مكانها وأبعدتها عن النافذة.

بيد مرتجفة تناولت الكأس عن الطاولة ورمت بجسدها على المقعد وراحت تنظر عبر النافذة، فإذ بالمناظر الخلابة تبدو واضحة «كان آرثر محقاً فيما قال».

ارتشفت كأسها على دفعتين وألقت برأسها على المقعد.

في الشارع المبلل بالماء، إمرأة عجوز تنزه كلبها وتنظر إلى نافذة مضاءة في هذا الوقت من الليل. نورين التي تمكن النعاس من التغلب



عليها. ارتجفت يدها، فوقعت الكأس منها وتناثرت شظاياه في كل مكان.

* * *

ـ سأنقله فوراً إلى غرفة العمليات. قالت بيتي إلى طبيب التخدير.

ـ دعيني أوصل الأنابيب قبل ذلك. قال الطبيب.

ـ «لا وقت لدينا» صاحت بيتي.

ـ «اسمعي بيتي أنا هنا الطبيب المناوب وعليك تنفيذ تعليماتي» قال الدكتور شتيرن.

ـ إسمع يا حضرة الدكتور، يوم لم تكن أنت بعد تلميذ طب، كنت أنا أقوم بعمل التمريض، أتفهم ما أعني؟ بإمكاننا إعادة وصل الأنابيب وتخديره ونحن نعبر الممرات وننزل الطوابق نحو غرفة العمليات.

كانت بيتي تجر السرير المتحرك بسرعة عبر الممرات فيما الدكتور فيليب شتيرن يتبعها، بعربة أجهزة الإنعاش.

ـ ما به؟ سأل شتيرن. لم يكن يشكو من شيء.

ـ لو كان كذلك، لوجب أن يكون الآن في كامل وعيه وفي منزله أيضاً. صباحاً كان نصف نائم. فلم أطمئن لحالته. لذا وضعته تحت المراقبة. وهذه هي مهمة الممرضة، أما ما به وما يعاني، فهذه مهمة الطبيب.

من بعيد صاحت بيتي، أوقفوا المصعد، لدينا حالة طارئة، وبالفعل كان لها ما أرادت. في المصعد تساءل الطبيب «وما هي هذه الحالة الطارئة؟» فنظرت إليه بيتي نظرة استهجان وهي تقول «حالة

نوم مزمنة على السرير» وفيما المصعد ينتقل من طابق إلى آخر حاولت إقفال هاتفها الخلوي. ولكن الزحمة لم تسمح لها بسحبه من جيبها.

في الطابق الخامس، جرّت بيتي السرير المتحرك بكل قوتها نحو غرفة العمليات في الجهة الأخرى من الممر، حيث ينتظر الدكتور غراتيللي الذي تساءل أوليس هو من أجرينا له عملية سابقاً؟

ـ نعم إنه هو. دم متجمد نتيجة نزيف داخلي في الرأس.

ـ وهل أبلغتم دكتور فيرنشتاين؟

ـ إنه ما يزال هنا.. قال طبيب جراح وهو يدخل غرفة العمليات. وتابع «يستحيل إجراء عمليتين جراحيتين له خلال أسبوع».

«لكنها ضرورية وملحة؛ فقوموا بعملكم كما يجب، ولا ضرورة لإجراء المزيد من العمليات الجراحية». قالت بيتي وهي تخرج مسرعة نحو موزع الهاتف.

* * *

رنين الهاتف الخلوي أيقظ لورين، «أين أنت؟» صاحت بيتي، إنها المرة الثالثة التي أطلبك فيها ولا تتكرمين بالإجابة.

ـ كم الساعة؟ تساءلت لورين.

ـ سيقتلني فيرنشتاين إذا علم أني أتكلم معك.

رفعت لورين جسدها عن المقعد وتسمرت عيناها في النافذة وهي تصغي إلى كل كلمة تقولها بيتي، وأخبرتها أن مريض الغرفة رقم 703 الذي سبق لها وأجرت له عملية جراحية في رأسه، هو الآن في غرفة العمليات.



تسارعت نبضات قلب لورين، وراح قلبها يخفق بقوة. أنتم المخطئون، لقد سمحتم له بالخروج من المستشفى باكراً.

ـ عمن تتكلمين؟ قالت بيتي.

ـ لم يكن جائزاً أبداً السماح له بالخروج من المستشفى. أنا أعلم عما أتكلم، ومن ثم أنتِ من أعطاه عنوان سكني. قالت لورين غاضبة.

ـ هل شربتِ الكثير من الكحول؟ تساءلت بيتي.

ـ لا. شربت كأساً واحداً ليس أكثر. لماذا هذا السؤال؟

ـ لأني لم أتوقف عن الاهتمام بمريضك.. ولم يخرج من المستشفى وحتى أنه لم يغادر سريره، وفوق هذا كله أنا لم أعطيه عنوان سكنك.

ـ لكني تناولت الغداء معه. قالت لورين.

ساد صمت لبرهة من الوقت؛ كان من الأفضل ألا أتصل بك. قالت بيتي.

ـ لماذا تقولين هذا؟ تساءلت لورين.

ـ لأني أتخيلك هنا بعد نصف ساعة، والأغرب أن تكوني مخمورة.

نظرت لورين إلى زجاجة النبيذ، فهي ما تزال ملأى. «إن الذي تتكلمين عنه هو بخير وبصحة جيدة».

ـ وإذا ما قلت لكِ أن الذي تناولتِ الغداء معه هو هنا ممدد على السرير في غرفة العمليات و لم يغادر غرفته أبداً، ويخضع للمراقبة المشددة، فوالله علي إذن إخضاعك أنتِ للعلاج وإدخالك المستشفى. ولكن لسوء الحظ ليس عندي سرير شاغر. قالت بيتي وأقفلت الخط.

www.rewity.com

نظرت لورين حولها، تعجبت لما ترى. لا المكتبة في مكانها ولا المقعد، الكتب مبعثرة ومكدسة على الأرض، كل الأشياء مبعثرة وكأن عاصفة هوجاء هبت على هذه الغرفة. رفضت الإنسياق لمشاعرها الغامضة وراحت تتساءل عن تفسير منطقي للأحداث التي تتالى.

وقفت وداست برجلها على الزجاج المحطم، فأخذ الدم يسيل على سجادة الكوكو. «هذا ما كان ينقصني بعد؟» قالت وهي تقفز على قدم واحدة باتجاه غرفة الإستحمام لغسل قدمها المجروحة.

وضعت رجلها في المغطس، مدت يدها إلى خزانة الأدوية، تناولت قنينة السيرتو عيار 09 وأفرغتها على الجرح.

ألم رهيب لا يحتمل، سبب لها دواراً. تنفست عميقاً حتى لا يغمى عليها وراحت تنزع شظايا الزجاج من قدمها، شظية تلو أخرى. «بالفعل معالجة الآخرين أسهل من معالجة النفس». عشر دقائق والدم ينزف، نظرت إلى الجرح فإذا به كبير وعميق، لا بد من تقطيبه. عبثاً حاولت إيجاد لفة شاش مطهر، فاضطرت لربط قدمها بقطعة قماش عادية واتجهت نحو خزانة الثياب.

* * *

«إنه كالملاك ينام». قال غرانيللي.

دقق فيرنشتاين بالصور الشعاعية والصوتية وقال «كنت أخشى أن يكون هذا التكتل الذي لم أستأصله هو السبب. لكن الوضع مختلف جداً. فالدماغ يعمل طبيعياً، وتم سحب الدم المتجمد، أما البقايا التي ما تزال على جانب الدماغ، سنلجأ إلى المجس للتخلص منها، وسيكون كل شيء طبيعياً إنما ـ والتفت نحو



غرانيللي ـ فليخدر المريض لساعة إضافية ليس أكثر».

ـ «بكل سرور» قال غرانيللي.

ـ كنت أنوي إخراجه من المستشفى يوم الإثنين، غير أني سأبقيه لما لا يقل عن أسبوع. قال فيرنشتاين وهو يمرر المقص فوق الجرح.

ـ ولماذا؟ تساءل غرانيللي وهو يراقب ما يرتسم على شاشة آلة تخطيط الدماغ.

ـ لأسباب عدة. أجاب البروفسور العجوز.

* * *

بصعوبة ارتدت لورين بنطلون جينز وكنزة صوفية وانتعلت حذاء بقدم واحدة، بينما الأخرى عارية. أقفلت باب شقتها وحاولت النزول على الدرج، إنما كيف يكون هذا والألم يزداد في قدمها الجريحة؟ فاضطرت للجوء إلى طريقة الترحلق رغم ما في هذه الطريقة من متاعب ومصاعب.

آلياً فتحت باب المرآب وصعدت إلى سيارتها متجهة نحو مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري، كان الألم يزداد كلما حاولت زيادة أو تخفيف سرعتها، حتى أنها كثيراً ما كادت تفقد وعيها من شدة الألم فتفتح زجاج النافذة الزجاجية لاستنشاق الهواء.

* * *

اتجهت سيارة الساب نحو شارع كاليفورنيا. منذ خروجهما من المطعم، وبول شارد الذهن، منشغل البال. لا يتفوه بأية كلمة،

وكذلك أونيغا التي أحبت التخفيف عنه فمدت يدها ووضعتها على ركبته وهي تقول «لا تقلق سيكون بخير» لكن بول لم يجب بأية كلمة.

انعطفت السيارة نحو ماركت ستريت، فإذ بهاتف بول النقال يرن لتبلغه إحدى الممرضات أن صحة صديقه تدهورت جداً، حتى أنه لم يكن في حال تسمح لهم بأخذ موافقته على إجراء عملية جراحية وكون هذه الجراحة ضرورية وبأقصى سرعة ممكنة نرجو حضورك العاجل لاعطاء الموافقة. أعطى بول موافقته الشفهية المسبقة ريثما يكون قد وصل إلى المستشفى.

* * *

أمام بوابة قسم الطوارىء توقفت سيارة الترايموف الخضراء، اقترب رجل الأمن منها لإبلاغها أنه غير مسموح لأي كان أن يوقف سيارته هنا.

لم تتمكن لورين من أيضاح الأمر أو حتى ابلاغه انها طبيبة مناوبة في المستشفى. وبينما كان رجل الأمن يتصل برئيسه لاسلكياً، هوت لورين على المقود فاقدة وعيها.

* * *

حدق غرانيللي في شاشة المراقب الآلي، فاعتراه القلق، لاحظ فيرنشتاين ذلك، فسأله «هل من مشكلة؟».

ـ نبضات القلب غير منتظمة، أرجو أن تسرع قدر ما تستطيع حتى أتمكن من أيقاظه.



ـ «سأبذل كل الجهد» قال فيرنشتاين.

تمكنت بيتي من إقناع إحدى زميلاتها الحلول مكانها في غرفة العمليات. كانت متأكدة من ان لورين قد تأتي بين لحظة وأخرى.

* * *

دخل بول إلى قسم الطوارىء، واتجه مباشرة إلى مكتب الدخول معرفاً عن نفسه، موضحاً سبب وجوده. طلبت منه الممرضة أن ينتظر قليلاً ريثما تصل الممرضة المسؤولة التي لن تتأخر أبداً.

أمسكت أونيغا بيده، أخذته وأجلسته على كرسي واختفت لبعض الوقت. ثم عادت لتقدم له القهوة الساخنة «تفضل حبيبي لم يتسنّ لك شرب القهوة في المطعم».

«أنا آسف أونيغا» قال بول وهو يأخذ فنجان القهوة من يدها.

نظرت أونيغا إلى وجهه فرأت ملامح الحزن والقلق «لا عليك حبيبي ولا داعي للأسف أبداً. المهم أن نكون معاً، إن في المطعم أو في الشقة أو هنا.. اشرب قهوتك قبل أن تبرد».

ـ إنه اليوم الوحيد الذي لم أزره فيه.. فلماذا؟

مدت أونيغا يدها ووضعتها على رأس بول وراحت تلاعب شعره وتداعب عنقه. نظر بول إليها نظرة طفل خائف، وبأعلى صوته قال «يستحيل عليّ تقبل فكرة فقدانه.. لا أحد لي سواه».

لم تجب أونيغا ولم تعلق. جلست على كرسي إلى جانبه وأخذته بين ذراعيها «في بلادي أغنية تقول إن الشخص الذي نفكر فيه

كثيراً، لا يموت أبداً.. لذا... فكر به ولا تفكر بحزنك ولا بخوفك من فقدانه».

* * *

دخل شتيرن إلى الغرفة رقم 2 وتناول ملف المريض «وجهك ليس غريباً عني إنه مألوف لي».

ـ أنا طبيبة هنا، قالت لورين، ولكني مجازة قسرياً منذ ثمانية أيام ولهذا السبب فقدماي لم تطأ هذا المستشفى طيله هذه الفترة.

ـ من أين كل شظايا الزجاج هذه في قدمك؟ كيف جرحتها؟

ـ «بسبب بعض الغباء» أجابت لورين.

ـ أمشيت على الزجاج المحطم بقدم عارية؟

ـ نوعاً ما..

ـ «فوق هذا فنتائج فحوصات الدم تشير إلى ارتفاع نسبة الكحول في دمك».. قال شتيرن.

ـ كيف يكون هذا؟ تساءلت لورين، وتابعت وهي تحاول الإبتسام رغم الألم « لم أشرب سوى جرعتين أو ثلاثاً من النبيذ».

أحست بدوار في رأسها وغثيان في معدتها، ناولها الطبيب وعاءً للتقيؤ وبعضاً من المحارم الورقية.

تقيأت لورين، فاندهش ستيرن وعلق «إضافة إلى نتائج الفحوصات المخبرية للدم التي تشير إلى افراطك في الشرب، يبدو أنك التهمتِ نصف كمية القريدس الموجودة في هذه الجزيرة، إنها فكرة سيئة أن تكثري من الشرب والتهام الطعام في آن».

ـ ماذا تقول؟ تساءلت لورين.



ـ لا شيء أبداً، لكنها معدتك التي تقول.

تمددت لورين على السرير وهي تحتضن رأسها بين يديها: «المهم أتمنى الخروج من هنا بأقصى سرعة».

ـ سأفعل ما يجب فعله، أولاً عليّ تنظيف الجرح ثم تقطيبه، وبعدها حقنك بالكزاز لئلا تصابين بالإلتهابات ومنعاً للمضاعفات الجانبية. على فكرة، هل تفضلين التخدير الموضعي أم..

قاطعته لورين «المهم تضميد الجرح بأقصى سرعة».

وبينما هو يكاد ينتهي من القطبة الثالثة، دخلت بيتي منهوفة ما الذي حدث لك؟

ـ مجرد جرح..

ـ ماذا.. ؟ وتقدمت لتقف قرب شتيرن لترى الجرح بأم عينها.

متجاهلة وجود شتيرن تساءلت لورين «كيف هو الآن؟»

إني قادمة لتوي من غرفة العمليات والأطباء ما يزالون يقومون بواجبهم. سيكون بخير.

ـ ولكن ما الذي حصل؟

ـ إنسداد في شريان الدماغ الرئيسي بسبب بقايا الدم المتجمد.

ـ هل لي أن أطرح عليك بعض الأسئلة؟ قالت لورين.

ـ وهل امتلك أي خيار؟ قالت بيتي.

أمسكت لورين بمعصم شتيرن وطلبت منه الخروج من الغرفة للحظات قليلة، لكنه رفض طلبها وأصر على إكمال عمله.

نزعت بيتي الخفنة من يده «أنا سأفعل ذلك، في القاعة مرضى بحاجة اليك».

نظر شتيرن إلى بيتي متعجباً من تصرفها، وقال «على كل لم يبقى

سوى تضميد الجرح وحقنها بالمضادات الحيوية» وخرج من الغرفة.

جلست بيتي على السرير إلى جانب لورين «هاتي قولي ما تشائين، فأنا كلي آذان صاغية».

ـ أرجو أن تتفهمي الأمر يا بيتي، وأعدك، بل أقسم على ألا أتفوه بأية كلمة.

ـ هاتي إسألي

ـ هل من الممكن أن يكون مريض الغرفة رقم 703 قد استطاع الخروج من المستشفى لبعض الوقت دون أن تلاحظي ذلك؟

ـ «حددي السؤال أرجوك» قالت بيتي وكأنها تسخر منها.

ـ لست أدري. قالت لورين، قد أكون سخيفة فيما أقول، ولكن هل من المحتمل أن يكون وضع الوسادة مكانه في السرير وغادر المستشفى لساعات دون أن يلاحظ أحد ذلك؟

عاد شتيرن إلى الغرفة، وطرح السؤال على لورين «هل أنت متأكدة أننا لم نلتقي سابقاً؟ أنا هنا منذ خمس سنوات.

أخرج حالاً: صاحت بيتي.

* * *

نظر فيرنشتاين إلى ساعته. «لم تكمل الساعة بعد. فقط أربعة وخمسون دقيقة». ثم التفت إلى غرانيللي «يمكنك إيقاظه، أنا انتهيت».

ابتعد عن طاولة الجراحة وخرج من الغرفة بعد أن حيا غرانيللي لكن بدا واضحاً أنه سيء المزاج.

ـ ما به؟ قال غرانيللي.



بصوت حزين أجابت نورما: «إنه التعب». وراحت تكمل تضميد جراح آرثر فيما غرانيللي ينعشه.

فُتحت أبواب المصعد في طابق قسم الطوارىء، فرنشتاين يجتاز الممر بخطى سريعة. سمع صوتاً لفت انتباهه. تقدم ونظر من خلال الستارة فرأى لورين على السرير وبيتي إلى جانبها. كالمجنون دخل الغرفة وحدق بلورين «هل نسيت أني منعتك من الدخول إلى هذا المستشفى؟ ليس هذا وحسب، بل وحتى الإقتراب منه؟ أما تعلمين أنك موقوفة عن العمل حالياً؟

حاولت بيتي أن تهدىء من روعه وشرحت له الوضع، فلورين لم تأتي إلى هنا كطبيبة بل كمريضة. وأنه قد تم إجراء عملية تقطيب لجرح في قدمها. لم يعر هذا التفسير اهتماماً، بل وجه الإتهام للورين بأنها تتعمد إغاظته وعدم تنفيذ أوامره. أحبت لورين أن تعلق على كلام فيرنشتاين، لكن بيتي أومأت إليها بنظرة من عينيها ألا تفعل ذلك.

خرج فيرنشتاين والغضب يتآكله، اتجه نحو عاملة الهاتف موضحاً أنه ذاهب إلى بيته للإستراحة طالباً منها عدم الإتصال به، ولا لأي سبب من الأسباب، وحتى لو ابتلع حاكم ولاية كاليفورنيا لسانه أثناء ممارسة الرياضة.

ـ ما الذي فعلته ليغضب مني؟ تساءلت لورين

ـ إنه يفتقدك يا لورين. قالت بيتي... صدقيني انه يحبك كما لو انك ابنته فعلاً.

ـ أتعرفين شيئاً مهماً؟ تساءلت بيتي وتابعت، «سأبوح لك بسر، منذ أن أعطاك الإجازة القسرية وهو عصبي، متوتر، سيء المزاج،

صدقيني إنه لا يحب أحد هنا إلا أنت».

انتهت بيتي من تضميد الجراح، وعادت ترتيب الخزانة قائلة «وأنتِ يا عزيزتي تفتقدين إلى مفردات لغوية واضحة تتناسب مع وضعك هذا. أنتِ جد متوترة، وانعكس هذا التوتر على أسلوب حديثك. على كلٍ، نحن انتهينا، فيمكنك الخروج الآن والذهاب إلى حيث تشائين بإستثناء التنقل في أرجاء المستشفى».

ـ أتعتقدين أنهم أعادوه إلى غرفته؟

ـ أعادوا من؟ تساءلت بيتي بخبث، وهي تغلق أبواب الخزانة. إسمعي سأذهب لأرى، شرط أن تقسمي أنكِ لن تبارحي هذا المكان قبل عودتي.

بحركة من رأسها وافقت لورين على اقتراح بيتي.

* * *

فيرنشتاين في طريقه إلى سيارته. ألم حاد ينتابه. إنها المرة الأولى التي ينتابه الألم فيها أثناء قيامه بإجراء عملية جراحية. كان يعي أن نورما لاحظت ذلك.

العرق يتصبب من جبينه. لم يعد قادراً على أن يخطو ولو خطوة واحدة إلا بتثاقل. وضع يده على فمه فإذا بالدم يملؤها. صلّى ألا يلاحظ حارس الموقف ذلك، تقدم من سيارته واتكأ على الباب وراح يبحث عن المفتاح بجيبه، فتح باب السيارة، صعد وجلس خلف المقود آملاً أن تمر هذه الأزمة بسلام.

«بيتي ليست هنا» قالت لورين. تسللت إلى غرفة الملابس وفتحت إحدى الخزائن وارتدت الثوب الطبي الأبيض وخرجت



مسرعة متجهة نحو أحد الأقسام. اجتازت ممراً طويلاً، انتهى عند قسم الأطفال في جناح آخر للمستشفى. استعانت بالمصاعد الشرقية للوصول إلى الطابق الثالث، ثم عادت واستدارت حتى وصلت إلى قسم جراحة الرأس لتتوقف عند مدخل الغرفة 703.

* * *

قفز بول من مكانه متعباً حزيناً، لكن ابتسامة بيتي هدأت من روعه وزرعت الإطمئنان في قلبه «زال الخطر، والأسوأ أصبح من الماضي، فالذي جرى كان مجرد حادث عرضي بسيط ولن يترك أية تأثيرات، ولن يكون له أية تفاعلات جانبية. يمكنك زيارته غداً».

رجاها بول السماح له بالمبيت إلى جانبه، لكن بيتي رفضت الإستجابه لرجائه، ووعدته الإتصال به مباشرة عند حدوث أي طارىء جديد.

ـ أهذا وعد؟ قال بول وتابع «هل حياته في خطر؟».

ـ تعال، قالت أونيغا ـ أمسكته من ذراعه «دعنا نذهب فأنت بحاجة للإستراحة».

ـ كل شيء تحت السيطرة قالت بيتي فافعل ما تطلبه منك صديقتك.

أمسك بول يد بيتي وشد عليها تعبيراً عن شكره واعتذاره إذا كان قد سبب لها أي إزعاج.

سحبته أونيغا بيده نحو مدخل المستشفى «فعلاً إنك إنسان رائع وصديق يندر وجوده».

فتح بول باب السيارة لأونيغا واستدار ليصعد ويجلس خلف

www.newity.com

المقود. وبداعي الحشرية نظر إلى السيارة المجاورة «أنظري أونيغا، يبدو أن هذا الشخص ليس بحالة جيدة».

ـ إننا في مرآب مستشفى قالت أونيغا «وأنت لست طبياً، ومن ثم يكفيك ما أنت فيه».

* * *

تقدمت لورين وفتحت باب الغرفة 703 الغارقة في الظلمة. فتح آرثر عينيه للحظة فتخيلت أنه يتسم لها. اقتربت من السرير وهي تستعيد في ذاكرتها كلمات الرجل الاشيب سانتياغو وهو يغادر غرفة ابنته «إذا كانت الحياة أشبه برقاد عميق، فالإحساس هو المرسى والميناء».

تقدمت ووضعت فمها بالقرب من أذن آرثر «راودني اليوم حلم غريب، وما إن استيقظت حتى أدركت أنه عليّ المجيء إلى هنا بأية طريقة كانت، لأراك نائماً». طبعت قبلة على جبينه، وخرجت من الغرفة بهدوء.

# الفصل السادس عشر

أشرقت الشمس على سان فرنسيسكو، لحق فيرنشتاين نورما إلى المطبخ، سكبت فنجاني قهوة، ونظرت إليه بحنان متسائلة «أمس عدت متأخراً».

ـ كان لديّ بعض الأعمال.

ـ لكنك غادرت المستشفى قبلي.

ـ نعم. كان عليّ إنهاء بعض الأعمال.

استدارت نورما نحوه، وعيناها تذرفان الدمع «أنا خائفة، لكنك لا ترى إلا خوفك ولا تفكر إلا فيه. أنا أموت رعباً من التفكير بالموت».

ترك فيرنشتاين مقعده، اقترب منها وأخذها بين ذراعيه «أنا جد آسف، لم أفكر يوماً، أن فكرة الموت قد ترعبك».

طيلة حياتك وأنت تتغلب على الموت. قالت نورما.

تقصدين أني أتغلب على الموت الذي يهدد حياة الآخرين، وليس حياتي؟

التصقت به وقبلته على شفتيه وهي تشده إليها «أرجوك. تقبل العلاج هنا».

تقدم الأستاذ العجوز من النافذة، فإذا بالشمس تتربع على قمم تلال تيرون. أخذ نفساً عميقاً وقال «ما إن تنتهي إجازة لورين

سأقدم استقالتي، ونذهب معاً إلى نيويورك».

ـ ولماذا نيويورك؟ تساءلت نورما.

ـ لديّ صديق هناك يريدني أن أتعالج على يديه.

ـ حقاً؟ تساءلت والدموع ما تزال تبلل خديها.

ـ لطالما جعلتك تنتظرين لقائي، حتى لا أتوجع أمام عينيك يا نورما. اتعرفين هذا؟

ـ ولماذا لا نذهب غداً إلى نيويورك؟

ـ ليس قبل عودة لورين إلى المستشفى. لا أنكر أني راغب بترك العمل، ولكن ليس قبل تأمين البديل، وإلا أكون إنساناً مستهتراً.

* * *

أوصل بول أونيغا إلى شقتها واستدار وجعل ظهره للباب. فوجئت أونيغا من تصرفه، وبان ذلك في نظراتها، لم تفهم ماذا يرمي من لعبته هذه.

ضرب يده على الباب وقال «سأترك لك السيارة وسأنتقل بسيارة أجرة، هاكِ المفاتيح، أنا لدي نسخة أخرى». انذهلت أونيغا واستغربت هذه الطريقة الغبية للتعبير عن رغبته بالعيش معاً.

ـ ها هي المفاتيح معك، ولا شك أدركت ما أقصد، وحدك تقررين.

ـ إنها طريقة غبية، أما ترى ذلك يا بول؟

ـ أعلم ذلك.

ـ رغم غباوتك... أحبك.

ـ أجدية أنتِ فيما تقولين؟



ـ إذهب الآن لئلا تتأخر عمن قارب أن يصحو من نومه.

ـ «إنتبهي أونيغا. إنها سيارة رقيقة. قبليها بشغف». وركض نحو الشارع. استقل سيارة أجرة واتجه نحو المستشفى مغموراً بالسعادة.

* * *

استفاقت لورين تعاني من آلام في الرأس، كانت تحس أنها تسمع طرقات مطرقة صغيرة في رأسها؛ ليس هذا وحسب، فقدمها تؤلمها أيضاً. حلت الضمادات لتكشف عن الجرح، فإذ به ينزف، اتجهت إلى الحمام على رجل واحدة وهي تتكيء بيدها إلى الحائط، فتحت خزانة الأدوية وتناولت زجاجة المطهر. إنما لشدة ألم الرأس، لم تقوى على حملها فوقعت في المغطس وانكسرت.

«لا بد من إعادة تضميد الجرح، وتناول مضادات حيوية تلافياً للعوارض الجانبية والإلتهابات» قالت هذا وهي ترتدي ثيابها بانتظار وصول سيارة الأجرة. إنها عاجزة عن قيادة سيارتها بقدم واحدة ورأس يتألم.

عشر دقائق ليس أكثر، وكانت في قسم الطوارىء بالمستشفى تمشي على رجل واحدة، لكن أحد المرضى طلب إليها أن تنتظر دورها. فأعلمته أنها طبيبة وتابعت قفزها عبر الممر حتى وصلت الباب الزجاجي لغرف المعاينات.

ـ ماذا تفعلين هنا؟ صاحت بيتي: «إذا ما رآك فيرنشتاين».

قاطعتها لورين «فليفعل ما يشاء، أكاد أموت من شدة الألم فماذا أفعل؟ أذهب إلى مستشفى آخر؟

ـ «لا.. لا...» أجلستها بيتي على كرسي متحرك وطلبت إليها التوجه نحو الغرفة رقم 3 «أنا جد متعبة. منذ ست وعشرين ساعة وأنا هنا، صدقيني لم أعد قادرة على الوقوف».

ـ وهل استرحتِ قليلاً خلال فترة الليل؟

ـ نوعاً ما، ولكن عند الفجر.

تمددت لورين على السرير، حلت بيتي الضمادات «الجرح ملتهب يا عزيزتي وفيه الكثير من القيح.. ولكن ماذا؟

ـ لست أدري يا بيتي.

حقنت بيتي قدم لورين بمخدر موضعي، وانتظرت بضع دقائق. شرعت بعدها بتنظيف الجرح حتى العمق ثم نظرت إليها متسائلة، «أتقومين أنتِ بعملية التضميد أم تمنحيني الثقة؟».

ـ افعلي ما تشائين يا بيتي فخبرتك تجبرنا أن نمنحك ثقتنا، ولكن أرجو ترك مسرب للدم الذي سيخرج من الجرح.

ـ حسناً، سيكون ذلك جمال الجراح.

بيتي تضمد الجرح ولورين تقضم أطراف الغطاء بأسنانها وبأيديها تشد على أطراف السرير، رغم هذا الألم استغلت الفرصة لتسأل «كيف حاله؟».

سؤال أحرق شفاه لورين وأيقظ الذكريات عند بيتي.

ـ بحالة جيدة، لا بل ممتازة.. كل همه الخروج من المستشفى.

ـ أرجوك لا تدعي الضمادات تضغط كثيراً.

ـ سأمنعك بالقوة من الدخول إلى الطوابق قالت بيتي.

ـ حتى لو تسللت كاللصوص؟

ـ أرجو عدم اللعب بالنار. ما يزال أمامك سوى شهر واحد



وتنالين شهادة الإختصاص، أرجوك لا تضيعي أتعابك. منذ سنوات وأنتِ تحلمين بهذا اليوم.

ـ فكرت فيه كثيراً ليلة أمس.

ـ فكري كما تشائين، إنما عليك الإنتظار أسبوعاً واحداً ليس أكثر وسترينه. إن لم يكن السبت، فسيكون الأحد. إنه ليس شبحاً، بل هو إنسان، له هويته الخاصة وعنوان منزل، ورقم هاتف. وإن أردت رؤيته اطلبيه بعد خروجه من هنا.

ـ بيتي، قالت لورين بصوت ناعم «إنه النوع الذي أحب».

وقفت بيتي وأمسكت ذقن لورين ونظرت إليها بحنان «أصدقيني القول. أوقعتِ بالحب يا لورين؟ لعمري ما سمعتك تتكلمين بهذه الرقة؟».

أزاحت لورين يد بيتي عن ذقنها وقالت: «لا أدري، لست قادرة على تعريف مشاعري، كل ما أعرفه أني أرغب برؤيته صبحاً ومساءً. في مطلق الأحوال فهو ما يزال مريضاً».

ـ لديّ فكرة بسيطة. قالت بيتي أتسمحين لي شرحها؟

ـ كفى سخرية يا بيتي، فالأمر ليس بالسهولة التي تتصورين.

ضحكت بيتي ملء شدقيها وهي تقول «أنا أهزأ منك يا لورين؟ غريب أمرك هذه الأيام. والآن، دعيني أذهب علني أرتاح قليلاً، ولكن إياك وارتكاب الحماقات. إذهبي مباشرة إلى الصيدلية المركزية، خذي أدوية مضادات الحيوية. تذكري أن الصيدلية هي في الطابق الأول تحت الأرض وليست في الطابق المخصص لجراحة الرأس والأعصاب».

خرجت لورين وكلمات بيتي تتردد في أذنيها.

دخل بول غرفة آرثر وبيده كيس مملوء بالمعجنات والخبز الإفرنجي الممزوج بالشوكولا.

ـ إنه أمر مريب. كيف يجرون لك عملية بدوني؟ أتمنى أن يكونوا تمكنوا من تدبير الأمور رغم غيابي. المهم كيف حالك اليوم؟

ـ على أحسن ما يُرام، غير أني أحس بالضجر والملل.

ـ فعلاً؟ تحس بالضجر والملل يا من أفسدت عليّ ليلتي؟

* * *

كتبت لورين أسماء الأدوية على الورقة المخصصة للوصفات الطبية ووقعتها، وطلبت من موظف الصيدلية إعطاءها إياها، نظر الموظف فأصابه العجب: أمريضك مشرف على الموت أم مصاب بالغرغرينا؟

ـ إنه يعاني من ارتفاع حاد في الحرارة.

ـ إذن سيعود اليوم إلى عمله.

دقائق قليلة وكانت المضادات الحيوية بيد لورين التي خرجت من الصيدلية باتجاه المصعد. ترددت قليلاً قبل أن تضغط على الزر الذي يوصلها إلى الطابق الثالث.

عند باب المصعد في الطابق الثالث. التقت ميكانيكياً بجر آلة معطلة، فسألته لورين عن نوعية أعطالها فأجاب إنها في جهاز سحب الأوراق، ولم يتمكن فريق الصيانة من إصلاحها.

ـ ماذا فعلت ليلة أمس؟ قال آرثر.

ـ تناولت العشاء مع صبية حلوة.

ـ أونيغا؟



ـ لا أحد غيرها.

ـ يعني عندما تتواعدان؟ ولكن لماذا صوتك متهدج؟

ـ أخشى أن أكون ارتكبت هفوة يا صديقي.

ـ وما هي ؟

ـ أعطيتها مفاتيح الشقة وطلبت منها العيش معاً.

تجهم وجه آرثر عن عمد، في محاولة لإغاظة بول الذي كان قد نهض من مكانه ووقف في مواجهة النافذة، انتبه آرثر لمخاوف صديقه فسأله: وهل أنت نادم على ما فعلت؟

ـ أخشى أن أكون قد تسرعت نوعاً ما. قال بول.

ـ وهل تحبها؟

ـ لا شيء مستحيل.

ـ أين الهفوة؟ إذا كنتما تتبادلان ذات المشاعر والأحاسيس؟ فلا عيب فيما فعلت.

ـ إذن لم أرتكب أي خطأ؟

ـ من قال ذلك؟ اسمع بول: ما عهدتك يوماً بهذه الحيوية و لم أرَ وجهك مشعاً كما هو اليوم. شخصياً لا أعتقد أن هناك ما يدعو إلى القلق.

ـ لكنها لم تتصل بي بعد؟

ـ منذ متى؟

ـ «منذ ساعتين تقريباً» قال بول.

ـ منذ متى منذ ساعتين؟ أنت فعلاً لا تطاق. اسمع يا صديقي دعها الآن تجري بعض الإتصالات بصديقاتها لإخبارهن بما جرى وبأنها واقعة في الحب.

– ما بك تتصرف كالواعظ؟ حقيقة أنا لا أدري ماذا يحصل لي. أشعر بالبرد أحياناً وبالحر أحياناً أخرى. تنتابني مشاعر أعجز عن وصفها.

– إنه الحب يا صديقي.

– أعلم، وهذا ما يخيفني.

– غداً سترى الأمور بشكل مختلف، ستشعر بالفرح والإنشراح.

مرت لورين أمام النافذة. جحظت عينا بول ولم يتمكن من التفوه بأية كلمة.

– هل يزعجكما وجودي؟ تساءلت لورين وهي تدخل الغرفة.

– لا.. لا أبداً قال بول وتابع «شخصياً كنت سأذهب لجلب القهوة». التفت نحو آرثر «وأنت ماذا تريد؟».

– «لكن هذا غير مسموح». قالت لورين.

نظر آرثر إلى لورين «مابك؟».

– «مجرد حادث بسيط». وهي تمسك الملف الطبي المعلق على عارضة السرير.

– ولماذا هذه الضمادات، إذا كان مجرد حادث بسيط؟

– لا عليك إنه مجرد جرح ليس أكثر. وأنت كيف كانت ليلتك؟

– مضطربة نوعاً ما.

– وهل غادرت سريرك لبعض الوقت؟

– على العكس، تدهورت صحتي وارتفعت حرارتي، فاضطروا لإعادتي إلى غرفة العمليات.

استغربت لورين ما سمعت.

– ماذا هناك؟ قال آرثر، ولماذا تنظرين إليّ هكذا؟



– لا شيء مطلقاً.

– هل من مشكلة في نتائج الفحوصات المخبرية؟

– اطمئن.. أنا لم آتي لأحدثك عن هذا. قالت وهي تتكيء على أسفل السرير، وتابعت «هل لديك أية ذكرى عن؟».

قاطعها آرثر: عن ماذا؟

– لا.. لا شيء إنه أمر تافه وسخيف.

– بربك قولي ما هو هذا الأمر التافه والسخيف؟

وقفت واتجهت نحو النافذة «أنا لست ثملة، ولكني ارتكبت اليوم هفوة كبيرة».

هز آرثر رأسه دون أن يتفوه بأية كلمة، فيما تابعت حديثها وكأن شيئاً يجبرها أن تتكلم «ليس سهلاً أن تسمع ما سأقول» وفجأة دخلت إمرأة تحمل باقة ورد تغطي وجهها، وضعت الباقة على المنضدة جانب السرير، وصاحت «يا إلهي كم أخفتني؟» قالت كارول آن ثم انحنت وقبلت جبينه.

نظرت لورين إلى خاتم الزواج المرصع بالجواهر في إصبعها.

– حسناً، كنت أود الإطمئنان عليك ليس أكثر، سأتركك الآن مع خطيبتك. قالت لورين.

– هل تعلم يا آرثر أن هناك بلداناً يصبح الشخص فيها عبداً لمن ينقذ حياته؟

– وهل تعلمين أنك تزعجينني يا كارول آن؟ قال آرثر والتفت نحو لورين ليكتشف ردة فعلها. فإذ به لا يرى أحداً.

إن بول يصعد الأدراج مسرعاً، فالتقى بلورين. ابتسم لها إلا أنها أكملت طريقها دون إعارته أي انتباه. تابع طريقه إلى غرفة آرثر، فلم

www.rewity.com

يصدق ما يرى. كارول آن جالسة على الكرسي جانب السرير.

ـ صباح الخير بول قالت كارول آن.

ـ يا إلهي؟ صرخ بول وسقط فنجان القهوة من يده أرضاً، انحنى لتناوله وهو يقول «ما من كارثة إلا ولها أسبابها».

ـ هل أعتبر قولك بمثابة مديح؟ قالت كارول آن بلهجة قاسية.

ـ لو كنتُ مهذباً لقلت لك نعم، ولكن تعرفين أني أبعد الناس عن التهذيب.

ـ ولكن ما الذي تقوله الآن؟ قالت كارول آن.

نظر آرثر نحو كارول آن وقال: ما جلبت لي إلا المتاعب والمصائب. أتعرفين هذا؟

تعجبت كارول ـ آن لما سمعت، فتناولت باقة الزهور عن المنضدة وغادرت الغرفة بسرعة.

ـ والآن ماذا ستفعل؟ قال بول.

ـ الخروج من هذا المستشفى بأسرع ما يمكن.

بول يزرع أرض الغرفة جيئاً وذهاباً وهو يضرب كفاً بكف.

ـ ما بك؟ تساءل آرثر.

استمر بول يزرع الغرفة جيئة وذهاباً. لست أدري ما أقول، إنما، أنت وهي تشكلان ثنائياً رائعاً. والظروف تحول دائماً دون لقاء دائم بينكما. حين لمحتها أمام النافذة، وهي تنظر إليك من خلال الزجاج، أدركت كم هي مهتمة بك.. أما بعد الذي حصل اليوم، بعد مجيء هذه اللعينة، بت لا أعرف ما أقول، أصبحت معطل التفكير.

ـ وما تنصحني أن أقول لها؟ قال آرثر وتابع، «أحبينا بعضنا بجنون، ووضعنا خططاً لحياة سعيدة، وها هي اليوم لا تتذكر شيئاً».



ـ قل لها أنك من أجلها هي، تركت سان فرنسيسكو وذهبت إلى باريس، إلى المقلب الثاني من المحيط، وإنك لا تفكر إلا بها. قل لها إنها هي من أعادتك إلى هنا وأنك ما تزال متيماً بها.. قل لها..

قاطعه آرثر: أتصدقني أني أفقد قدرة النطق حين ألتقيها.

نظر بول إلى صديقه وكلمه بصوت عال، «أعرف أنك طالما حلمت بإمرأة تشبهها، وأنك غير قادر على العيش بدونها. أتعرف آرثر؟ بسببك أنت طلبت من أونيغا أن نعيش معاً. كنت أحيا تحت ضغط نفسي قوي، فقلت فربما عيشي مع أونيغا يريحني نفسياً بعض الشيء لأكون قادراً على مشاركتك متاعبك وهمومك».

ـ ولكن ماذا أفعل؟ تساءل آرثر.

ـ لا تتخلَ عن لورين، أنتما في حالة حب يصعب وجود مثيل لها. كلاكما يحب الآخر.

ـ إني أعيش في صراع داخلي، فأنا لا أستطيع الإقتراب منها مخافة أن أخبرها بما جرى. فمن الصعب عليها تقبل الحقيقة التي سأقولها.

اقترب بول من سرير آرثر: قل الحقيقية كاملة حتى عن أمها وتذكر ما كانت ترددة ليلي على مسمعك «الأفضل أن تصارع من أجل تحقيق حلم يجلب لك السعادة».

اتجه بول نحو الباب وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة «لا حب بلا أمل ولا حب دون كفاح من أجله.. أراك غداً» ودون انتظار جواب خرج من الغرفة.

أمام المستشفى مد بول يده إلى جيبه للبحث عن المفاتيح فأخذ هاتفه الجوال وقرأ عليه رسالة من اونيغا تقول «أين أنت؟ أسرع أنا

في انتظارك». نظر إلى السماء وأطلق صرخة فرح.

ـ ما الذي يجعلك سعيداً إلى هذا الحد؟ سألته لورين التي كانت تنتظر سيارة الأجرة.

ـ لقد أعرت سيارتي لصديقتي وهي الآن تنتظرني.

ـ إذن ماذا ستأكلان اليوم وأين؟ قالت لورين وهي تشاركه الإبتسامة.

توقفت سيارة الأجرة أمام لورين، فتحت الباب وأشارت له بالصعود، «تعال سأقلك معي» صعد بول وجلس إلى جانبها وطلب من السائق التوجه إلى غرين ستريت. نظرت إليه لورين باستغراب واندهاش. هل تقيم هناك في غرين ستريت؟

ـ «أنا...؟ لا» قال بول، ولكن أنتِ تقيمين هناك.

زاد اندهاش لورين وعبرت عنه بنظراتها «وكيف له أن يعرف عنوان سكني؟» تساءلت سراً. أما بول فقد أشاح بنظره عنها وأخذ ينظر إلى الشارع وهو يتمتم بصوت خافت «سأخبرها الحقيقة، لكنه سيقتلني إن فعلت. إني لعلى ثقة أنه يقتلني».

وقاطعته لورين، إذا ما فعلت ماذا؟

فوجيء بول بسؤالها، وأدرك أنها سمعت ما كان يتمتم به.

ـ أولاً ضعي حزام الأمان.

رمقته بنظرة تعجب واستغراب، وعادت وطرحت ذات السؤال، تردد بول، ثم أخذ نفساً عميقاً والتفت إليها «أحب أن أقول لك، إن هذه المرأة التي دخلت غرفته حاملة باقة الأزهار هي صديقة سابقة من زمن ما قبل التاريخ. باختصار اعتبرها وما يزال، أكبر وأسوأ غلطة في حياته».



ـ وماذا أيضاً؟ قالت لورين.

ـ ليتني أستطيع أن أقول أكثر. أخاف أن يقتلني إن فعلت.

ـ وهل صديقك متوحش إلى هذا الحد؟ قال السائق. لكنه عاد واعتذر لتدخله فيما لا يعنيه.

وهل قلت أنا ذلك؟.. إنه يقاتل من أجل إنقاذ حشرة.

ـ فعلاً؟ قالت لورين.

ـ يعتقد أن والدته متقمصة بذبابة..

ـ آه.. ماذا؟ قالت لورين وهي تنظر إلى البعيد.

ـ قد تعتبرين هذا نوعاً من الغباء، أو قولي منتهى الغباء، قال بول بصوت مرتجف، ومضى «قد تعتبرينني سخيفاً».

قاطعه السائق «هناك من يعتقد ذلك. خلال الأسبوع الماضي اصطحبت عائلتي في نزهة إلى حديقة الحيوانات، ولاحظت ابنتي أن في الحديقة بقرة وحشية تشبه جدتها».

رمق بول السائق غاضباً، «حسناً، المهم» قال وهو يمسك يد لورين، «أتذكرين ونحن في سيارة الإسعاف التي نقلتنا من مستشفى سان بيدرو إلى مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري؟ سألتني إذا ما كان أحد أقاربي أمضى فترة في الغيبوبة؟».

نعم أذكر ذلك.

ـ حسناً، سأقول لك كل شي. في تلك الليلة كان هذا الإنسان يجلس إلى جانبي ويحادثني كما هو الآن.

ـ صعقت لورين فصاحت ماذا؟.. ماذا؟

ـ نعم.. حان الوقت لأقول لكِ شيئاً قد يغير مجرى حياتك. أرجوك اسمعيني جيداً.

ـ هات قل.. قالت وهي تتلهف لسماع ما سيقول.

أخبر بول لورين كيف أنه ذات ليل صيف ارتدى ثياب ممرض بينما آرثر ارتدى ثياب طبيب وسرقا سيارة اسعاف بهدف اختطاف جسد إمرأة شابة مصابة بالغيبوبة لأن الجميع رأى، بمن فيهم والدتها، ضرورة نزع الأنابيب التي تبقيها حية، لأن حالتها ميؤوس منها. ولم يخشَ أن تتعرف لورين إلى الإنسان الذي أمضى الليالي يسهر قربها حتى عادت إلى الحياة، «لأنها لم تكن تعي ما يدور حولها».

«توقف» صرخت لورين وهي تفتح باب السيارة، لكن بول شدها إلى الداخل ريثما توقف السائق إلى جانب الطريق قرب حديقة صغيرة، بدا الشحوب واضحاً على وجهها ارتفعت حرارتها وراح العرق يتصبب من جسدها، أحست بانقباض في القلب وضيق في التنفس، فارتمت على الأرض ويداها ترتجفان، ومن ثم فقدت وعيها.

يجب طلب الإسعاف صاح بول.

تقدم السائق «دعني أقدم لها الإسعافات فأنا مؤهل لفعل ذلك وأحمل إجازة رسمية». ركع السائق إلى جانبها وراح يناديها بصوت هادئ، فانفجر غضب بول «إذهب إلى أمك المتقمصة في البقرة الوحشية» تقدم بول ووضع يده على ذقن لورين وضغط بكل قوته خلف أذنيها.

ـ ماذا تفعل؟ قال السائق. قد تسبب لها كسراً بالحنك.

ـ لا عليك، فأنا أعرف ماذا أفعل. أنا طبيب متمرن.

لحظات وفتحت لورين عينيها وعاد اللون إلى وجهها وتأسفت



لما سببته لهما من متاعب. ساعدها الإثنان بالعودة إلى السيارة وعاد بول وجلس إلى جانبها.

ـ أعتقد أني أخطأت في إخبارك.

ـ وهل هناك أشياء أخرى؟ أكمل.. أعتقد أنه الوقت المناسب لمعرفة كل شيء.. الأهم ما هي نوايا آرثر؟

ـ هذا ما لا يمكنني قوله.

ـ لماذا عرض نفسه لكل هذه المخاطر؟

ـ لو قلت لك لأغرقني في المحيط وجعلني طعماً لسمك القرش أو أحرقني. وفي هذه الحال عليك شراء علبة كبيرة للاحتفاظ برماد جثتي.

دخلت السيارة شارع غرين ستريت، فقال السائق: إن أردتم متابعة الحديث فسأقوم بجولة أخرى ومستعد لإيقاف العداد. لكن لورين انحنت فوق بول وفتحت له باب السيارة، طالبة منه النزول.

ـ ولكن أنت من يسكن هنا وليس أنا.

ـ أعرف. غيرت رأيي ولن أوصلك إلى حيث تسكن. نزل بول وتابعت السيارة مسيرها.

ـ والآن هل يمكنني معرفة إلى أين ترغبين الذهاب؟ قال السائق.

ـ عد بي إلى حيث أتينا. قالت لورين.

* * *

السيدة موريسون إلى جانب سرير آرثر وبابلو ممدد عند قدميه يشاركهما مشاهدة فيلم تلفزيوني على التلفزيون المعلق على الحائط. ما إن اقترب البطل من البطلة، حتى أخذ بابلو بالنباح.

ـ لم أعهده هكذا قال آرثر وهو يداعب بابلو على عنقه.

ـ ولا أنا أيضاً. قالت السيدة موريسون.

رن جرس الهاتف، رفع آرثر السماعة دون أن يشيح نظره عن جهاز التلفزيون.

ـ هل أزعجك. قال بول بصوت مرتجف.

ـ آسف فالأطباء هنا، سأحدثك لاحقاً.

مضى بول يتجول في شارع غرين ستريت سيراً على الأقدام ويداه في جيبه حائراً من أمره ولا يجد جواباً لسؤاله «هل كان ضرورياً أن ابلغها؟».

انتهى الفيلم، فنهضت السيدة موريسون وتمنت له الشفاء واعدة بزيارته قريباً. فرجاها ألا تفعل لأنه سيخرج بعد يوم أو يومين.

خرجت السيدة موريسون وفي الممر التقت طبيبة متمرنة آتية نحو غرفة آرثر.

عبثاً حاولت السيدة موريسون تذكر أين سبق لها والتقت هذه الطبيبة.

# الفصل السابع عشر

ـ هل أنت بخير؟ قالت لورين وهي تقف إلى جانب سريره، وبصوت متقطع تابعت «أيزعجك جلوسي على هذا الكرسي لبعض الوقت؟».

ـ ماذا؟ ومن قال لك ذلك؟ لا أحد يمنعك من فعل هذا.

ـ أيزعجك أن تبقى خمسة عشر يوماً في هذا السرير لاستكمال العلاج؟

تعجب آرثر لسؤالها، ولم يجب.

ـ لقد رافقت صديقك بول في سيارة أجرة. ودار بيننا حديث طويل.

ـ وماذا أخبرك بول؟

ـ كل شيء.. نعم كل شيء تقريباً.

أغمض آرثر عينيه، ليس إعياء، بل تعبيراً عن رضا وقال «أنا جد آسف».

ـ ولماذا تتأسف؟ لأنك أنقذت حياتي، أم لأنك تصرفت بمنتهى الشهامة والرجولة؟ صمتت لورين قليلاً وتابعت «أعتقد جازمة أنك عرفتني عندما جئت إلى هنا للمعالجة، ولهذا حاولت التخلص مني بأي شكل من الأشكال، أليس كذلك؟ لقد أخبرني بول عنك الكثير وأبلغني رفضك مصادقة أي إمرأة طيلة هذه الأشهر، وكل ذلك من أجلي، أليس كذلك؟».

ـ لم ولن أنساك ما دمت حياً. قال آرثر.

ـ والآن، أتسمح بالرد على سؤالي: لماذا فعلت كل هذا من أجلي؟ هل فقط لأنهم أرادوا نزع أنابيب التنفس الإصطناعي بهدف اللجوء إلى الموت الرحيم كما أخبرني بول؟ أم أن هناك أسباباً أخرى لم يفصح عنها صديقك؟

ـ أية أسباب أخرى؟

ـ لماذا أنا بالذات؟ تساءلت لورين. لماذا عرضت حياتك ومستقبلك للمخاطر من أجل فتاة غريبة عنك، لا أنت تعرفها ولا هي تعرفك؟

ـ وأنت ألم تفعلي الشيء ذاته؟ أجابها آرثر.

ـ أنا فعلت ذلك، لأنك كنت مريضاً فعلاً، ولأني طبيبة، ولكن من أكون أنا بالنسبة لك؟

تنهد آرثر ولم يتفوه بأية كلمة. وقفت لورين، واتجهت نحو النافذة، وراحت تراقب البستاني يشذب أغصان الورود المزروعة في الممرات إلى جانب بناء المستشفى. استدارت فجأة، وملامح الغضب على وجهها: «أتعلم؟ الثقة المتبادلة هي أروع ما في الوجود، هي التي تطيل عمر أية علاقة، لا صداقة دون ثقة ولا حب. لا أحد حولي يمنحني ثقته، فأرجو ألا تكون مثلهم، وإلا لن تكون بيننا أية علاقة من أي نوع كانت، الكذب يفسد العلاقات»

ـ أعلم ذلك.. ولكن...

قاطعته لورين ولكن ماذا؟

ـ لكن هناك أسباباً مهمة تمنعني.



ـ إني أقدر لك هذا، ولكن هذا يعنيني أنا مباشرةً أليس كذلك؟ وعدم ذكرها يعني الغش والخداع. فأنا التي اختطفت وأنت من خطفني.

ـ كذلك أنا، أنا كنت المخطوف وأنت الخاطفة. إذن.

ـ إذن ماذا؟ تساءلت لورين.

ـ تعادلنا.

رمقته بنظرة غضب عارم واتجهت نحو باب الغرفة وقبل الخروج عادت واستدارت نحوه وبصوت الواثق من نفسه قالت «رغم هذا، فأنت تعجبني أيها الشقي».

خرجت من الغرفة وأغلقت الباب خلفها وراح آرثر يصغي لصوت وقع خطواتها وهي تسير في الممر مبتعدة عنه.

رن جرس الهاتف، أمسك آرثر السماعة.

ـ هل أزعجك، قال بول.

ـ هل ترغب إخباري عن أي شيء؟

ـ لا، ولكني أحببت ممازحتك. وبالوقت ذاته أظنني ارتكبت هفوة.

ـ لا تكذب عليّ، فأنت لا ترغب بممازحتي، إنها خارجة للتو من هذه الغرفة.

أخذ بول نفساً عميقاً، حتى أن آرثر سمع صوت تنفسه عبر سماعة الهاتف وبعد صمت «هل تكرهني يا آرثر؟» تساءل بول.

ـ هل اتصلت بك أونيغا؟

ـ سنتناول العشاء معاً.

ـ إذن سأدعك الآن تحضر نفسك لهذا العشاء. وأنا أيضاً أرغب

www.rewity.com

بقسط من الراحة. وأقفل الصديقان خط الهاتف.

* * *

ـ هل كل شيء على ما يرام؟ قال سائق سيارة الأجرة للورين.

ـ حتى الآن، لا شيء جديد.

ـ اتصلت بزوجتي، وأخبرتها أني لن أعود باكراً هذه الليلة، لذا فأنا تحت تصرفك، أين تريدين الذهاب؟

سألته لورين عن إمكانية استعمال هاتفه الجوال فكان لها ما أرادت فاتصلت بوالدتها.

ـ «هل أنتِ على موعد للعب البريدج هذه الليلة؟».

ـ نعم... لماذا؟ أجابت السيدة كلاين.

ـ إذن، ما عليك إلا إلغاء هذا الموعد، لأننا سنتناول العشاء معاً. تبرجي جيداً.

أنهت لورين المكالمة. ركن السائق سيارته إلى رصيف الشارع أمام المبنى حيث تقيم لورين.

صعدت إلى شقتها، في غرفة الجلوس، خلعت ثيابها ورمتها أرضاً، ودخلت للإستحمام آخذة كل الإحتياطات لإبقاء قدمها المصابة خارج المغطس، بعيدة عن الماء. أنهت الإستحمام وخرجت وهي تلف جسدها بمنشفة كبيرة فيما شعرها مرفوع بمنشفة أخرى.

فتحت خزانة الثياب، وراحت تفكر، ماذا ترتدي؟ الجينز أم هذا الرداء الشفاف إرضاءً لوالدتها؟ وأخيراً ارتدت الرداء الشفاف وتبرجت على غير عادتها. القت نظرة عبر النافذة إلى



الشارع، فوجدت سائق السيارة ما يزال بانتظارها.

جلست على المقعد المواجه للنافذة، ومتعت عينيها بأروع منظر للغروب.

عند الساعة السابعة، كان السائق يتوقف تحت شقة السيدة كلاين، التي ما هي الا لحظات حتى كانت إلى جانب ابنتها على المقعد الخلفي، وما إن نظرت إلى لورين، حتى اندهشت واندهلت. منذ سنوات لم تشاهدها بهذه الأناقة.

ـ إلى أين سنذهب الليلة؟ لا أحب مطاعم الوجبات السريعة. قالت مدام كلاين.

ـ لا عليكِ سنذهب إلى كليف هاوس. أوضحت لورين.

* * *

بول يسرع في تسلق الدرج إلى شقته، حتى أنه كان يقفز قفزاً؟ ما إن دخل حتى وجد أونيغا جالسة على السجادة في غرفة الجلوس والدموع تبلل خديها. تقدم بول وجلس قربها متسائلاً «ما الأمر؟».

ـ إنه تولستوي. قالت أونيغا وهي رواية «آنا كارنينا». غمرها بول بذراعيه «ففي.. ففي فلدينا ما هو أهم».

ـ وما هو؟ قالت أونيغا وهي تمسح دموعها.

توجه بول نحو المطبخ وعاد بكأسين وزجاجة فودكا كبيرة أمسك كأسه ورفعها «بصحة آنا كارنينا». دفعة واحد شربت أونيغا كأسها، وبحركة من يدها أوحت له وكأنها تفرغ ما في الكأس إلى الوراء «هل تخاف على سجادتك؟ ما بك ذهلت؟»

ـ إنها سجادة إيرانية الصنع وقديمة جداً، تعود إلى عام، 1910 لا عليك، الليلة سنخرج معاً لتناول العشاء.

ـ فعلاً سنفعل ذلك، وأين سنذهب؟

أمسك بول يدها وتوجها نحو غرفة النوم وبحركة من رجلها أغلقت أونيغا الباب.

في غرفة رائعة من غرف فندق وايت كاونتري وضع البروفسور فيرنشتاين حقيبة نورما. منذ شهور وهما يستعدان للقيام برحلة استجمام إلى وادي نابا. بعد الغداء في مطعم سونوما، سلكا طريق كاليستوغا باتجاه سان هيلين حيث سيمضيان الليلة.

إنها رحلة احتفالية. أمس وجه فيرنشتاين كتاباً إلى مجلس إدارة مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري يطلب فيه تقديم موعد إحالته على التقاعد، وفي رسالة أخرى اقترح تعيين الطبيبة المناوبة في قسم الطوارىء الدكتورة لورين كلاين رئيسة للقسم مكانه، مثنياً على مناقبيتها وقدراتها المهنية وتفانيها في خدمة المرضى. والأهم، حتى لا يستفيد أي مستشفى آخر من كفاءة هكذا أطباء.

بعد أيام، ويوم الإثنين تحديداً، سيسافر فيرنشتاين جواً برفقة نورما إلى نيويورك. إنه يرغب أن يستفيد من كل يوم قبل عودته إلى كاليفورنيا، مسقط رأسه.

* * *

عند العاشرة صباحاً، توقفت سيارة جورج بيلجر أمام باب



القسم السابع لشرطة سان فرنسيسكو، إلتفت إلى نائالي الجالسة إلى جانبه مبتسماً وناولها كيساً مملوءاً بالكعك. قبلته نائالي على شفتيه، ونزلت من السيارة.

حاول جورج، كعادته، إثارتها بتعليقاته الساخرة، لكنها تابعت سيرها ملوحة له بيدها وهي تختفي داخل المبنى.

لم يتحرك جورج بل بقي مكانه متسائلاً «أهو التقاعد أم التقدم في السن، يتسبب في الشعور بالوحدة القاتلة؟ وأجاب نفسه بنفسه «الإثنان معاً» وانطلق عائداً إلى منزله.

* * *

عند شاطىء المارينا، كانت لورين ووالدتها تتنزهان وبالطبع معهما كالي.

ـ «كان عشاءً لذيذاً.. أمضينا وقتاً ممتعاً» قالت مدام كلاين.

ـ ولكن لماذا لا تسمحين لي بتسديد الحساب؟ تساءلت لورين.

ـ مازال راتبك ضئيلاً، وما أزال والدتك.

عند الميناء، أشرعة المراكب الصغيرة تئن من لسع الريح. السماء صافية والنجوم تسبح فيها. قذفت مدام كلاين عصا صغيرة كانت بيدها، وطلبت من كالي إعادتها.

ـ يبدو أنك كنت ترغبين الاحتفال بشيء ما. قالت مدام كلاين.

ـ لا.. ليس تماماً يا أمي.

ـ ولماذا هذه الدعوة إلى العشاء؟

وقفت لورين وجهاً لوجه أمام والدتها وأمسكت بيديها. «هل تشعرين بالبرد يا أمي؟»

ـ لا..

ـ أمي.. ثقي أني لو كنت مكانك في تلك الأيام لكنت اتخذت ذات القرار الذي اتخذته. وحتى لو كنت أنا قادرة على الكلام لكنت طلبت منكِ ذلك.

تجمد الدم في عروق مدام كلاين وسرت قشعريرة من البرد في جسدها قبل أن تتساءل «وماذا كنت طلبت مني؟».

ـ أن تنزع الآلات عني...

اغرورقت عينا مدام كلاين بالدمع «ومنذ متى تعرفين ذلك؟».

ـ أمي، لا تخافي عليّ بعد الآن. لا أنكر أن لكل منا طباعه وطموحاته وتصرفاته وحياته الخاصة، لكن هذا لا يمنع أبداً أن تكوني الإنسانة الأغلى على قلبي. أحببتك وسأحبك إلى نهاية العمر.

أخذت مدام كلاين ابنتها بين ذراعيها، شدتها إليها وأوسعتها تقبيلاً. لكن كالي عادت مسرعة وحشرت نفسها بين الإثنين.

ـ أتسمحين لي أن أوصلك بسيارتي؟ قالت مدام كلاين وهي تمسح دموعها.

ـ لا.. سأعود سيراً على الأقدام حتى أهضم العشاء.

ابتعدت لورين وهي تلوح بيدها لأمها. تبعتها كالي وهي تمسك العصا بين فكيها وتهز رأسها يميناً وشمالاً. انحنت لورين وداعبت رأس كالي وهمست في أذنها «إذهبي الليلة معها. لا أريدها أن تبقى وحيدة» وانتزعت العصا من بين فكيها وقذفتها باتجاه والدتها. ركضت كالي وتمددت عند قدمي مدام كلاين.

«لورين».. صاحت مدام كلاين.



استدارت لورين نحو والدتها وعلى شفتيها ابتسامة عريضة «نعم أمي».

ـ لم يصدق أحد ما حصل.. إنها أعجوبة.

ـ أعرف ذلك.

تقدمت مدام كلاين بضعة خطوات نحو ابنتها وقالت لست أنا من أرسل الأزهار التي في شقتك.

اندهشت لورين مما سمعت. أدخلت مدام كلاين يدها في جيبها وسحبت ورقة صغيرة مطوية وناولتها لابنتها. قرأت لورين كلمة واحدة ليس أكثر «وجدتك، الامضاء آرثر». قبلت والدتها على خدها وابتعدت مسرعة.

* * *

أشرقت الشمس، وتناثرت أشعتها كألوان قوس قزح. استيقظ آرثر، نزل عن سريره وراح يزرع أرض الممر في المستشفى جيئةً وذهاباً، ينقل قدميه من بلاطة سوداء إلى أخرى بيضاء، الأمر الذي لفت نظر الممرضة المناوبة فتقدمت منه، لكنه رجاها ألا تساعده، لأنه فعلاً بخير ولم يعد يشكو من شيء، ابتسمت الممرضة لهذا الخبر السعيد وزفت له بدورها خبراً سعيداً «قبل نهاية الأسبوع ستخرج من هنا».

هي عادت إلى مكتبها وهو عاد إلى غرفته. رفع سماعة الهاتف وطلب بول.

ـ هل أزعجك يا بول؟

ـ لا.. لماذا تعتقد ذلك؟

ـ أحببت أن أقول لك إنك كنت محقاً، سأعود إلى كارمل وأرم

المنزل، سأطلي جدرانه بألوان الفرح والبهجة، سأرمم التصوينة وأصلح النوافذ وأجلي البلاط باستثناء ذاك الذي على الشرفة، سأعيد هندسة المطبخ على يد الفنان الذي حدثتني عنه، سأجدد كل شيء، وسيعود الماضي الجميل وستعود الأرجوحة تعلو وتهبط في الهواء.

نهض بول ونظر إلى الساعة الموضوعة على المنضدة جانب سريره.

ـ إسمع آرثر أنعقد إجتماع عمل عند الساعة السادسة إلا ربعاً صباحاً؟

ـ أريد إعادة بناء السقف القرميدي للمرآب سأعيد الحياة للحديقة وتعود النباتات تتمايل مع نسيمات الريح، وألوان الزهور والورود تتمازج لتكوّن ألف ألف قوس قزح.

ـ وهل تريد فعل ذلك كله الآن، أم بوسعك الانتظار؟ قال بول ساخراً من حماس صديقه.

ـ معاً سنبدأ بالتحضير وإعداد الميزانية وكل شيء. هل ستساعدني؟

ـ ومن قال لن أفعل؟

ـ بعد شهر ستبدأ الأعمال وستنتهي عند نهايته أترى؟

ـ إسمع آرثر دعني الآن أعود إلى أحلامي، وسأعاود الإتصال بك.

وأقفل الخط غاضباً.

ـ مع من كنت تتكلم، تساءلت أونيغا وهي ترمي جسدها بين ذراعيه.

ـ مع من؟ مع المجنون!!!

* * *

ارتفعت الحرارة بعد ظهر ذاك اليوم الصيفي. أوقفت لورين



سيارتها في مرآب سيارات قسم الشرطة واتجهت نحو الحارس لتسأله عن عنوان مفتش متقاعد حديثاً يدعى جورج بيلجر. اشار الحارس إليها أن تنتظر قليلاً. أمسك سماعة الهاتف وطلب رقماً معيناً، تناول ورقة من جيبه، دوّن عليها العنوان وأعطاها للورين قائلاً «إنه بانتظارك».

يقع منزل بيلجير في المقلب الثاني من المدينة بين الشارعين الخامس والسادس عشر.

أوقفت لورين سيارتها في الممر المشجر المؤدي اليه. جورج كان يشذب الورود ويقطف بعضاً منها.

ـ لا شك أنك لم تلتزمي بقانون السير. أنا شخصياً لم أتمكن من إجتياز هذه المسافة بهذه السرعة. على كلٍ تفضلي واجلسي وأشار إلى برميل بالقرب منه ومضى يقول «نعم وماذا تريدين؟».

ـ كل شيء عن المهندس.. أعلم تمام العلم أنك أنت من أعاد جسدي إلى المستشفى.

تعجب جورج لما سمع «هل تريدين الليموناضة أم القهوة؟».

لا شيء سوى الجواب.

ـ ما للزمن يعود إلى الوراء؟ أنا مفتش مُحال على التقاعد، كنت أحقق مع الناس، وها هي طبيبة آتية لتحقق معي. ولماذا؟

ـ هل أحرجك السؤال أم هو الجواب يحرجك؟

ـ كل شيء متوقف على ما تعرفين وما لا تعرفينه.

ـ أعرف كل شيء ولكن الحقيقة هي عندك أنت.

ـ حسناً، انتظري لأعد كوبين من الليموناضة. أنا متأكد من أنك إنسانة لطيفة. قال هذا ودخل إلى المطبخ، أعد كوبين من

الليموناضة وعاد ليجلس قربها.

ـ شكراً على حسن استقبالك.

ـ أرجو أن تعرفي شيئاً مهماً، لم أتمكن من سجنه لأن والدتك لم تتقدم بشكوى ضده.

ـ ولكن أعتقد، أن هناك الحق العام أليس كذلك؟

ـ نعم، ولكن كما تعرفين بعض أقسام الشرطة تعمها الفوضى، وقد فقد الملف.

ـ يبدو واضحاً أنك لا تريد مساعدتي. قالت لورين بلهجة غريبة.

ـ كل ما بإمكاني قوله هو أنه أنقذ حياتكِ.

ـ ولكن لماذا فعل ذلك؟

ـ إذهبي إليه واسأليه، فأنا لست مخولاً بالإجابة عنه، إنه مريضك.

ـ حتى هو لا يرغب بقول لماذا؟

ـ أعتقد أن لديه أسبابه.

ـ إذاً كان هو لديه أسبابه، وأنت ما هي أسبابك؟

ـ أنا مثل الأطباء لا يحق لي البوح بأسرار المهنة.

ـ ولكنك تقاعدت ولم تعد مؤتمناً على الأسرار.

ـ وأنتِ، ستتخلين عن واجبك حين تتقاعدين؟

ـ إفهمني حضرة المفتش.

وقاطعها «المتقاعد».

ـ أنا لا أريد مقاضاته ولكن أريد معرفة دوافعه.

هز بيلجر رأسه وابتسم «إنقاذ حياتك أما يكفي هذا؟»



وقفت لورين. شكرته واتجهت نحو سيارتها. تبعها بيلجير «إسمعي دكتورة لورين، لا أستطيع أن أخبرك بما أعلم لئلا تعتبرينني مجنوناً. إنها قصة غريبة».

ـ تأكد سيد بيلجير، لن أبوح بكلمة مما قلت أو ما ستقول، سأعتبر هذا سراً من أسرار مهنتي.

كانت لورين قد أخذت موقعها وراء المقود حين تقدم جورج ووضع يده على حافة باب السيارة «سأخبرك القصة الأكثر غرابة في العالم والتي بدأت بليلة صيف في منزل على شاطىء البحر بمدينة كارمل. كانت الحرارة جد مرتفعة، كنتِ تنامين على سرير في إحدى غرف ذاك المنزل، وكنت أنا أسمع قصته الخيالية، وكان دائماً يقول لي «إنها هنا إلى جانبي» كنت أضحك منه، كيف تكونين إلى جانبه وأنا لا أراكِ؟ ورغم هذا صدقته واقتنعت بدوافعه. لست أدري ماذا بمقدوري أن أقول لكِ عما فعل من أجلكِ.. عدا عن أنه كان يريد إنقاذ حياتك فهو لم يكن قادراً على رؤيتك ترحلين. فصتك بدلت حياتي، جعلت مني إنساناً آخر. والآن هل ستعتبرينني مجنوناً؟ نعم... أنا رجل عجوز. ولكني لست مجنوناً.

ابتعد بيلجير عن السيارة قليلاً، ترجلت لورين منفرجة الأسارير وتقدمت منه طبعت قبلة على خده وعادت إلى سيارتها وغادرت وهي تلوح بيدها وابتسامات الفرح على خديها.

كان جورج ما يزال يقف مكانه، يستعيد ما حصل في كارمل، يعيش لحظات خيال وشرود. إلا أن صوت ناتالي أعاده إلى الواقع «ماذا كانت تفعل هنا؟».

www.rewity.com

ـ وأنتِ متى صحوتِ يا عزيزتي.

ـ هل جاءت تسألك عن تلك القصة؟ هل أعيد فتح الدعوى؟

ـ قضائياً لا.. ولكن هي من أعادت فتح هذا الملف. تعالي حبيبتي لأعد لك كوباً من العصير.

# الفصل الثامن عشر

باكراً صباح اليوم التالي، حضر بول إلى المستشفى، ليجد آرثر بانتظاره وهو بكامل أناقته.

ـ لنخرج. قال آرثر.

ـ لا... لن يكون هذا قبل الساعة العاشرة.

ـ أف... ولماذا؟

ـ لانه ممنوع خروج المرضى قبل قيام الاطباء بجولتهم الروتينية. أفهمت؟

ـ والعجوز المتأفف أين هو؟ تساءل آرثر.

ـ منذ زمن لم أره.

بخطى ثابتة اجتازت لورين الممر المؤدي إلى غرفة الإستقبال، حيث بيتي منهمكة بتوضيب الملفات وبدون أية مقدمات صاحت لورن «أين فيرنشتاين؟ أرجوك بيتي لا تبدئي بإعطاء النصائح».

ـ لا لن أعطيك أية نصيحة، ولكن الناس تهرب من المتاعب وأنتِ تسرعين إليها.

ـ أين هو أجيبي.

ـ رأيته يصعد إلى مكتبه ليأخذ أشياءه الخاصة. ولست أدري إن كان ما يزال هناك.

شكرتها لورين واتجهت نحو المصعد.

فيرنشتاين جالس إلى مكتبه يكتب رسالة، سمع قرع الجرس، لكن الطارق لم ينتظره حتى يفتح له الباب، بل دخلت لورين دون استئذان، رفع عينيه ونظر إليها باستغراب «لم أعهدك هكذا من قبل».

ـ ما هي عقوبة الطبيب الذي يكذب على مريضه؟ تساءلت بلهجة غاضبة.

ـ قد يكون الكذب لمصلحة المريض.

ـ وإذا كان لمصلحة الطبيب؟ أو إذا كان هذا المريض أحد تلاميذه؟

ـ في هذه الحال لا مبرر لفعله، وعليه، إما أن يتوقف عن العمل تلقائياً، أو إحالته على التقاعد المبكر.

ـ إذن، لماذا أخفيت عني الحقيقة يا أستاذي الكريم؟

ـ لست أدري لماذا تفكرين بذاك الذي أمضى أياماً إلى جانبك، وحين تعرفت إليه، ترددت في معالجته مخافة أن يتسبب لكِ بالإحراج.

ضربت لورين بيدها على مكتب الدكتور فيرنشتاين وهي تصرخ «أريد الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة».

ـ لن يكون سهلاً.

ـ ولماذا؟

ـ لأني يوم كنت أسعى، بكل ما أوتيت من معرفة وخبرة، لإخراجك مما كنتِ فيه، لم أفكر إلا بكِ، لم أتساءل من هو، أو لماذا هو يومياً إلى جانبكِ. لكن والدتكِ أكدت بإصرار أنه لم يكن



بينك وبينه أية معرفة قبل الحادث. والأغرب، أنه كلما كان يتحدث عنكِ، يُشعر الجميع أنه يعرفكِ حق المعرفة. كان يحاول إقناعنا بتصديق الخرافة التي يتحدث عنها.

ـ وهل كان ذلك صحيحاً؟

ـ هنا تكمن المشكلة، إنه مقتنع بكل كلمة كان يقولها، بينما نحن لا...

ـ ولماذا أخفيت عني تلك الحقيقة؟

ـ لم أفعل ذلك، بل أردت حمايتك من حقيقة هي أقرب إلى الخرافة منها إلى الواقع.

وقف فيرنشتاين وتقدم من تلميذته وأخذ ينظر إليها نظرات الحب والحنان «إسمعي يا ابنتي ها هي الحياة أمامك، فسحة أمل، ما تزالين في مقتبل العمر، إياكِ إضاعة الفرص. ستكتشفين يوماً ما، أن سر نجاحنا في مهنة الطب لا يكمن في المعرفة وحسب، بل في حسن استعمالنا لهذه المعرفة، لإدراكنا أننا نتعاطى مع بشر من لحم ودم، لا يأتون إلينا، إلا ساعة إحساسهم بالألم... الفرق بيني وبينك، هو أني، أنا مسافر نحو الموت وأنتِ مسافرة نحو الحياة.

صمتت لورين، واندهشت لرؤية بضعة دموع تبلل خد أستاذها وهو يقول «أتوسل إليكِ إبحثي عن الحقيقة عند غيري، أنا لست قادراً على قول شيء، كنت الآن أكتب لكِ رسالة أشرح فيها كل شيء، ولكنكِ، كالمجنونة، دخلتِ ومنعتني من إكمالها».

استدارت لورين وأخذت أستاذها بين ذراعيها «لا عليك... فأنت أستاذي ولن أنساك أبداً».

– إسمعيني لورين، ما اهتممت يوماً بتلميذ قدر اهتمامي بك، وإن كان يحق الإعتزاز بشيء فهو بأنكِ تلميذتي. أنا الآن سأغادر هذه المستشفى، ولكن من خلالكِ أنت، سأبقى فيه. انتبهي لمثاليتك الزائدة، قد تسبب لكِ المتاعب. لا تفعلي كما فعلت. أهملت نورما زمناً طويلاً وها نحن اليوم نكمل الطريق معاً. غداً تتزوجين وتصبح لكِ جنتك الصغيرة.

– ألن تكون هنا يوم الإثنين؟

– لا... لن أكون...

– حقاً؟

– نعم.. لن نلتقي بعد اليوم، ولكني لن أنساكِ يا صغيرتي وأعتقد أنك أنتِ أيضاً لن تنسي أستاذكِ فيرنشتاين.

– لن أنساك أبداً، فأنا مدينة لك.

– لا.. لستِ مدينة لي... ما علمتك إياه، علمته للكثيرين غيرك، لكنكِ وحدكِ كنتِ المتفوقة، وتميزتِ عنهم... إنما عليكِ ألا تهتمي لما ارتكبت من هفوات وأخطاء.

– وأنت.. ألم ترتكب هفوات وأخطاء؟

– بلى.. لقد تركت نورما تنتظرني طويلاً، بينما كان بإمكاننا أن نكون معاً منذ زمن طويل، كرست عمري لمهنتي ونسيت نفسي.

أدار فيرنشتاين ظهره لتلميذته ولوح لها بيده وكأنه يقول «حان وقت الفراق».

غادرت لورين مكتب أستاذها والدموع في عينيها، إنما دون أية التفاتة إلى الوراء، هكذا وعدته.



أوصل بول آرثر إلى شقته، وما إن جاءت مدام موريسون وكلبها بابلو مرحبة بعودته سالماً، حتى غادر بول متجهاً إلى المكتب.

هناك مهام كثيرة تنتظره، ويوم الجمعة دائماً يبدو قصيراً. قبل رحيله أوصى بول صاحبه الإهتمام بنفسه والإعتناء بصحته، واعداً إياه الإتصال به.

* * *

في صندوق بريدها، وجدت لورين رسالة موجهة لها، فضت الرسالة وهي تتسلق الأدراج المؤدية إلى شقتها. «ما هذه الأوراق الكثيرة؟» ولكن الذي لفت نظرها ورقة مكتوب عليها «خلال حياتي كمفتش للشرطة تمكنت من حل ألغاز العديد من الجرائم والقضايا وهذا ما فعلته في قضيتك. هذه صور المنزل الذي وجدتكِ فيه ونسخة عن ملف القضية. أتمنى ألا تخيبي بوعدك».

حظاً سعيداً.

المفتش المتقاعد جورج بيلجير.

ملاحظة: أنت لن تتغيري أبداً.

تمعنت لورين بقراءة كل الأوراق، وكذلك بالصور. نظرت إلى ساعتها، وتوجهت نحو خزانة الملابس، وبدأت بتحضير الحقائب استعداداً لرحلة قررت للتو أن تقوم بها، اتصلت بوالدتها وأخبرتها بما تنوي فعله راجية أن تُبقي كالي عندها.

– إسمعي يا ابنتي – قالت مدام كلاين – لقد استطعت أن تنتزعي مني وعداً ألا أخاف منك، ولكن ليس بمقدورك منعي أن أخاف عليك.. كان الله معك واعلميني بوصولك.

أنهت لورين المكالمة وعادت إلى خزانة الملابس وتوضيب الحقائب.

* * *

متأبطاً ذراع السيدة موريسون، خرج آرثر إلى الشارع ليقوم بأول نزهة بعد خروجه من المستشفى. بابلو يهز ذنبه ورأسه.

ـ الليلة سنكمل مشاهدة الفيلم معاً ـ قالت السيدة موريسون.

* * *

فتح باب الشقة، ودخل روبير وحاول ضم لورين إلى صدره، لكنها تراجعت إلى الوراء، تعجّبَ «لم أقصد إخافتك».

ـ لا ضرورة لقول هذا.. لقد فات الآوان.

نظر روبير إلى الحقائب وتساءل «أمسافرة أنت؟ لماذا كل هذه الحقائب؟».

ـ لا.. أنا بحاجة فقط لأحمر الشفاه وهو على المنضدة عند مدخل الشقة. أما هذه الحقائب، فهي لك.

تقدمت منه ووضعت يدها على كتفه «طالما قلت لي أن أشياء كثيرة تبدلت وتغيرت منذ خروجي من المستشفى. معك حق. كنا فيما مضى على خطأ. نحن لم نخلق لنكون معاً، ولم نكن يوماً سعداء. كان كل واحد منا يحتمي بالآخر من الشعور بالوحدة. أما أنا فكنت مهتمة بمهنتي فقط وهذا ما حال دون رؤيتي للأشياء بوضوح. أعتذر روبير عليك أن ترحل.

تجمد روبير مكانه «ولكني أحبك».



ـ انتهى كل شيء يا روبير.

ـ هكذا إذن؟ قررتِ إنهاء كل شيء.

ـ لا... لست وحدي من قرر ذلك. نحن معاً قررنا... لم يكن بيننا حب، بل رغبة في ألا يكون كل واحد منا بمفرده. أنا اليوم بحاجة للحب. وهذا ما لن أجده عندك...

ـ أيمكنني أن أمضي الليلة هنا؟

ـ أرأيت؟ سؤالك دليل على عدم وجود الحب. قالت هذا وتناولت حقيبتها وخرجت تاركة روبير وحده.

فُتح باب المرآب، وانطلقت السيارة الإنكليزية القديمة الصنع، وعند المفترق انحرفت يميناً فإذا بكلب أشقر يسير جنباً إلى جنب مع رجل في الثلاثين من عمره وإمرأة عجوز قرب شجرة حور.

عند الساعة الرابعة، دخلت لورين الطريق السريع رقم واحد الموصل إلى المحيط، فبانت التلال والهضاب المكللة بالضباب، والمطرزة عند قممها بلون الغروب الذي هو بلون النار.

بُعيد الغروب، الذي يعطي الوانه للغيوم العابرة، وصلت إلى كارمل. مدينة شبه مقفرة.

في فندق «كارمل فاليه إن» تمددت على السرير، ومن ثم وقفت قبالة النافذة، وشرعت تمتع عينيها بقطرات الماء التي تضرب أوراق شجر الحور.

عادت وجلست على السرير واحتضنت وسادتها وراحت تشاهد فيلم «أشياء للذكرى» وعندما قبّل غاري غرانت البطلة ديبورا كير، ضمت الوسادة إلى صدرها وقبلتها.

عند الصباح توقف المطر. نهضت باكراً وارتدت ثيابها

وخرجت من غرفتها. بدت الأشجار وكأنها مجموعة بشر خارجة من الإستحمام لتوها، أوراقها رطبة ندية، وعنها تتساقط قطرات الماء مع كل نسمة ريح.

انطلقت بسيارتها، والشمس لم تبزغ بعد، فاضطرت إلى الإستعانة بالمصابيح حتى تتبين الطريق. تنعطف يميناً أحياناً ويساراً أحياناً أخرى، حتى وصلت إلى حيث تريد «ها هي تصوينة المنزل» اقتربت منها وتابعت سيرها على طريق ترابي مرصوف بالحجارة. تحت أشجار الحور، عند الزاوية أوقفتها.

وسط التصوينة بوابة حديدية خضراء اللون، وعليها بافطة تقول «أملاك خاصة» ترجلت، ودخلت إلى فناء المنزل وراحت تتأمل بكل زاوية من زواياه، بالدرج الحجري الصغير، بأشجار الحديقة وبما صمد من ورود وأزهار، وما يزال شذاها يعبق في المكان.

شبابيك مغلقة. تسلقت الدرج الحجري وعلى الشرفة وقفت تتأمل كل شيء من جديد. ها هو المحيط يهدر ويزمجر، أمواجه تحاول اقتلاع الصخور عن الشاطىء.

داعب النسيم شعرها فتطاير، غطى وجهها حيناً، واستراح على كتفيها حيناً آخر. راحت تجول حول المنزل، علها تجد منفذاً تتسلل منه إلى الداخل. وكان لها ذلك عند تلك النافذة المغلقة برافعة حديدية. ما إن مدت يدها وسحبتها حتى أصدرت الألواح الخشبية صريراً وكأنها تقول «يمكنك الدخول».

دخلت لورين وحاولت إغلاق النافذة وراءها. اجتازت غرفة جلوس ووصلت إلى غرفة النوم، إنه سرير حديدي قديم. يخطى بطيئة راحت تتجول في ممرات المنزل وغرفه أحست أن شيئاً يربطها



بهذا المكان. دخلت المطبخ، تزايدت نبضات قلبها. على الطاولة إبريق قهوة إيطالي الصنع. ترددت قليلاً قبل أن تلمسه وهي تدور حوله، شيء غريب ومألوف ينتابها.

من المطبخ نحو غرفة الإستقبال. في الزاوية يرتاح بيانو. بحياء تقدمت منه، وجلست على المقعد الصغير أمامه وراحت تداعب أوتاره بأناملها لتعزف موسيقى «ضوء القمر». كانت الأنغام تتصاعد وإحساسها بالألفة يتنامى. ركعت على السجادة وبدأت تفرك صوفها بيدها.

لم تتوقف عن اللف والدوران في كل ممر أو غرفة. من طابق إلى آخر: تبتسم حيناً وتهز يدها حيناً آخر. إنها تستعيد ذكرياتها في هذا المنزل.

نزلت إلى الطابق الأرضي ودخلت غرفة النوم وقفت أمام الخزانة، مدت يدها لتتناول حقيبة سوداء، تحتوي على ما هب ودب من الأوراق والصور والمغلفات وملعقة فضية صغيرة وحذاء طفل صغير. لفت نظرها مغلف مكتوب عليه إسمها. فضت الرسالة وقرأتها أكثر من مرة. وأخيراً تقدمت من السرير وألقت رأسها على الوسادة وعادت لتقرأ الصفحة الأخيرة.

«وهكذا انتهت الحكاية. إنما ما أزال أسمع صدى صوتك، وأشعر بدفء يديك. ما أزال أسمع تلك الأنغام التي يصدرها البيانو حين تلامس أناملك أوتاره. أتعرفين أنتِ الحلم الأكثر جنوناً، وأنا وأنتِ معاً كنا نحلم بالغد الآتي رغم خوفنا منه.

أعطيتني من الحب ما تعجز الأمهات عن إعطائه. دخلت حياتي، فاختفت كل الفصول إلا فصل الربيع، حولتِ مساحة عمري إلى

www.newity.com

حدائق غناء، وأنغام راقصة، علمتني ما لم أتعلمه في حياتي، أنسيتني حزن طفولتي وتعب شبابي، لست نادماً على كل لحظة عشتها معك، فالحياة بدونكِ لا قيمة لها ولا معنى. حتى غدوت غير قادر على الإستمرار في الحياة بدونك، ولا يمكنني العيش بعيداً عنك، ليس بمقدوري أن أكون وحيداً وأنتِ في مكان ما لا أعرف أين هو».

**الإمضاء آرثر**

أمس كان النوم عصياً عليها، أما اليوم فها هي تستسلم له.

عند الظهر تسللت الأنوار عبر النوافذ إلى داخل المنزل، وبالوقت ذاته كانت سيارة «الساب» تتوقف أمامه. سمعت لورين صوت هدير المحرك، فارتعبت وراحت تبحث عن زاوية تختبىء فيها.

* * *

ـ سأجلب المفاتيح وأعود قال آرثر موجهاً كلامه لبول وهو يترجل من السيارة.

ـ هل بإمكاني أن أذهب أنا؟ قال بول.

ـ لا.. أنا أفعل، أنا محترف في فتح النوافذ.

نزل بول من السيارة وفتح الصندوق الخلفي وتناول علبة العدة.

ـ لماذا هذه العلبة؟ ماذا تريد أن تفعل؟ قال آرثر.

ـ «أريد نزع تلك اللوحة» وأشار بول بيده للوحة مكتوب عليها «هذا العقار للبيع».

ـ دقائق وأفتح لك الباب.



ـ خذ وقتك قال بول.

دخل آرثر إلى غرفة والدته ليجلب المفتاح من الحقيبة السوداء. فتح الخزانة وحاول مد يده، فانتابه الخوف لرؤية بوم أبيض قرب الحقيبة وعلى عينيه نظارة سوداء، سرعان ما تعرف آرثر عليها، إنها نظارته يوم كان طفلاً، وإذا بصوت رخيم يأتيه من زاوية الغرفة شبه المظلمة «أظنه شفي ولن يخاف النور بعد اليوم» قالت لورين.

ارتعش جسد آرثر والتفت حيث الصوت: أريد فعلاً أن أصدق هذا القول، إنها نظارتي، وما خفت الضوء يوماً.

ـ هكذا يبدو أجابت لورين.

ـ ولكن من أنتِ وماذا تفعلين هنا؟

تقدمت لورين خطوات نحوه فرآها «إن ما سأقوله ليس سهلاً أن يصدق، ويستحيل تقبله، ولكن إذا أصغيت جيداً لسماع قصتنا، وإذا ما أردت منحي ثقتك الكاملة، ربما تصدقني وهذا مهم جداً، لأنك أنت دون غيرك من العالم بإمكانه أن يشاركني سري».

# خاتمة

يوم عيد الميلاد انتقل بول وأونيغا إلى شقة جديدة على شاطىء المارينا.

* * *

ربحت السيدة كلاين جائزة البريدج الأولى لمدينة سان فرنسيسكو السنوية. وتستعد للمشاركة في المباريات السنوية لولاية كاليفورنيا..

* * *

في إحدى غرف فندق في باريس، توفي فيرنشتاين، فنفذت نورما وصيته ونقلت جثمانه ليدفن إلى جانب عمه الذي توفي ذات يوم من أيام تموز 4491 في النورماندي ـ فرنسا.

* * *

في كنيسة صغيرة من كنائس مدينة البندقية الإيطالية تزوج المفتش جورج بيلجير وناتالي، وقررا زيارة العديد من دول أوروبا.

www.rewity.com

* * *

عبثاً حاولت السيدة موريسون إيجاد عروس لكلبها بابلو.

* * *

بيتي ما تزال رئيسة للممرضات في قسم الطوارىء في مستشفى سان فرنسيسكو التذكاري.

* * *

أما آرثر ولورين، فقد طلبا من الأهل والأصدقاء والمحبين عدم إزعاجهما لفترة من الوقت.

* * *

إنها رواية رومانسية تتحدث عن الوفاء في الحب، عن المثال الأعلى للوفاء للحبيب والصديق، والتفاني في سبيل القيام بعمل ناجح.

إنها رواية التعلق بالطفولة والمراهقة، وحب الجمال، بشرياً كان أم طبيعياً. إنها التعبير عن الأحاسيس والمشاعر الإنسانية الصادقة.

إنه الإنسان الذي يجب أن يعبر عن إنسانيته.

www.rewity.com